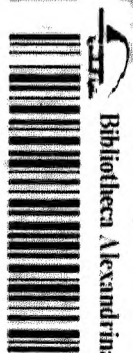


جَنَائِدُ الْأَكُوْعِ

عَلَى ذَهْنِ شَائِرِ الْهَيْدَرَانِي

تَأْلِيفُ
أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّامِي

دار الفخار



0118072



أحمد بن محمد الشامي

جَنَائِدُ الْأَكْوَاعِ
عَلَى دُخَانِ طَائِرِ الْهَيْدَرِ

دار الفخار

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

دار النخاس

بيروت ١، ص ب ٦٣٤٧ - هاتف ٢٥٨٧٣٨ - ٣٠١٤٤٧ - برقيا، دانغاييسكو

الافتتاح

« أَهْدِي الْكِتَابَ إِلَى الصَّدِيقِ الْمَاجِدِ بْنِ الْمَاجِدِ »
« الْقَاضِي فَضْلُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَكْوَعِ حَفِظَهُ اللَّهُ »
« وَإِلَى صَدِيقِي الْعَلَّامَةِ إِسْمَاعِيلِ الْأَكْوَعِ حَرَسَهُ »
« اللَّهُ . مَعَ تَقْدِيرِي ، وَاعْتِزَارِي إِذَا كُنْتُ . »
« قَدْ أَعْرَقْتُ فِي الْإِيضَاحِ ؛ أَوْ قُلْتُ مَا لَا يَلِيقُ »
« وَمَا أَظُنُّنِي فَعَلْتُ . رَاجِئاً أَنْ يُطَالَعَا مِنْ »
« جَدِيد . . مَا قَالَهُ » الْقَاضِي مُحَمَّدُ الْأَكْوَعِ سَامِحَهُ اللَّهُ »
« عَنْ بَعْضِ الْمَوَاطِنِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ فِي مُقَدِّمَتِهِ »
« الشُّوْهَاءِ » وَهَذَا تَبْيِينٌ لِكُلِّ عَائِلَةِ الْأَكْوَعِ »
« الْكَرِيمَةِ . . سِوَا كَانَتْ « جَوَالِيَّة » ، أَوْ يَخْصِبِيَّة »
« أَوْ « عَدْنَانِيَّة » ، أَوْ « هَمْدَانِيَّة » وَ « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ »
« إِخْوَةٌ »

« وَقَدْ قَالَ « شَوْقِي » يُخَاطَبُ سَيِّدَ الْبَشَرِ : ﷺ »
« فَرَسَمْتَ بَعْدَكَ لِلْعِبَادِ حُكُومَةً »
« لَا « سَادَةً فِيهَا وَلَا « أُمَرَاءَ »
« اللَّهُ فَوْقَ الْخَلْقِ فِيهَا وَحْدَهُ »
« وَالنَّاسُ تَحْتَ لَوَائِهَا أَكْفَاءَ »
« وَهُوَ مَا نَعْتَقِدُهُ جَمِيعاً ؟ »

أحمد بن محمد الشامي

بروملي: ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هـ - ٢٢/٢/١٩٧٩ م

الفصل الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما «الهمداني» فهو العَلَمُ الشَّامخ صاحب «الأكلیل» و«صفة جزيرة العرب»، و«الدَّامِغَة»، وعشرات الكتب وهو بحق «لسانُ الیمن». وأما «الأکوع» فهو القاضي العلامة الأستاذ «الفاضل» محمد بن علي الأکوع الذي حقَّقَ بعضَ أجزاء «الإکلیل»، وساهم في تأليف الكتاب المشهور «ابنُ الأمير وعصره» والمشار إليه في كتابي «قصة الأدب في الیمن» ص (٣٥). وأخوه هو القاضي الأديب المهذب : إسماعيل الأکوع جامع «الأمثال الیمنیة».

وقد أخرج القاضي محمد الأکوع کتاب «قصيدة الدامغة وشرحها» للهمداني ؛ وحَسَبُ كلامِهِ في نهاية مقدِّمته لِكتاب أَنه فرغَ من «التَّحْقِيق والتَّهْدِيب» في ٢٠/ مارس سنة ١٩٧٧ م - ٣/ ربيع أول سنة ١٣٩٧ هـ . وكنْتُ - عَلِمَ اللهُ - قد سُرْتُ عندما بلغني أَنَّ ذلك السُّفَر الجليل قد خرج من الظُّلُماتِ إلى النُّور ؛ وهو ما كنْتُ أصبو إليه ، واشتَغَلْتُ في نَسْخِهِ ، وضَبَّطُ كَلِمَاتِهِ وتَفْسِير غَوَايِضِهِ حوالِي عشرين عاماً .

ولكن . . ما إنْ وَصَلْتُ «الطبعة» المذكورة إلى يدي وتَصَفَّحْتُها حتَّى نالني مِنَ الحَيَبَةِ أضعافُ ما سَبَقَ أن مَسَّنِي مِنَ السَّوَر ؛ ذَلِكَ لأنَّ القاضي الأکوع لم يُجْهِدْ نَفْسَهُ في سبيل تحقيق وضبط نصوص «الدَّامِغَة» وشرحها للهمداني حتَّى يَتِمَّكَنَ القارئ العربيُّ مِنْ قِراءَةِ الكتاب قِراءةً صحيحةً ؛ وتلك هي غايَةُ وَهَدَفُ المحققين لأُمِّهاتِ وذُخائِرِ الأدب العربي ؛ ولا سيما و«لسان الیمن» رحمه الله قد أفعَمَ كتابَه بنصوصٍ وأخبارٍ وأشعارٍ یمنیةٍ وغير یمنیةٍ لا تكادُ توجَدُ في غيره . . ولا بُدَّ أن أعترفُ بأنِّي كنْتُ متأرجحاً بَينَ الحَشِيَّةِ والرَّجاءِ حينَ

بلغني إقدام الأستاذ القاضي محمد الأكوخ على تحقيق الدأمة ؛ لأني أعرف قدرته وذوقه الفني ، وموهبته الأدبية فحسب ؛ بل ولأني أعرف أن نسج الدأمة « وشرحها قد تناولتها أقلام النساخ بالمسخ والتخريف ، والانتحال ؛ وكل ذلك يستدعي التبصر ، والروية ، وخبرة التقدير الشعري ؛ ومملكة التمييز الفني لأساليب البيان ! وكنت أرجو أن القاضي الأكوخ سيغرضُ شروحه وحواشيه على الشيخ الأستاذ المحقق « حمد الجاسر » كما فعلَ عند إخراجه لكتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني فبدل الأستاذ الشيخ حمد من الجهل والوقت في تلطيف وتنقيح وحذف الكثير مما كتبه « القاضي » ؛ وقدم له مقدمة بديعة ، حتى خرج الكتاب في حلة قشبية ؛ وقد شاهدتُ بنفسي عناية ، وتعب الشيخ حمد عافاه الله . ولكن القاضي الأكوخ استغنى هذه المرة . واعتمد على من شكرهم في آخر الكتاب وهم - رغم ما يتحلون به من فضل - غير متخصصين في فن شرح وتحقيق المخطوطات ؛ وهو فن قائم بذاته . . وما إن شرعتُ في قراءة الكتاب حتى فوجئت بما لا يحتمل من الغلطات ؛ بيانياً ، ولغوياً ، وتصحيفاً ، وطبعاً ، وأدبياً - ولا أقول تاريخياً - فسأترك ذلك الآن .

ولذلك قررتُ خدمةً للقراء اليمينين وغيرهم ، أن أبتزع بتصحيح ما يظهر لي من غلطاته سائلاً من الله الهداية والعون .
وقد صدرَ القاضي الأكوخ كتاب « قصيدة الدأمة » بمقدمة طويلة سودت ثمانية وثمانين صفحة ؛ سيكون لي معها موقفٌ طويل بعد إكمال تصحيح الغلطات في دأمة وشرح « الهمداني » ؛ إذ لا يهم طلاب العلم والأدب ما ورد في تلك المقدمة من دعاوى وتحاملات ، ولا تضرهم ، ولا تنفعهم ، وإنما يهمهم ويهمني إنقاذ كتاب الهمداني . . . ثم وفي النهاية سوف أتناول بالقول الفصل ما ورد في المقدمة ؛ ولا ضير إن جعلتُ من « المقدمة » والبداية ، خاتمة و « نهاية » !!

(١) أعشاراً لا إعتبار :

في ص (٣) (٤) رسم الأستاذ الأكوخ العبارة الهمدانية هكذا : « وفهت ما

ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ تَعَلُّقِ قَلْبِكَ بِاعْتِبَارِ قَصِيدَةِ شَيْخِي « الخ وَعَلَّقَ عَلَى لَفْظَةِ « باعتبار » قَائِلاً : « كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ » ! وَلَوْ أَنَّهُ أَعْمَلَ فِكْرَهُ لَعَرَفَ أَنَّ النَّصَّ هَكَذَا « مِنْ تَعَلُّقِ قَلْبِكَ بِأَعْشَارِ قَصِيدَةِ شَيْخِي وَالْعِشْرُ : الْقِطْعَةُ جَمْعُهَا أَعْشَارٌ ؛ وَمِنْهُ بَيْتُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ .
(٢) نِظَامٌ لَا نَمَطٌ :

فِي نَفْسِ الصَّفْحَةِ (٤) : « فَتَكُونُ نَمَطًا وَالْقَصِيدَةُ سِلْكَةً » ؛ وَالَّذِي فِي نَسْخَةِ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَةِ هَكَذَا : « فَتَكُونُ نِظَامًا وَالْقَصِيدَةُ سِلْكَةً » وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الصُّوْبِ فَالْنَمَطُ لُغَةً : هُوَ الطَّرِيقَةُ ، وَالتَّنَوُّعُ . . وَالنِّظَامُ مِنْ نَظَمَ يَنْظُمُ نَظْمًا وَنِظَامًا . . اللَّوْلُو وَنَحْوَهُ أَلْفُهُ وَجَمْعُهُ فِي سِلْكَ ، وَمِنْهُ نَظْمُ الشَّعْرِ ؛ وَمَنْ الْمُتَمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ هَكَذَا : « فَتَكُونُ سِمَطًا وَالْقَصِيدَةُ سِلْكَةً » فَحَرَفَهَا الْقَاضِي أَوْ النَّاسِخُ وَجَعَلَهَا « نَمَطًا » ؛ وَالسِّمَطُ هُوَ الْخِطُّ مَا دَامَ الْخَرْزُ أَوْ اللَّوْلُو مُتَنَظِّمًا فِيهِ : ج ؛ سَمُوطٌ .

(٣) وَفِي نَفْسِ الصَّفْحَةِ (٤) : « وَقَدْ سَأَلْتَ ذَلِكَ أَعْظَمَ الشُّطْطِ » وَصَوَابُ الْعِبَارَةِ هَكَذَا : « وَقَدْ سَأَلْتَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمَ الشُّطْطِ » .
(٤) أَعْنَتُهُ ؛ لَا أَعْنَتُهُ :

وَفِي ص (٥) نَقَلَ الْأَسَازُ الْأَكْوَعُ عِبَارَةَ الْأَصْلِ هَكَذَا : « فَإِنْ أَقَامَهَا أَعْنَتُهُ وَإِنْ أَغْفَلَهَا أَفْلَتَتْ » . . وَالصُّوْبُ « أَعْنَتُهُ » بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ مِنَ الْعَنْتِ ؛ هَذَا إِلَى أَنَّ لَفْظَةَ « الْبَيِّنَةُ » غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي الطَّبْعِ ؛ كَمَا أَنَّهُ وَضَعَ هَمْزَةً عَلَى الْفَاءِ « الْغَيِّ » فَأَصْبَحَتْ وَ « الْغَيِّ » ، وَفِي آخِرِ الصَّفْحَةِ نَقَلَ الْعِبَارَةَ هَكَذَا : « وَتُسَعِّفُ الْمَقْدَرَةَ » وَالْأَصْلُ فِي نَسْخَةِ الدَّارِ : « وَتُسَعِّفُ فِيهِ الْمَقْدَرَةَ » وَهُوَ أَكْثَرُ صَوَابًا . هَذَا إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَهْتَمَّ بِتَنْقِيطِ ، وَتَصْحِيحِ الْفَاقِطِ كَثِيرَةٍ فِي هَذِهِ الصَّفْحَةِ ؛ وَاهْتَمَّ بِتَرْجُمَةِ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ ؛ « ابْنِ الْخَطِيمِ » فِي حَاشِيَةِ طَوِيلَةٍ . . وَكَانَ الْأُخْرَى أَنْ يَهْتَمَّ بِالْأَصْلِ ، وَيُحِيلَ الْغَارِيءَ إِلَى تَرْجُمَةِ « ابْنِ الْخَطِيمِ » فِي دِيَوَانِهِ الْمَطْبُوعِ وَالْأَغَانِي وَالطَّبَقَاتِ .

(٥) ونسأل الله أن :

في ص (٦) نقل عبارة الحمداني هكذا : « فسأل الله أن يجنبنا » ؛ والصواب : « ونسأل الله أن » والحواشي رقم (١) و (٢) و (٣) من فضول القول ؛ لأن الحمداني قد فسر المراد في الأصل .

(٦) وفي ص (٧) لفظة « الفقد » لم تُنقط ؛ والحواشي لا فائدة فيها ، و « الأخطل » مشهور ، وكان الواجب العناية بتصحيح الملازم قبل تقديمها للطبع الأخير ؛ ولولم يُترجم للأخطل !
(٧) تتابع لا « ساجع » :

صفحة (٨) مملوءة بالأخطاء المطبعية ؛ رسماً وترقيماً وقد نقل عبارة : « غمّ علينا الهلال أي ستره الهلال » هكذا . . وإنما هي : « أي ستر الهلال » . ونقل عبارة الحمداني هكذا : « سَجَمْتُ عَيْنُ فُلَانٍ إِذَا سَاجَعَ قَطْرَ عَيْنِهَا » والصواب : « إِذَا تَتَابَعَ قَطْرُ عَيْنِهَا » . و « فالإِرْزَام » وإنما هي : « وَالْإِرْزَام » بالواو ؛ وضبط البيت التاسع من الدّامغة هكذا : « فَخَلْتُ دَوَادِي الْوُلْدَانِ » بفتح الدّال الثاني في دوادي وإنما هي « دَوَادِي » بالكسر . وفي الحاشية رقم (١) فسر الآيات بالعلامات ، وكان الحمداني قد فسرّها في الأصل بذلك ، وحاشية رقم (٣) في نفس الصفحة لا معنى لها ولا ندري أين رقمها في الأصل .

(٨) الغُلُّ القَمَلُ :

في ص (٩) « يريد لوتد » والصواب « يريد الوَيْد » ، وفي السطر السادس منها « وموضع الرُّفْعِ ويخفق » ؛ وإنما هي « وَيُخَفِّق » ، وفي السطر السابع : « وللغلال الغل » ، والصواب : « والغِلَالُ : الغُلُّ » ، وفي السطر الثامن : « وفي حديث النساء » والصواب : « وفي الحديث : النساء » الخ وفيها « الغل الغل » هكذا . . وإنما هي : « الغُلُّ القَمَلُ » وكان ضبطها يُغْنِيهِ عَنْ الحاشية ؛ وَلَوْ رَجَعَ إِلَى « لسان العرب » لوجد فيه : « وفي الحديث ؛ وَإِنَّ مِنَ النِّسَاءِ غُلًّا قَمَلًا » يقذفه الله في عنق مَنْ يَشَاءُ » وهو ما أَرَادَهُ وَأُورِدَهُ

الهمداني بتصرف ما . وقد ضبط البيت الحادي عشر من الدأمة هكذا :

« وسُفِعَ عارياتٍ » بفتح السين، والصواب: « وسُفِعَ » بالضم جمع سَفَعاء ، وحاشيته رقم (٣) قد تَرَجَمَتُ للشاعر « حميد بن ثور » وكان في إمكانه أن يشير إليها في ديوانه المطبوع وفي « الإصابة » ويهتم بتصحيح وضبط نصوص الكتاب .

(٩) العَلاطين .. لا الملاطين :

ص (١٠) : في السطر الأول: « سَفَعاء الملاطين » والصواب : « العَلاطين » ؛ و « فروع أشاء » والصواب « أشاء » واضبطها كذلك كما في نسخة « الدار » لاستغنى عن الحاشية رقم (١) ولا بأس أن يفسر « العلاطين » و « أشاء » ، وتصحيح العبارة في السطر الثالث هكذا : « وضم بين اصْبَعِيه » ، والبيت في السطر السابع رَسَمَهُ هكذا « كأنه أسْفَع الخدين » والصواب : « كأنها » هذا إلى أن الحاشية رقم (١) مملوءة بالأغلاط المطبعية ؛ وكتب البيت في السطر التاسع هكذا :

« مسْفَع الخدَّ نَشط شَبب »

والصواب هكذا : « مُسْفَعُ الخَدَّ عَادَ نَاشِطُ شَبَبٌ » .

(١٠) يا ليتَه ترجمَ لليمنيين :

في الصفحة (١١) كتب « الأكوع » البيت هكذا: « حمت عليه الدرع حتى وجهه » والصواب : « حَيَّيتُ عليه » . وكتب العبارة في السطر السادس هكذا : « لم يوقد من زمان » وفيها سَقَطَ ، والصواب ؛ « لم يُوقَدَ بَيْنَهُنَّ مِنْ زَمَانٍ » . على أنه لم يَسْتَطِعْ إلا أن يترجم للشاعرين المشهورين مُتَمِّم بن نُويره ، وأبي فؤَيْب الهذلي وبأسلوبه المعروف ؛ وكان من واجبه بعدَ ضبط وتحقيق نصوص الكتاب أن يَهْتَمَّ بالشعراء المجهولين ، ولا سيما من اليمنيين الذين وَرَدَتْ أَسْمَاؤُهُمْ في شرح الدأمة ، ويضرب صفحاً عن المشهورين المعروفين من شعراء الشَّام ، والعراق و « الحجاز » والخلفاء والصحابه ،

وممّن تطفح بأخبارهم كتب الأدب . ويا ليتّه أجهد نفسه ، ووقف طويلاً عند كلام « الهمداني » في شرحه للذامغة عن شعراء وخطباء اليمن ، ونقّب عن أخبار المجهولين منهم ، لأنّه بذلك سيأتي بشيء جديد مفيد - لكنّه - ويا للأسف قد مرّ عليهم مرور ال . . الكرام !

أما حاشيته رقم (٣) فقد فسّر « القرّ » بأنّه « البرد » ، وأنّ « شكوت » من ذوات « الواو » وهو ما قد ذكره « الهمداني » في الأصل . . ا

(١١) غَلَطَاتٌ مَطْبَعِيَّةٌ ، وَغُفُولٌ :

في ص (١٢) لفظة « الأثافي » غير واضحة في السطر الأوّل ، وكذلك « ربّما » في السطر الثاني ، و « كلثوم » ورسم « جديله » بالباء الموحّدة ، وإنّما هي بالياء المثناة ، وفي السطر الثامن : « أي سرداء » ، والصواب « سوداء » بالواو ، ثم قول « الهمداني » : « وبقي ما لم يصلّ النار على حاله » كتبها هكذا : « ما لم تصل » . وقد يكون كلّ ذلك من الغلطات المطبعية . ولكن ؛ أما كان على المحقّق التّصحيح قبل الطبع الأخير أو التّنبية إليها في جدول يُلحَقُ بالكتاب ليقرأه النّاس قراءة صحيحة ؛ وذلك في رأيي - وليُعذرني القاضي - أولى من الترجمة للشاعر « عمرو بن كلثوم » صاحب المعلقة ! مع أنّها أيضاً ترجمة مفعمة بالأغلاط .

كما أنّه لم يفهم عبارة « الهمداني » في السطر العاشر ونقلها هكذا : « واحدها طلا مقصور ترى غزاها وأخشافها » ثم علّق عليها بحاشية رقم (٣) قائلاً : « كذا في الأصل ولعلّها ترى غزلانها » ! وهو تعليل لا يُقرّه من يملك ذوقاً لغوياً ، ولو تأمل الأستاذ - أو مساعدوه - الأصل لعرفوا أنّ عبارة الأصل هكذا : « والأطلاء » : واحدها « طلا » مقصور ؛ صغارها وأخشافها » ، أي أن « الأطلاء » الواردة في بيت الذامغة رقم (١٣) ؛ هي صغار وأخشاف البقر الوحشية . ولكنّه قد شغل نفسه بالعودة إلى كتاب « الأغاني » ليترجم للشاعر المشهور « زهير بن أبي سلمى » ؟ !

(١٢) صفحة (١٣) كتب القاضي الأكوخ بيت « زهير » الوارد في السطر الأول هكذا :

« بها العين والأرام يشين خلفه وأطلاؤه ينهضن من كل مجثم »
والصواب : « وأطلاؤها » و « يمشين » وكان عليه أن يضبط عبارة
« يمشين خِلْفَةً » كما في الأصل ، وأن يفسرها ويقول : معناها : تذهبُ هليو
وتجيءُ هذه كما في كتب اللغة .

على أن صفحة (١٣) هذه مملوءة بالغلطات المطبعية ، والسطران الرابع
والخامس يخالفان ما في الأصل المخطوط ، وقد أسقط عبارة كاملة وهي :
« وللرجال والنساء » إضربن زيدا » ، بعد قوله : « وللرجل اضربن » وكان
من واجبه وقد تصدّى للتحقيق ان يهتم بالنص أولاً ويحقق ما ورد فيه نحوياً
بدلاً من الحاشية رقم (٢) التي ترجم بها للشاعر « احيحة » بن الجلاح
وأخبره في الأغاني . .

(١٣) ص (١٤) في السطر السادس ما يلي : « والذكر شاة الضأن والظبا » وفيه
سقط والصواب :

« الأنثى شاة مثل الضأن والظبا » الخ ، وجاء في السطر الثامن : « إذا سارت
الإبل تبعه الحادي » والصواب : « تبعها » وحاشيته - من حفظه رقم (١) مع
اختها رقم (٢) التي ترجم بها للصحابي المشهور « أبي هريرة » مملوءتان
بالأغلاط المطبعية ؛ وهل سيعذرني القاضي محمد الأكوخ وأنا أعرف سعة
اطلاعه - إذا قلت أنني كلما قرأت حواشيه وتعليقاته . . ازددتُ تقديراً للجهد
المشكور الذي بذله الأستاذ حمّد الجاسر حين شطّب ، ونقّح حواشيه على
كتاب « صفة جزيرة العرب » فأنقذ « الهمداني » وأراح القراء ؟ .

وقد ضبط لفظه « مطار » في البيت السادس عشر بفتح الميم والصواب
ضمها .

(١٤) أما صفحة (١٥) ففي سطرها الثاني : « وديا ثقيف » ، والصواب :

« وديار » ، والحاشية رقم (١) تكرار لإكلام الهمداني في الأصل ؟ وفي

السُّطْر الثالث : « وهو في ديار هوازن لبني هلال » . وقد وردت العبارة في نسخة « دار الكتب » هكذا : « وهو في ديار هوازن ثم من هوازن لبني هلال » ، وفي السُّطْر الرابع : « اليمن وغيره » وفي الأصل « وغيرها » . وضبط لفظة « دَوَالِج » في بيت الدَّامِغَةِ السَّابِعِ عَشَرَ بضم الجيم والصواب فتحها ، ونكَّرَ القول أَنَّ الأمر لو كان من قبل « الغَلَطَاتِ المطبعية » لكان عليه مراجعتها من جديد أو التنبيه عليها ؛ فهي كما ترى كثيرة جداً ؛ وإهمال ذلك لا يَنْسَجِمُ مَعَ مسؤولية التصدي للتحقيق ؛ وفي الأثر « رَجِمَ اللهُ امرءاً عَمِلَ عملاً فأتقنه ، والله در القائل :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ أَمْرًا فَدَعَهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وحاشيته رقم (٢) جعل رقمها (٣) وأحال القراء إلى الإكليل لمعرفة المواقع والأماكن المذكورة في الأصل ؛ وفي رأيي ؛ أَنَّهُ لو ضَبَطَهَا وعَرَّفَ بها لأفاد ولا بأس أن يُحيل القراء إلى كتب التراجم بالنسبة إلى « كعب بن زهير » في الحاشية (٦) ، وفي رقم (٣) رسم « الشُّعْرَا » النُّجْم . . بالألف الممدودة ، وإنما هي « الشُّعْرَى » ، وفي السطر السَّابِعِ : « في طرف النهار ، والصواب : في طرفِ النَّهَارِ » . وفي السُّطْر العاشر من الأصل : « وأكثر الآل عساquil رفاق يركب الشخص » الخ والصواب : « تركب » وكان عليه أن يُفسَّرَ العَسَاقِيلُ ، وأنها جمع « عَسَقِل » ، والعَسَاقِلُ والعساquil : السرابُ ؛ والقُطْعُ المتفرقة من السحاب .

(١٥) وفي ص (١٦) أورد العبارة في السطر الثاني ؛ هكذا : « والأمواج يزهي السفينة ويرفعها » والصواب :

« تَزْهَى » ، و« ترفع » ، وكان عليه أن يُفسَّرَ « زها » وأنه يقال « زَهَا السَّرَابُ الأَكْمَةُ » ؛ أي علاها ، وأنه من « زَهَى يَزْهَى » ولا يُقال « يَزْهُو » ولفظة « مرامير » في السُّطْر الخامس صوابها : « مَوَاقِير » بالواو والقاف ، وفي السُّطْر الثامن رسم « الرِّوَاءِ » مقصوراً وهو ممدود ولم يشرح البيت كما أنه كتب « عَلِيَا » في بيت « الدَّامِغَةِ » « عَلِيَاءَ » بالهمزة المفتوحة ففسد الوزن ؛ والصواب القَصْرُ لغةً وعروضاً . ولو أن أستاذنا القاضي « الأكوخ » قد غَنِيَ

بذلك لاستفاد القارئ أكثر مما يستفيد من تلك « الحواشي » المنفعمة بالأغلاط ، والتي يذكر في إحداها « الكوفة » وأنها كانت عاصمة الإسلام أيام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأنه نفسه قد زارها وشاهد معالمها . . !
(١٦) في السطر الأول من ص (١٧) جاء :

« يقول الرجل يا آل فلان » والذي في نسخة « الدار » : « يال فلان » وهو الصواب ، وفي نفس السطر جاء : « وقد روي يايضا » يال فلان » وعلّق الأستاذ بحاشية مستغرباً دُونَ أَنْ يُصَحَّحَ العبارة ؛ ولو كنتُ منه لراجعتُ المظان من كتب الحديث واللغة . وقد ضبطَ عجزُ بيت الدّامغة التاسع عشر هكذا : « يَهْبَنُ الخِنْذِرِينَ إِذَا انْتَضَيْنَا » ! بكسر « هاء » « يَهْبَنُ » وفتح « التاء » و « الضاد » في « انتضينا » وهو وهم ؛ فالهاء في « يَهْبَنُ » أي « يَخْفَنُ » مفتوحة ؛ والتاء في « انتضينا » مضمومة على البناء للمجهول ، والضاد مكسورة لذلك ولو كانت كما ضبطها الأستاذ لفسد المعنى ، وحصل السناد وهو عيبٌ عروضيّ يتحاشاه مثل « الهمداني » .

ولكن الأستاذ قد اشتغل عن التأمل والضبط ، والتصحيح بقصة « ليلي » ابنة حلوان وسبب لقبها ، وأنها « خندفت إثر زوجها » في حاشية رقم (٤) ولم يأت في حاشيته رقم (٥) بجديد لا يعرفه كل من يقرأ القرآن الكريم .

(١٧) وسّادة الأثافي :

وفي ص (١٨) وما أدراك ماذا في ص (١٨) ؟ فأخطاؤها ، وغلطاتها تفتقر إلى رسالة مستقلة .

أولاً : رسم السطر الأول هكذا : « السفر الكتاب من التوراة والصحف والسفره الكتب » وهو تحريف والصواب « والسفرة الكتب » ؛ فالسافر لغةً هو الكاتب والجمع : سفرة وجمع الكاتب : كُتّابٌ ، وكُتّبة .

ثانياً : ضبط شطر البيت الواحد والعشرين من « الدامغة » هكذا : « لقد جعلوا طعام سيوف قومي » بفتح الجيم ، والصواب ضمّها « جعلوا » وبكسر العين .

ثالثاً : رسم البيت الذي يليه هكذا :

« كما الجرذان للسَّور طَعْمٌ وليس بهائِبٍ منها ما يبيناً ؟ »

وتجاوزه دون تعليق وفيه غلط واضح ؛ و « طَعْمٌ » بضم الطاء لا بفتحها ،
لأنَّه بالضمُّ معناه الطَّعام ، وهو ما أراده « الهمداني » أما بفتح الطاء ؛ فهو ما
يُدرِّكه الذوق من حلاوة أو مرارة ؛ ثم أن القاضي الأَكوع قد تبرَّع وأضاف إلى
البيتِ « ما » وحرف « مئينا » فجعلها « يينا » والبيت في الأصل هكذا :
« وليسَ بهائِبٍ منها مئينا » أي أن « السَّور » لا يهاب الحشرات مِن الفئران . .

رابعاً : ضبط البيت الثالث والعشرين هكذا :

« كما جَعَلْتُ دِماؤَهُم شِراباً لَهْنٌ بِكُلِّ أَرْضٍ ما ظَمِئنا .
ففتح جيم « جُعِلْتُ » و « عَيْنُها » ، وهمزة « الدِّماء » والصواب ضمُّ الجيم
وكسر العين وضمُّ همزة « الدماء » ، كما أنَّه همز لفظة « ظمينا » وسكَّنها
والصُّوابُ أن ترسم بالياء ليستقيم الوزن . . وهو في نسخة الدَّار هكذا - وكما
ضبطناه :

كما جُعِلْتُ دِماؤُهُم شِراباً لَهْنٌ بِكُلِّ أَرْضٍ ما ظَمِئنا
وفي البيت الَّذي يليه ضبط « القاضي » « يَنْطَقْنَ » بضم « الطاء » والصُّواب
كسرها كما في القرآن الكريم .

خامساً : جعل « البأس » بالياء الموحَّدة في البيت السادس والعشرين
« يأساً » بالياء المُثناة ، وجعل « الخُلُقَ » بتسكين اللام وفتح الخاء بمعنى :
« النَّاسُ » « خُلُقاً » بضمَّ الخاء واللام ؛ بمعنى سَجِيَّة وعادة . . وكأنَّه قد تعوَّد
على الاخطاء فكسَّرَ لام « الخُلُق » في غلطِيهِ وهو خطأ مُركب .

سادساً : وهي سادسة الأثافي إن صحَّ هذا التعبير ، والذي سمعناه من شيوخنا
ومنهم القاضي محمد الأَكوع - سامحه الله - أنهم يقولون : « رماه بثالثة
الأثافي » أي بالشرِّ الماحق ، ولكنِّي سأتجاوز السماع ؛ لأننا نعيش في عصر
« الأفران الكهربائية » ول بعضها ستة « عيون نارية » . . ! نعم هي سادسة

« الأثافي » فقد ضبط « الأكوع » البيت السابع والعشرين من الدَّامغة ضبطاً غير صحيح ، ثم علّق على كلام « الهمداني » بحاشية رقم (٢) تعليقاً لا يدلّ على أنّه قد فهم « البيت » ولا « الشرح » ولا على أنّه قد حاول أن يفهمهما ؛ وفي الأصل قد ورد البيت كما يلي :

« كَأَكْلِ النَّارِ مِنْهَا النَّفْسَ أَنْ لَمْ تَجِدْ حَطْباً ، وبعضَ الموقدِنا »

وشرحه الهمداني فقال : « أَنْ لَمْ : إذ لَمْ ، والفقهاء تذهب بأنّ « مَذْهَبٌ » إذ فلو قال رجلٌ : « امرأتي طالقُ أَنْ دَخَلْتُ الدَّارَ طَلَقْتُ » على معنى : إذ دَخَلْتُ الدَّارَ ، ولا تُطَلِّقُ إذا قال : « إِنْ » بالكسر على . . . الإستئناف . هذا شعر « الهمداني » وكلامه ؛ وهو واضحٌ يعرفه كلّ من يعرف العربيّة شعراً ونثراً ، ولو أراد أيّ أستاذ لغة أن يُفسّره للتلاميذ وأن يُقربه إلى أفهام مَنْ لَمْ يَتَعَوَّدُوا بَعْدُ على بعض الأساليب ؛ لكان في إمكانه أن يقول : أراد « الهمداني » أنّ عبارة « أَنْ لَمْ » في بيت « الدَّامغة » قد جاءت بمعنى « إذ لَمْ » ثم استطرد فقال : أنّ « الفقهاء » يعتبرون « أَنْ » المفتوحة الهمزة كما يعتبرون « إذ » الظرفيّة ولذلك فلو أنّ رجلاً قال أنّ امرأته طالقُ أَنْ دَخَلْتُ الدَّارَ - بفتح همزة أَنْ - فإنّ الطلاقَ ينفذ لأنّ معناها « إذ دَخَلْتُ الدَّارَ » ، أيّ بسبب دخولها الدَّارَ ؛ الذي قد دخلته فعلاً ؛ ولكنها لا تطلق إذا قال : إمْرَأَتُهُ طالقُ إِنْ دَخَلْتُ الدَّارَ بكسر الهمزة في « إِنْ » لأنها شرطية مثل قوله تعالى : « إِنْ يَنْتَهُوْا يُغْفَرْ لَهُمْ » أما « أَنْ » المفتوحة الهمزة فهي مصدرية . ولا أزال أذكر أنّني قرأتُ مع القاضي محمّد الأكوع نفسه كتاب « مُعْنَى اللَّيْبِ » لابن هشام عندما كنّا معاً في مُعتقل « قاهرة حجة » سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - وأنّ « ابن هشام » رجّح أنّ « أَنْ » المفتوحة تكون بكُلِّ أمثلتها مصدرية . . ولكنّ القاضي الأكوع وبعد ثمانية وعشرين عاماً جاء فضبطَ عبارة « أَنْ لَمْ » في البيت بكسر الهمزة ، ثم علّق على شرح الهمداني المذكور أعلاه بالحاوية رقم (٢) فقال : « كذا في الأصل وفي « م » نأن من إذ لو « هكذا » باسقاط « هب » ولعل العبارة تكون « والفقهاء تذهب أن لو مذهب إذ لو » « هكذا » وبهذه الركاقة . . وهو وهمٌ والصواب ما ذكرته وهو الواضح في الأصل وفي نسخهِ

الدار ؛ هَذِهِ هِيَ سَادِسَةُ « الْإِثْنَانِي » !

(١٨) لَا تَقْد وَلَا تَحْقِيق :

ص (١٩) ضبط « القاضي الفاضل » البيت الثامن والعشرين من الدّامغة هكذا : « إِذَا لَمْ تَسْكُنِ الْغُبَاءَ خَلَقَ » والصواب : « إِذَا لَمْ يَسْكُنِ » بتثوين « إِذَا » وبالياء في يسكن . ورسم شطر البيت التاسع والعشرين هكذا :

« سَوَانَا يَا آلَ قَحْطَانَ بْنِ هُودَ » ، والصواب : « يَا لَ قَحْطَانَ » ، وفي السادس وردت العبارة هكذا : « عَامِرُ الْأَرْضِ بِطَلِيمُوسَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْخ » ولعل هناك سقط وإنّ الصّواب « عَامِرُ الْأَرْضِ » كما قال بطليموس الخ « ولعلّ القاضي لم يتنبّه ، لأنّه كان مشغولاً بالبحث عن ترجمة « أَبِي ذَرَّ الْغِفَارِي » مؤكداً أنّه أول من نادى بالاشتراكية الإسلامية ، ناسياً أنّ أستاذ « أَبِي ذَرَّ » وغيره من المسلمين هو سيّد الأنبياء محمد ﷺ غير مُتَذَكِّرٍ ما قال « شوقي » فيه :

الإشترائيون أنتَ إمامهم لولا دَعَاوِي الْقَوْمِ وَالْغُلُوءِ
دَاوَيْتَ مُتَقَدِّمًا وَدَاوَا طَفَرَةً وَأَخَفُ مِنْ بَعْضِ الدَّوَاءِ الدَّاءُ
ولكن كلّ ذلك من فضول القول ؛ ولا علاقة له بالأرض وجغرافيتها ، وما قاله
« بطليموس » والهمداني والعلماء ؛ ثم نقل عن دائرة المعارف ترجمة
« بطليموس » ؛ والغلط المطبعية في هذه الصّفحة والصّفحات التي تليها
(٢٠) و (٢١) كثيرة جداً ؛ ولم يُحَقِّقْ فيها أو يضبط شيئاً من كلام الهمداني
ولكنّه اغتنم الفرصة فترجم للمشهورين أمثال : « محمد بن إسحق »
و « الأصمعي » ثم تحدّث عن « فلسطين » ، والاختلافات السياسية بين
العرب ، مما لا علاقة له بموضوع كتاب الدّامغة . . وخليق أن يكتبه
للمصحف اليومية . وكنتُ انتظر منه أن يذكر صواب أو خطأ رأي القدماء بالنسبة
لجغرافية الأرض وسكّانها وما أقرّه الهمداني من أنّ نصفها الجنوبي غير
مأهول ! . . لأننا نعيش بعده بأكثر من ألف عام . . وقد تطوّرت المعارف
الكونية والجغرافية ، بتطوّر العلم ووسائله تطوّراً مريعاً هائلاً .

الفصل الثاني

غلطات التايضي ونصيحة صديق

بينما كنتُ في «خميم المشوار» كما يقولون في «صنعاء» وهم يعنون : «شدة الجري» ، أو ما قصده الأولون عندما قالوا : «بينما الفارس في ميعه حضره» ، وأنا أجبر هذه التعليقات . . إذ شرفني بالزيارة صديقٌ يمني ، أديب ؛ وكان لا بد أن أبثه ما يجول في خاطري عن كتاب «الدامغة» وشرحها للهمداني وتحقيقات وحواشي «الأكوع» وعرضت عليه بعض تعليقاتي وتصحيحاتي للأخطاء المطبعية والغلطات الأدبية والبيانة . . فذهل لكثرة ما رأى من هفوات لا يقترفها عالمٌ محقق ، أو أديبٌ مدقق . . إلى ركّو في أسلوب التأليف والاخراج ، وتطويل في السرد ، وفيما لا طائل تحته ، وبطريقة لا يجوز أن تُنشر في كتابٍ باسم «لسان اليمن» الشاعر المؤرخ الحسن بن أحمد الهمداني وهو ذو الأسلوب الأصيل .

ثم عرضتُ على الصديق نسختي التي صورتها سنة ١٩٥٥ عن نسخة «دار الكتب المصرية» وتعليقاتي عليها ، وأطلعته على «قصيدة الدامغة» دون شرح ، وما أضفته إليها من نسخٍ أخرى ، وكنتُ قد بذلتُ جهدي في ضبط ألفاظها ، وتصحيح تحريفات النسخ ، وأضفتُ ملحقاتاً أحاول فيه التعريف بمن توفقتُ إلى العثور على معلوماتٍ عنهم ممن وردت أسماءهم أو أشعارهم وأخبارهم في متن «الدامغة» وشرحها . . ولا سيما إذا كانوا من أبناء اليمن ولم يردّ لهم ذكرٌ فيما اصطلح أدباء العرب على تسميتها بأصول الأدب العربي مثل «الأغاني» و«الأمالي» و«كتيب السير» و«الطبقات» المتداولة مكتفياً بلفتِ نظر القارئ إلى مظان تراجم المعروفين .

وقد لاحظ الصديق - أول ما لاحظ أن عدد أبيات «قصيدة الدامغة» في «المتن» الذي عنيتُ بضبطه سواء ما كان منها في نسخة دار الكتب ، أو

مانقلته من أوراق ملحقة بأحدى نسخ الجزء الأول من الاكليل . . قد بلغ
ستمائة وسبعة واربعين بيتاً بينما لا تحتوي « الطبعة الأكوعية » إلا على « بيتين
وستمائة بيت » .

مَعَ أَنِّي قَدْ نَبَهْتُ إِلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَبْيَاتِ مَنْحُولَةٌ وَلَا يَتَّسِجِمُ نَفْسُهَا مَعَ نَفْسِ
الْهِمْدَانِيِّ وَقَدْ كَانَ شَاعِراً مَجِيداً .

ولكي أدلل للصديق على أَنَّ جُهد القاضي الأكوع لم يكن كافياً ، ولذلك
ذَهَبَ هِدرًا ؛ وَأَنَّهُ لَمْ يَتَّعِبْ نَفْسَهُ فَقَطْ ؛ بَلْ وَعَمَّالَ الْمَطْبَعَةِ ، بَلْ وَالسَّيِّدَةَ
الْكُرَيْمَةَ ابْنَتَهُ بَلْقَيْسَ مُحَمَّدَ الْأكُوعِ ، وَالنَّبِيلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْأكُوعِ
وَالْقَاضِي الْعَلَامَةَ أَحْمَدَ الْهَيْصَمِي ، الَّذِينَ اثْنَى عَلَى جُهودِهِمْ فِي آخِرِ
الْكِتَابِ ، بَلْ وَأَهْرَقَ الْمَدَادَ ، وَأَفْنَى الْبَيَاضَ عَبْثاً . . قُلْتُ لِلصَّدِيقِ -
مُوكِّدًا : خذْ كِتَابَ الدَّامِغَةِ هَذَا وَافْتَحْ أَيَّ صَفْحَةٍ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِ قَوْلِي :
فَتَنَاولَهُ وَفَتَحَ وَهُوَ مَغْمُضُ الْعَيْنَيْنِ صَفْحَةَ ١٥٨ - وَقَرَأَهَا ، وَالصَّفْحَةَ الَّتِي
تَقَابِلُهَا ١٥٩ .

لقد وجدنا فيهما عشرين غلطة مطبعية ! من واجب أي مؤلف أو ناشر كتاب -
أي كتاب - أَنْ يُصَحِّحَهَا ، وَأَنْ يَوْضَحَ الْغَامِضَ مِنْ حُرُوفِ الْكَلِمَاتِ ، وَيُنَسِّقَ
الْمُتَنَافِرَ مِنْهَا وَيُعِيدَهَا لِلطَّبْعِ مِنْ جَدِيدٍ . وَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعْتُ مَعَ الصَّدِيقِ إِلَى
نَسَخَتِي فَاسْتَشْتَجْنَا - إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْأَخْطَاءِ مَا يَلِي :

أَوَّلًا : رَسَمَ الْقَاضِي الْأكُوعُ شَطْرَ الْبَيْتِ الثَّالِثِ وَالسَّبْعِينَ بَعْدَ الْمَثَلَةِ مِنْ
الدَّامِغَةِ هَكَذَا : « وَمَا كُنَّا لَهُ بِمُحْضَرِينَا ؟ فَجَاءَ وَمَعَ « الزَّحَاف » . . لَا
يَحْوِلُ مَعْنَى وَإِنَّمَا الْبَيْتُ هَكَذَا :

« بِلَا مَهْرٍ كَتَبْنَاهُ عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لَهُنَّ بِمُحْصِرِينَ
مِنْ حَصْرٍ بِالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، لَا مِنْ حَصْرٍ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ ، وَمَعْنَاهُ ، وَمَا كُنَّا
بِمُتَمَتِّنِينَ عَنْ مُقَارَبَتِهِنَّ ، قَالَ فِي « الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ » : « وَحَصَرَ كَكْرَمٍ
وَقَرَحَ وَأَحْصَرَ ؛ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ النِّسَاءَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ ، أَوْ الْمَمْنُوعَ مِنْهُنَّ ،
أَوْ مَنْ لَا يَشْتَهِيَهُنَّ وَلَا يَقْرِبُهُنَّ ، وَحَصَرَ عَنِ الْمَرْأَةِ : إِمْتَنَعَ عَنْ اتِّبَانِهَا » .

ثانياً: لم يضبط كلمة « البخاتي » في البيت رقم (١٧٤) « سوى ضرب كاشداق البخاتي » وضبطها « بَخَاتِي » و« بَخَاتِي » وهي الإبل الخُراسانيّة .

ثالثاً: ترك قول الهمداني: « قال الحميري: شيثان لا يُزْدْهدانٍ ؛ شدقُ جمل أو شدق حنش » بلا ضبط ودونَ تفسير وكان عليه أن يقول في « حاشية صغيرة » « اَزْدَهَدَ الشيء : عدّه قليلاً كما في القاموس .

ورابعاً : استشكل ما بين القوسين على حدّ تعبيره وهي عبارة الهمداني : « إنك تنظر إلى الثعبان » في جلة العصا أو أجلّ شيئاً الخ . بتعليق قال فيه « إنها غير واضحة المعنى » ثم كاد أن يفسرها تفسيراً صحيحاً ومن الواضح أن الهمداني يقصد « انك ترى الثعبان في دقة أو شكل العصا أو أضعف منها قليلاً ومع ذلك يستطيع بشدقه أن يزْدِرِدَ الفارَ واليربوع الخ » وفي المنجد : « أجلّ الرجلُ إجلالاً » ضد « قوي ؛ ضَعْفَ . . »

خامساً : رسم عبارة السطر الأول من صفحة (١٥٩) هكذا « وأراد بهذا الضرب يقدم الهامات إلى المتون » فجاءت وكأنّ لا معنى لها وصوابها من نسخة الدار هكذا : « وأراد أنّ هذا الضرب يُقدّم الهامات الخ »

سادساً : رسم البيت رقم (١٧٥) هكذا :

« ترى أَرْجَاهَا مِمَّا تَنْتَأْتُ وَأَرْغَبَ كُلُّهَا لَا يَلْتَقِينَا »
وفيه غلطات ثلاث والصواب كما يلي :

« ترى أَرْجَاهُ مِمَّا تَنْتَأْتُ وَأَرْغَبَ كُلُّهَا لَا يَلْتَقِينَا »
فضمير الأرجاء - ممدودة - إلى الضرب في البيت السابق وتناءت ممدودة . .
وكلمها بالضم فاعل أرغَبَ .

سابعاً: رسم سطر البيت رقم (١٧٦) هكذا: « وطعن مثل أبها الصياصي »
وانما هو : « مثل أبهاء » .

ثامناً: غلط في كتابة الرجز الذي استشهد به الهمداني وذكر ثوراً أجوف فأورده هكذا :

« أجوف بها بهوه فأوسعا » ولم يضبطه ولم يفسره وإنما هو هكذا : « أجوف
بهى بهوه فأوسعا » وكان عليه أن يفسره فيقول : « الأجوف : الأسد العظيم ؛
ومن الدواب : الذي يصعد البلق منه حتى يبلغ البطن » كما في القاموس ؛
وبهى البيت وسعه ؛ وأما بهو فقد قال الهمداني في الأصل أنه « كناس
الثور » وهكذا . . ولو شئت لقلت : وتاسعا ، وعاشرا ، ولا حول .
ولا . . . !

وفكر الصديق وأطرق ملياً ثم قال: وإلى أين ستمضي يا أخ احمد ؟ إنك
ترهب نفسك دون جدوى ؛ نعم إنك تُصحح ما اقرره غيرك من أخطاء
وتحاول إفادة القارىء ، وإنقاذ كتاب الهمداني من التشويهاات ، ولكن هل
يعني ذلك أنك لن تطبع الدامغة وشرحها بتصحيحاتك ، وضبطك والزوائد
التي عثرت عليها ، والتنبيه على ما ظننت أنه مدموس فيها ؟ قلت : إذا
توفقت إلى إكمال تصحيح وتصويب طبعة القاضي محمد الأكوخ فذلك
يكفي ، قال : وهل سيطبعها الأكوخ من جديد ؟ وينفي تلك الحواشي التي لا
فائدة فيها ، ويثبت تصويباتك ؟ قلت : في إمكان أي قارىء قد اقتنى نسخة
« الأكوخ » أن يضيف إليها تصويباتي أو ما يراه منها صواباً إلى نسخته . .
فضحك الصديق ساخراً . . وقال . لا . لا . لا . إن هذا هو عين العنت
والارهاق لك وللقرءاء . فاتق الله في نفسك ، وفي الأدباء ، وفي كتاب
« الهمداني » ، حسبك بما سبق من الصفحات تنبيهاً للقارىء العربي ، يعرفه
وبالبراهين الدامغة : أن كتاب « قصيدة الدامغة » الذي أخرجه القاضي محمد
الأكوخ وادعى أنه حققه كتاب لا يجوز أن يقتنى . . وأن « الأكوخ » قد أساء
إلى الهمداني ، والأدب اليمني . إساءة لا يكفر وزرها إلا أن يجمع القاضي نفسه
جميع نسخ هذه الطبعة ويحرقها ؛ وينشر ندمه وأسفه في الجرائد ، وواجبك أن
تواصل العمل من أجل خدمة هذا السفر الجليل ، وتنشره في حلقة قشبية تليق به
وبك وبالهمداني العظيم .

وتأثرت بكلام الصديق ؛ واطمأنت نفسي إلى نصيحته . ولكنني سألته ؛
هل قرأت « المقدمة » التي وضعها الأكوخ بين يدي الكتاب في ثمانية وثمانين

صفحة ؟ قال : كلاً .. وكيف لي .. وهذا أول عهد لي بمعرفة طبع الكتاب ؟ قلتُ هاكها .. وشرعتُ في إملائها عليه ، وما إن قرأتُ بضعة صفحات حتى رأيته مُمتعضاً « يُحوّل » وقال : ما هذا .. ؟ أترى صديقنا قد خُرف ؟ قلتُ وما يأتي أنكى وأذهى ؛ وقرأتُ عليه بعضَ المقاطع .. فقال حقاً إن هذا هو البلاء ؛ إنه نكبة على التاريخ والأدب والوطنية ، واللغة ، والتقاليد والدين .. عليك أن تُنقذ الكتاب وأجيال اليمن الوافدة من مثل هذه الأباطيل والترهات .

وصادفتُ نصيحة الصديق هوى في نفسي ؛ ولا أبرئ نفسي - وعرفتُ أنه على حق .. ولكن قبل أن أترك « كتاب الدأمة » وأنفِرج لمناقشة مقدمة القاضي محمد الأكوخ « الحوالي » أود أن لا أترك جهدي السابق مبتوراً ؛ ولذلك ألفتُ نظركلَّ مَنْ تقع في يده نسخة من كتاب الدأمة بتحقيق القاضي الأكوخ إلى ما يلي :

أولاً : أن الأخطاء المطبعية والتصحيحات كثيرة جداً ولو جُمِعت في جدول للخطأ والصواب لكان في حجم كتاب كبير .. ولذلك فاعادة طبعه من جديد مُصححاً أفضل وأيسر وأقرب إلى الصواب . وحسب القارئ أن يرى أن تصحيحاتي الموجزة لعشرين صفحة منه قد استغرقت أكثر من عشرين صفحة .

ثانياً : لقد أراد القاضي أن يتباهى بمعلوماته ، وأن يجعلَ من حواشيه وتعليقاته « كشكولاً » فلم يدعُ فرصةً تعنُّ له إلا واستطرد وأسهب وأطال فيما لا طائل تحته ، كما أنه لم يترك اسماً يذكره الهمداني أو يستشهد بكلايو - وهو من الأعلام المشهورين إلا وبرى القلم مترجماً مُستشهداً ؛ وكانت الإشارة إلى الكتب التي نقل عنها تكفيه وتُعني القارئ ولو أنه قد اتبع ذلك مع « المغمورين » من « اليمنيين » وغيرهم ، لكان معدوراً بل مشكوراً ؟ ولقد أحصيتُ أكثر من مائة وعشرين حاشية كلها تراجم لاعلام بارزين من خلفاء وصحابة وشعراء أولى واجبات الطلاب المبتدئين الاحاطة بأخبارهم ، وأثارهم ومنهم بطليموس وارسطو والحجاج ، وامروء القيس - وكل شعراء

المعلقات وعثمان بن عفان ، وطلحة ، والزبير ، وأولاده ومعاوية بن أبي سفيان ، ومعظم خلفاء بني أمية ، وهارون الرشيد ، وكثير من الخلفاء العبّاسيين ، وأبونواس والخليل بن أحمد وأمثالهم ممن تطفح بهم وبأخبارهم الكتب الميسور تداولها .

ثالثاً : وهذا من الأهمية بمكان - لقد كان الأستاذ رغم تبخّره فيما هو معلوم شائع - يتهرب عن تحقيق ما يفتقر الى التحقيق ، إن كان ذلك سيكلفه جهداً وأناةً وتأملًا ، ومثله ما ورد في صفحة (٣٨) و(٣٩) قال الهمداني وهو يشرح قوله :

فما وجدوا راعاً يوم حفل ولا عند الهجاء مُفحّميناً
« والمفحم : المنقطع الجواب في الشعر والكلام يُقال : فحمت فلاناً أيّ قطعته عن الجواب ، ومن ذلك الحديث عثمان بن عفان أزدرى عامراً كما نظر إليه ، وظنه اعرابياً فقال أين ربك يا اعرابي فقال عامر : بالمرصاد »
« قال فلم يرد شيئاً وفحم الخ » .

هكذا رسم الأثووخ كلام الهمداني وفيه أخطاء وسقط، والذي في نسختي عن نسخة « الدار » ما يلي :

« والمفحم : المنقطع الجواب في الشعر والكلام يُقال » « أفحمت فلاناً أي قطعته عن الجواب ، ومن ذلك الحديث : أن عثمان بن عفان أزدرى عامراً لما نظر إليه وظنه اعرابياً فقال الخ » وقد علق القاضي - طبعاً بعد أن ترجم للخليفة عثمان رضي الله عنه بحاشية رقم (٢) قائلاً : « لا أعرف عن عامر هذا شيئاً ، وقوله « كما » ، لعلها « لما » ، أو « كلما » . ثم انتقل بحاشية أخرى إلى أبي العلاء المعري . ا

وقصة عثمان مع « عامر بن عبد قيس » معروفة لدى الأدباء وقد أوردّها « الجاحظ » في « البيان والتبيين » الجزء الثاني ص (٢٣٦) تحقيق هارون كما يلي :

قال وخرج عثمان بن عفان رحمه الله من داره يوماً وقد جاء عامر بن عبد

قيس ففَعَد في دهليزه فلَمَّا خرج - أي عثمان - رأى شيخاً دميماً أشغى نَطَافاً في عباءة ؛ فأنكره ، وأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي أين ربك ؟ فقال : بالمرصاد . ويقال أن عثمان بن عفان لم يُفجِّمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس؛ والشغى : تراكب الأسنان واختلافها ، والثط : صغير اللحية .

وعامر بن عبد قيس ؛ الذي قال القاضي محمد الكوع محقق كتاب لسان اليمن . . أنه لا يعرف « عن عامر هذا شيئاً » . . هذا عامر بن عبد قيس هو التابعي المشهور ، وكان غاية في الزهد ، وترجمته في « صفوة الصفوة » وهو صاحب الكلمة الرائعة « الكلمة إذا خرجت من القلب وقَعَتْ في القلب » وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان .

أما كان على صاحبنا سَامَحَهُ الله أن يَبْذُل قليلاً من الجهد، والتأمل فلا يُسقط بعض الحروف والكلمات ولا يضبط لفظة « الرُعاع » بضم الراء لأنها بالفتح حتى ولو لم يُترجم للخليفة عثمان رحمه الله ؟؟

رابعاً: وهذا مهم أيضاً - أنه كثيراً ما يضيف إلى الأصل من « عندياته » ألفاظاً يخيّل إليه بوجودها أن « أبيات » الهمداني ستكون أكثر وضوحاً ؛ ناسياً أن للشعر موازين لا تقبل الزيادة ولا النقصان ، مثلما فعل بالبيت رقم (٣٠٦) إذ رسمه هكذا : ص (٣٠٧)

« فومًا قد جهلتم لم تكونوا لما قد أعطيتموه أخذينا »
فأضاف : « قد » ليُحقّق المعنى في ذهني فافسد الوزن وفي الأصل : « لما أعطيتموه أخذينا » . وأحياناً يُصحّف اللفظة في « البيت » ثم يعلّق على « التصحيف » مُستغرباً كما صنّع بالبيت رقم (٣٠٧) في نفس الصفحة فقد رسمه هكذا :

« ونَصَرْتُهُ ذُوو الألباب مِنَّا فأقبلنا إليو مُبادرينا »
وقال في الحاشية رقم (٥) « ونَصَرْتُهُ بالنون أوله وتاء المؤنثة والهاء آخره . . كذا في الأصلين وفيه ما فيه من ثقل الوزن » ا مع أن الأمر ليس « ثقل الوزن » بل فساد المعنى ! فالهمداني لم يقل « نصرته » بل قال « وبَصَرَهُ ذُوو الألباب

وَمَا الْغ : بَصْرُهُ بِالْيَاءِ الْمَوْحَدَةِ ، وَالصَّادُ الْمَشْدُودَةُ الْمَكْسُورَةُ مِنْ « الْبَصِيرِ »
يَعْنِي أَنَّ مَا جُوهَلَهُ الْكَافِرُونَ مِنْ « قُرَيْشٍ » كَمَا ذَكَرَ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ رَقْمِ
(٣٠٦) قَدْ اهْتَدَى إِلَيْهِ عَقْلَاءُ « الْأَنْصَارِ » فَاتَّبَعُوهُ . وَلَوْ كَانَ يَمْلِكُ بَصِراً شَعْرِيّاً
لَمَا خَفِيَ عَلَيْهِ ا وَكَمَا صَنَعَ بِالْبَيْتِ رَقْمِ (٤٣٧) ص ٤٣٦ فَقَدْ رَسَمَهُ هَكَذَا .

« يُنْبَهُ سَعْدٌ حَسَّانٌ عَلَيْهَا إِذَا أَنْشَدَتْ مُوَهُ الْقَاطِنِينَا »
فَقَدْ صَحَّفَ وَغَلَطَ فِي الضُّبُطِ ثُمَّ اسْتَشْكَلَ الْأَمْرَ فَعَلَّقَ بِالْحَاشِيَةِ رَقْمِ (٢) قَائِلاً :
« كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ ، وَالْأَمْرُ مُشْكِلٌ فِي رَفْعِ الْأَسْمَيْنِ » يَعْنِي رَفْعَ « حَسَّانِ »
و« سَعْدِ » مَعَ أَنَّ بَيْتَ الدَّامِغَةِ فِي الْأَصْلِ كَمَا يَلِي :

« يُنْبَهُ شِعْرٌ حَسَّانٍ عَلَيْهَا إِذَا أَنْشَدَتْ مُوَهُ الْقَاطِنِينَا »
فَأَنْتَ تَرَاهُ قَدْ صَحَّفَ لَفْظَةَ « شِعْرٍ » وَجَعَلَهَا « سَعْدَا » وَاخْتَلَطَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ كَمَا
قَالَ : وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْهَفَوَاتِ لَا تَكَادُ تُحْصَى فَلْيَتَّبِعْهُ الْقُرَّاءُ .

الفصل الثالث

مقدمة الأکوع والصلاة على الرسول

استولى عليّ العجب ، بل أخذتني الدهشة حين قرأت أولَ صفحةٍ من مقدمة القاضي الأکوع لكتاب قصيدة الدأمة ؛

لقد حمّد الله وصلى على رسوله المختار ثم . . . وبطريقة تنم عن تعمّدٍ وغرضٍ خفيّ تخطى آل النبيّ وصلى على الصحابة والتابعين .

أمّا أن يصلي على محمد ﷺ ولا يذكر الآل ولا الصحابة والتابعين فله ذلك كما أظنّ - مثلما له الحق في أن يذكرهم جميعاً ؛ ولن يكون الأول إن حذفهم جميعاً ، ولن يكون الأخير ؛ وشواهد ذلك كثيرة ؛ قديماً وحديثاً .

ولكن ؛ أن يصلي على النبيّ الأمين . . . ثم يتخطى الآل ويتجاهلهم ، ويصلي على الصحابة والتابعين . . . فذلك ما لا أجد له تفسيراً أو مبرراً ؛ وفيه ما فيه ، وهو ما لم يسبق إلى مثله في حدود معرفتي .

نعم ؛ لقد حدّثنا الرواة أن عبد الله ابن الزبير رحمه الله تعمّد إهمال ذكر الرسول ﷺ في بعض خطبه عندما تولّى الخلافة ؛ وحين عوتّب على ذلك - وهو الصحابي الجليل - قال ما معناه أنه يصلي عليه سرّاً : لأنه كان يرى أنوفاً تشمخ عند ذكره . كأنه يقصد « بني هاشم » ، وقد عدّوا ذلك من هفوات ابن الزبير رحمه الله .

ولقد حدّثنا الرواة أن خلفاء بني أمية قد سنّوا « لعن عليّ » وهو أبو الآل - على المنابر ، وفرضوا شتمه يوم كلّ جمعة يسعى فيها الناس إلى ذكر الله ؛ حتّى ألغى ذلك الخليفة الرشيد عمّر بن عبد العزيز رحمه الله وقال الشريف الرضي في ذلك :

يا بن عبد العزيز لو بكت العينُ فتى من أميّة لبكىتك

أَنْتَ نَزَهْتَنَا عَنِ السَّبِّ وَالشَّتْمِ . فلو أمكنَ الفداءَ فديتُكَ
وقصة الخطيب الأموي الذي لعنَ أمير المؤمنين عليّاً رضي الله عنه
على منبر « الجامع الكبير » بصنعاء وثوب أبنائها عليه وفراره إلى ناحية « ضلاع »
ولحاق الناس به حتى أدركوه ودفنوه مع بغلتيه رمياً بالحجارة مشهورة . . ولا
يزال قبره يُسمَّى « قَبْرُ الْكَافِر » ويقذفه مَنْ يَجْتَازُهُ بِالْحَصَى .

كما أني أعلم - مثلما يعلم الكثير - أن جماعة من العلماء قد اختلفوا في فهم
مذلول « آل » ومن هم ؛ وذلك بحث طويل حتى قال نشوان الحميري :

آلَ النَّبِيِّ هُمْ أَتْبَاعُ وَلِيِّهِ مِنْ الْأَعْرَاجِمِ وَالسُّودَانِ وَالْعَرَبِ
لو لم يكنَ آله إلا قرابته صلى المصلي على الطاغى أبي لهب

وفي ديوان الشاعر الحسن بن علي بن جابر الهبل - ولا يزال مخطوطاً - أنه
أعار رجلاً كتاباً فأعاده وقد كُتِبَ فيه البيتين : « آلَ النَّبِيِّ هُمْ أَتْبَاعُ مَلَكَةِ الْخِ »
ولكن الرجل غلط ونسبهما إلى الامام الشافعي فلما اطلع « الهبل » على ذلك
كُتِبَ تحتَهُما :

« آلَ النَّبِيِّ هُمْ أَتْبَاعُ وَلِيِّهِ مِنْ مُؤْمِنِي رَهْطِهِ الْأَدْنُونِ فِي النَّسَبِ
هذا يقال » ابن إدريس « الذي رَوِيَ الْأَعْلَامُ عَنْهُ قَوْلٌ عَنْ مَنْهَجِ الْكَذِبِ
وعيندنا أنهم أبناءُ فاطمة وهو الصحيح بلا شك ولا ريب

نعم كل ذلك معروف ويحتمل النقاش والجدل ؛ ولكنني ما كنتُ أظنُّ أنَّي
سأسمع « قاضياً » يُصَلِّي على النَّبِيِّ وأصحابه وأتباعه ويتعمد حذف « آل »
لأنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْقَاضِي « الْفَاضِل » محمد بن علي الأكوع ، قد لا يحمله
على السلامة ، ويحسب تصرفه من باب البغض والقليل وهو ما لا أحبُّ نسبته
إلى مثله . وفي « علي » تهلك فتتان ، كما في الحديث . . ولا أريدُ أن أكون
ثقيلاً على القاضي الأكوع ، ولا على « آله » ومنهم الطيِّبون الذين تشملهم
الصَّلَاة حين أصلي على أتباع « سيدنا محمد » إلى يوم الدين . . ولكنني أريدُ
أن أنبئه ، وأذكر القراء بما ورد في صحيح البخاري ، ومسلم ، والسنن
الأربع عن كيفية الصَّلَاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ وهي
التي علمها الرسول الكريم أصحابه ، وقد أوضحها القاضي العلامة يحيى بن

محمد الأرياني رحمه الله في كتابه « هداية المستبصرين » « بشرح عدة الحصن الحصين » وبتحقيق نجله الأخ العلامة القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني رئيس المجلس الجمهوري سابقاً حيث قال في ص (٣١٥) يذكر الحديث :

أخرجه البخاري ومسلم وأهل السنن الأربع قال الشوكاني : وهو من حديث كعب بن عجرة « رض » أنه قال لعبد الرحمن بن أبي ليلى : ألا أهدي لك هدية سمعتها من رسول الله ﷺ ؟ قال : بلى فأهدها إليّ ، قال : سألتنا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلّم عليكم ؟ قال : قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » إلى آخر ما سرده من روايات ، كلها تجعل الصلاة على « الآل » مقترنة بالصلاة على الرسول ؛ ولا ذكر فيها للصحابه ، ولا للتابعين ؛ وكان القاضي العلامة يحيى الأرياني رحمه الله قد أشار في ص (٣١٣) من شرحه المذكور إلى اختلاف العلماء في إطلاق « الآل » فقال : يختلف العلماء في إطلاق الآل فذهب البعض إلى أنهم من تحرّم عليهم الزكاة ؛ ثم قيل أنهم « بنو هاشم » « بنو المطلب » ، « وقيل هم عليّ عليه السلام ، وفاطمة والحسنان ، وذريتهم ، وقيل كل مؤمن تقى ، وقيل أمة الإجابة ، واختاره الأزهري والنووي في شرح مسلم ، وإليه مال القاضي نشوان بن سعيد الحميري « في نظموه المشهور وهو بعيد » إنتهى كلام القاضي يحيى بن محمد الأرياني وهو كلام العلماء الباحثين .

ومآذا ترى كأن سيفضّر القاضي محمد الأكوخ لو ذكر « الآل » خضوعاً لأمر الرسول ﷺ وتساؤل ، وعنى ما مال إليه « الأزهري » أو « النووي » ، أو « نشوان » ؟

وهل يذكر قصة صاحب الروضة وخصومه من بيت : « أبو طالب » و « الطيّبين الطاهرين » و « دخلوا » و « خرجوا » ؟؟ أفما كان له أن يتخذ من كل ذلك

قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَيُبرَدُ بِذِكْرِ الْآلِ لَوَاعِجُ نَفْسِهِ ذَاهِبًا فِي التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ وَالْقَصْدِ
مَا شَاءَ لَهُ عِلْمُهُ أَوْ هَوَاهُ ؟؟

أما كان لَهُ في أَبِي مُحَمَّدٍ « لِسَانُ الْيَمَنِ » وصاحب الدَّامِغَةِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ
الْهَمْدَانِي الْمَثَلُ الَّذِي يَحْتَذِيهِ وَيَنْهَجُ نَهْجَهُ فَيَصِلُ عَلَى الرَّسُولِ وَآلِهِ كَمَا صَلَّى
الْهَمْدَانِي فِي مُقَدِّمَتِهِ لِلسَّرْحِ حَبِثَ قَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ص (٣) :
وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى ، وَرَسُولِهِ الْمَجْتَبَى ،
وَأَمِينِهِ الْمُتَرْضَى ، أَعْتَقَ الْخَلْقَ عُتْصَرًا ، وَأَنْفُسِهِمْ جَوْهَرًا ، وَآكَرِمَهُمْ
مَحْتَدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ ، الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ ،
الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا .

هَلِيهِ هِيَ صَلَاةُ « لِسَانِ الْيَمَنِ » الْهَمْدَانِي صَاحِبِ « الدَّامِغَةِ » فِي مُقَدِّمَتِهِ
لِشَرْحِهَا ؛ أَمَا صَلَاةُ مُحَقِّقِ الْكِتَابِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ الْأَكْوَعِ فِي « مُقَدِّمَتِهِ » فَهِيَ
كَالتَّالِي :
وَأُصَلِّيَ وَاسَلَّمَ عَلَى أَفْضَلِ الْأَنْبِيَاءِ وَصَفْوَةِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الرَّحْمَةِ الْمُهَدَاةِ ، وَالتَّعَمُّدِ الْمَسْدَاةِ ؛ الَّذِي أُوتِيَ الْحِكْمَةَ وَفُضِّلَ
الْخِطَابُ ، وَجَوَامِعُ الْكَلَمِ فَلَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنَّهُ هُوَ الْوَخِيُّ يُوحَى
الْمَنْزُلَ عَلَيْهِ « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » وَالْقَائِلُ : لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى
عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، وَالنَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ ، وَعَلَى « صَحَابَتِهِ »
« الَّذِينَ اهْتَدَوْا بِهَدْيِهِ وَاتَّبَعُوا سُنَّتَهُ ، وَوَصَلُوا الْحَقَّ بِالْحَقِّ ، وَهَدَمُوا
الْبَاطِلَ أَيَّمَا هَدَمٍ ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ »^(١) فَمَا رَأَى الْقَارِئُ النَّاقِدُ
الْأَمِينَ ؟؟

وَلَا يَنْتَظِرُ الْقَرَّاءُ أَنْ أُكَلِّفَ نَفْسِي تَصْحِيحَ الْغَلَطَاتِ الْكِتَابِيَّةِ وَالْمَطْبَعِيَّةِ فِي
مُقَدِّمَةِ « الْقَاضِي » فَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُخَصَّصَ ؛ وَفِي الصَّفْحَةِ التَّاسِعَةِ مِنْهَا حَوَالِي
عَشْرِ غَلَطَاتٍ ؛ أَمَا تَعَابِيرُهَا وَمَا فِيهَا مِنْ رَكَّةٍ وَاضْطِرَابٍ فَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ
« الْقَاضِي » قَدْ تَعَمَّدَ الْإِسْفَافَ الْبَيَانِي فَذَلِكَ جَهْدُهُ ؛ وَقَدْ حَاوَلَ الْإِعْرَابَ عَنْ
نَفْسِهِ بِقَدْرِ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِعْرَابِ .

(١) الْمُرَادُ لَقْتُ النَّظَرِ إِلَى تَبْجِيلِ الْهَمْدَانِي لِلْآلِ وَطَرِيقَةِ شَطْبِ الْأَكْوَعِ لَهُمْ ؛ أَمَا جَمَلُ صَلَاتِهِ فَهِيَ مُتَزَعَةٌ
مِنَ الْكُتُبِ التَّقْلِيدِيَّةِ وَذَلِكَ جَهْدُهُ .

العصبية ، واشتقاقها ومعناها :

هذا هو العنوان الذي وضعه القاضي محمد الأكوخ « الحوالي » لبحث لا أكون مُتَجَنِّياً عليه ، ولا ظالماً له ، إذا قلتُ أنه أثَّفه بحثُ الزَّمتِ نفسي بقراءته طيلة حياتي ؛ إنَّه تَأَفُّهُ لُغَةً وإنشاءً ، ودراسةً واستنتاجاً ، وتأفُّهُ حتَّى « تعصباً » .

وأقسم لو كنتُ معلماً للصِّبيان وكُلفتُ أحدهم مِن لم يتجاوز الثانية عشرة أن يكتب موضوعاً إنشائياً عن العصبية لُغَةً واشتقاقاً ، وتاريخاً ، وبعد أن يَسْرَتْ له مَصادر البَحْث ، ودَلَّلَتْهُ على مَظانِّه ؛ ثم جاءني بمثل ما كتبه « القاضي » لأَرْهَقَتْهُ لوماً وتَقْرِيعاً ، وألزمته بكتابتِهِ من جديد ! .

ولأَدَلِّ على دَعَوَاي سَأُتَخَفُ القُرَاءَ بنصوصٍ مِن كلامٍ « الماضي » وليصبروا ، وليصابروا .. وقد يجدُ فيها ذُو الذَّوْنِ السَّليم فُكاهةً وسلوى .

يقول « الأكوخ » في مقدِّمته ص (١٠ - ١١)

العَصَبُ بالتحريك جَمْعُ عَصَبَةٍ بالتحريك أيضاً كالاعصاب وهي : العروقُ المشتبكة في جسدِ الإنسان والتي تشدُّ أعضاءه بعضها إلى بعض وتمدُّه بالحياة من الغذاء والماء ، ومن معاني العَصَب لزوم الشيء ؛ والاطافة به ! كالعصابة بكسر العين ، وهو ما عصب به ، ويقال للتَّاج ، والعمامة العصابة لأنَّها تُعَصَّب على الرأس ، والعصابة على الجروح نحوه ، وتُعَصَّب على رأسه أو نحوه العصابة (هكذا) وأتى بالعصبية ، وتقنَّع بالشيء ، وعَصَبَ الكيس والمزادة ، أغصانُ الشجرة ضمَّ بعضه إلى بعض وربطه فهو في معنى جمع ، ومنه العَصَبُ بالفتح والسكون : الطيُّ للشيء والتي ، عَصَبُهُ عَصَباً طَوَاهُ ولَوَاهُ . وعَصَبَةُ الرَّجُل بالتحريك : قومُ الرجل الذين يتعصبون له ، ويَجْتَمِعُونَ حوله ، ويُحَدِّقُونَ به كالعصابة ويرثون الرجل من غير والدٍ ولا ولد ؛ وأما في الفرائض فكلُّ ما لم يكن له فَرِيضَةٌ مُسمَّاة كالأخ والعَمِّ ونحوهما فهو عَصَبَةٌ إن بقي له شيء بعد أهل الفرائض ، وإلا فلا شيء له ؛ والعَصَبَةُ بالضمِّ من الرَّجُل والخيَل والطَّير وما بين العشرة إلى الأربعين :

الجماعة ؛ ومنه قوله تعالى : « وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ » القصص (٧٦) « أي الجماعة ؛ أي ينوء بها العصبية : تتكلف النهوض ، وهذا من باب القلب لفصاحة القرآن ! وهو مُستعملٌ في كلام العرب » . « والعصبية بتشديد ياء النسبة ؛ نسبة إلى التعصب وإلى العصابة الذي معناه التجمع والتحزب في غرض ما ، وهدف مقصود ، والالتفاف حول شخصية لتقوية جناحه وحماية مكاسبه ، والدب عنه من عادية تنزل به ، أو قارعة تجلّ قريباً من داره » .

ثم خلع تاج الإفتاء اللغوي وتعصب بعمامة الفيلسوف الاجتماعي فقال :

وهذه العصبية التي ذكرنا اشتقاقها ومعانيها ؛ هي في معنى ما يتداوله الناس في لغة المعاصرين : مراكز القوى ، ولفلان مركز يُقل ؛ أوله يُقله ، أوله وزنه ، ولكنهم تجوزوا عن معنى العصبية تَلَفُظاً وفراراً من ذلك !

« كأنه يريد أن يقول تجاوزوا لفظة العصبية أما تجوز فله معاني لغوية أخرى راجع المنجد » ثم يقول :

وكما تقول لغة الجرايد والصحف: الدولة الفلانية ألقت بثقلها إلى كذا؛ وهل معنى الثقل جماعة الرجال والعتاد ؟ « هكذا » وهل الجماعة إلا العصبية ؟ وأي عصبية أعظم من ذلك ؟ وكذلك ما يلجأ إليه القادة اليوم يَتَغَنُّونَ به . . ألا وهو الشعب ، وما أدراك ما الشعب ؟ (هكذا) وفلان له شعبية وله قاعدة شعبية وهل يا ترى الشعب والشعبية ، أو القاعدة الشعبية إلا جماعة الناس وجوهمهم الذين استرضاهم بشتى الوسائل ، واستمالهم بالمغريات ولو بالكلام المعسول لِيَمْلُؤُوا الدُّنْيَا ضجيجاً ، ويكونوا له درعاً واقياً ، وسلاحاً فتاكاً يُصَلِّتُهُ على رقاب المناوئين له ، والمعارضين لحكومته ، ويُنفذون باسم الشعب وبالقاعدة الشعبية جميع أغراضهم مهما كانت الأغراض » « هكذا » وهو هذيان ! ثم قال سامحه الله :

ومن العصبية التي أخذت لها معان حديثة ، وكثر استعمالها في عصرنا ، وراجت في الأوساط السياسية وإن كانت موجودة في قواميس اللغة (هكذا) قولهم : العنصرية ، والطائفية ، والقومية وغيرها من الألفاظ الجديدة

الاستعمال ، وَمَعْرِى هذه الالفاظ ؛ هو الابتعاد عن العصبية التي توحى
 بلفظها الأخاذ على معنى التجمع والتحيز ، والتحزب .
 هذه هي العصبية واشتقاقها ومعناها ، وما جد من الالفاظ المترادفة لها ، أو في
 معناها من الاستعمالات الحديثة أو المستوردة ، وإن كانت أصيلة الجذم « في
 اللغة » . إنتهى كلام القاضي الأكوخ ، وقد نقلته بنصه وفصوه ، وقضيه
 وقضيضه ، لأنني على يقين أن القراء اليمنيين سيعجبهم مرأى القاضي محمد
 « الحوالي » كما يصّر دائماً - وقد أفرع منبر اللغة وتقمص ثياب « الفيروزآبادي »
 و« الزبيدي » ، و« الأب لويس السوعي » ؛ وراح يفسر الالفاظ ويورد
 المشتقات ، معللاً متبحراً ، فيخبط العشواء ، ويُفسر الماء بعد الجهد
 بالماء . . . !

مَنْ هُوَ اللَّغَوِيّ ؟

أنا لأجد فضل القاضي وإخلاصه لما يعتقدُه صواباً ، ولا أنكر إلمامه
 الجيد ومعرفة الواسعة ، مما قد يُخوله الحديث عما يلمُّ به ، ويعرفه ، وهو
 تاريخ اليمن العام ؛ وأنساب قبائلها ، وجغرافيتها ، فقد قرأ ودرس واستوعب
 كتب الهمداني ، والخزرجي ، وعمارة والجرافي ، وزبارة ، والحجري
 وغيرهم .. ولكن . . . ولكن ذلك شيء واللغة وجسها الفني ، وذوقها
 الأدبي ، شيء آخر . . . إن أول شرط من شروط « اللغوي » - بعد علمه
 بالتاريخ ، والجغرافيا والأنساب أن يكون « أديباً » ؛ والأديب كما قال
 الأول :

« هُوَ الْأَخِيذُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بِطَرَفٍ »

ونزيد ؛ فنقول : هُوَ المؤرخ ، وهُوَ الشاعر ؛ هُوَ النسابة وهُوَ الفقيه أيضاً ،
 بلْ وهُوَ الناقد ، والفيلسوف والفنان ، في وقتٍ معاً ! هذا هو الذي يستحق
 لقب « الأديب » ويحق له أن يفتخر منابر أهل اللغة ؛ أمثال « الفيروزآبادي »
 و« الرازي » و« الزبيدي » ، و« ابن منظور » .

وَمَنْ يَعْرِفُ قَدَرَ نَفْسِهِ مِنَ الْأَدْبَاءِ لَا يَتَجَرَّأُ عَلَى حَشْرِهَا بَيْنَ « أَهْلِ الْلُغَةِ » ؛

لأنَّ « التعاريف » اللغوية وحُدودها الجامعة المانعة لِيَسَتْ مِنَ السَّهولةِ بحيث
يَسْتَنَى لِكُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ صياغتها ؛ ولذلك يَكْتَفِي الحُدُوقُ والنُّبْهَاءُ ،
وأصحاب الدُّوقِ السُّلَيم . . حين يجدون لفظةً لغويّةً ؛ تَفْتَوِرُ إلى
التفسير . . بنقل ما قاله عنها أهلُ اللغة في قواميسهم .

والقاضي « الأكوخ » قد اعْتَمَدَ ولا شكَّ على « القاموس المحيط »
و « المنجد » في تفسيراته اللغوية ولكنّه لم ينقل التعابير الدّقيقة الواردة هناك
بل أراد « التجديد » فأخطأ بياناً وأداءً ؛ وكلف نفسه فوق طاقتها ؟

فصاحب القاموس يقول - مثلاً - :

« العَصَبُ مُحَرَّكَةٌ أَطْنَابُ المفاصِلِ » .

ومؤلف « المنجد » يقول :

العَصَبُ مصدرٌ والجمع أعصاب : أطْنَابٌ مُتَشَرِّعَةٌ في الجسم كله وبها تكون
الحركة والحس .

أما القاضي الأكوخ فقد قال :

العَصَبُ بالتحريك جمع عَصَبَةٍ بالتحريك أيضاً كالأعصاب وهي العروق
المشتبكة في جسد الإنسان وتمدّه بالحياة .

وتعريفات « الفيروز آبادي » « والأب لويس » محكمة دقيقة أما صاحبنا فقد
شوّه تلك التعابير الفنيّة بما تراه . . وترك التعليق عليه تعليقاً !

وقال صاحب القاموس : « والعَصَبَةُ مُحَرَّكَةٌ » الذين يرثون الرجلَ عَنْ كَلَالَةٍ

من غير والدٍ ولا وَلَدٍ ؛ فأما في الفرائض : فكلُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فريضةٌ مُسَمَّاةٌ فهو
عَصَبَةٌ إن بقي شيءٌ بَعْدَ الفَرَضِ أَخَذَ ، والعَصَبَةُ قَوْمُ الرجلِ الذين يتعصبون
له « هذه التعريفات الدّقيقة عبث بها صاحبنا « الأكوخ » فقال : « وعَصَبَةُ
الرجل بالتحريك : قَوْمُ الرجلِ الذين يتعصبون له ، ويجتمعون حوله
ويحذقون به كالعصابة ويرثون الرجلَ من غير والدٍ ولا ولد ، وأما في الفرائض
فكلُّ ما لم يكن له فريضةٌ مُسَمَّاةٌ كالعمِّ والأخ ، ونحوهما فهو عَصَبُهُ إن بقي له

شيء بعد أهل الفرائض ، وإلا فلا شيء له فقد خلط أولاً - بين معنَي « العصبية »
اللذين ذكرهما صاحب القاموس :

١ - الذين يرثون الرجل عن كلالته من غير والد ولا ولد .

٢ - « وقوم الرجل الذين يتعصبون له » . وكان الجميع يرثون .

وثانياً - حذف - عن كلالته - ولما مدلولها اللغوي الشرعي . وثالثاً - مطط العبارة
بقوله : « يجتمعون حوله ويحدقون » به الخ ، وكانت العبارة « القاموسية »
يتعصبون له تكفي ورابعاً - غير عبارة : « كل من لم يكن » وجعلها : « كل ما
لم يكن » والفرق ظاهر . . وخامساً - زاد : « كالعَم والأخ ونحوهما » مع أن
العبارة « القاموسية » : مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فريضة مُسَمَّاة تُغني ؛ وأخيراً تأمل دقة
التعبير « القاموسي » : « إن بقي شيء بعد الفرض أخذ » وتفاهة تعبير
صاحبنا : « إن بقي له شيء بعد أهل الفرائض وإلا فلا شيء له ؛ وحسبي
اللغوي وفي حدود معرفتي المحدودة لا يطمئن إلى استعمال لفظة « أهل » هنا
وكان الأنسب أن يقول « أصحاب الفرائض » إذ قد يتصرف الذهن مع
« الأهل » إلى أن المقصود « علماء فن الفرائض » ؛ فأهل الرجل : زوجته ،
وأهل الأمر : ولاته ، وأهل المذهب : من يدين به ، وأهل البيت سكانه
واسألوا « أهل » الذكر إن كنتم لا تعلمون .

وإذن : وإذا . . فهل يجوز لشخص يُقدِّم لكتاب أدبي قال عنه « القفطي » أنه
لم يُترجم لصاحبه « الهمداني » إلا لما وجد في كتابه هذا من عِلْم وبراعة . .
كما ذكر الأكوخ في مقدمته ص ٧٧ - « وقد ذكرت قطعة من خبره وشعره في
كتاب النحاة لأنه من أهل اللغة ويدل على ذلك قصيدته الدامغة وشرحها » ؟ هل
يجوز أن يقدم من يريد أن يحقق ذلك الكتاب بمثل تلك المقدمة ؟ ويفسر
العصبية بمثل ذلك التفسير . . . ؟ ويزيد فيقول :

والعصابة على الجرح ونحوه ، وتعصب على رأسه ونحوه العصابة ، وعصب
الكيس والمزادة ؟ هل يجوز أن يكتب مثل هذا الهراء في مقدمة كتاب أدبي
ولغة وشعر صاحبه لسان اليمن !!

ومن العجب أن يظن القاضي الأكوع - هدايا الله وإياه - أن الالتفاف حول شخصية - الزعيم - لتقوية جنابه ، وحماية مكاسبه ، والدَّبَّ عنه الخ « كما قال في ص- ١١ - من « العصبية » الذميمة ١١ فتقوية أي شخصية ، أو حزب أو جماعة ، أو دعوة دينية ، أو حركة إصلاحية ، لا يجوز أن نسمي ذلك تعصباً بالمعنى البغيض ابل هو التآزر، والاتحاد ، والتعاون ، والنصرة ، والله سبحانه قد أمرنا بذلك حين قال : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ؛ وليسمح لي القاضي سامحه الله أن أقول : أنه قد أخطأ بقوله : إن العصبية تؤدي معنى ما يتداوله الناس في لغة المعاصرين « مراكز القوى » و« لفلان مركز ثقل ، أوله ثقله ، أوله وزنه » حسب تعابيره ! وأنه قد أغرق في الخطأ حين قال : أن « العصبية » هي : « كما تقول لغة الجرايد والصحف : الدولة القلانية ألقت بثقلها إلى كذا » وكذلك ما يلجأ إليه القادة اليوم ويتغنون به ؛ ألا وهو الشعب وما أدراك ما الشعب » إلى آخر ذلك الكلام الذي سبق أن نقلناه وختمه بقوله : « ومن العصبية العنصرية ، والطائفية والقومية » .

لقد اختلطت في ذهنه معاني ألفاظ لا يمكن خلطها وجعلها مرادفةً للفظة العصبية لأن هناك فوارق دقيقة في مدلولاتها اللغوية ، والسياسية ، والاجتماعية ؛ والفرق واضح بين أن تقول : « تعصب طائفي » ، و « تعصب عنصري » و « تعصب قومي » وسبب هذا الاختلاط اللغوي والاجتماعي في ذهنه - إلى جانب ما ذكرناه - ما أشار إليه الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في مقالة نشرتها في حياته أولاً مجلة « الرسالة » ؛ ثم وردت في كتابه « وحي القلم » الجزء الثاني وعنوانها « فلنتعصب » وهي إحدى سلسلة مقالاته الرائعة : « أحاديث الباشا » قال : يخاطب الكاتب الانكليزي : جاءني كتابك ؛ فإذا كنت تريد رأيي فيما تسميه « التعصب » الديني عند المسلمين ؛ فعجيب أن تضعوا أنتم الغلطة ثم تسألونا نحن فيها ؛ إنك لتعلم أن هذا التعصب الكذب الذي أكثرتم الكلام فيه ؛ إنما هو لفظ من ألفاظ السياسة الأوروبية أرسلتموه إلينا ليقاتل لفظ « التعصب الحقيقي » ، ومن قبل هذا اخترعتم لفظة « الأقليات » وأجريتوها في لغتكم السياسية لتجعلوا بها . . لتعصبنا الوطني شكلاً آخر غير شكله ؛

فَتُفْسِدُوهُ عَلَيْنَا بِهِذِهِ الْمَادَّةِ الْمَفْسُودَةِ وَبِذَلِكَ تَضْرِبُونَ الْيَدَ الْيُمْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ تَلْمَسُوهَا . . . إِذْ تَضْرِبُونَهَا بِشُلِّ الْيَدِ الْيُسْرَى .

التَّعَصُّبُ وَالْإِسْلَامُ :

إِنَّ الْإِسْلَامَ فِي نَفْسِهِ شَدِيدٌ عَلَى التَّعَصُّبِ الَّذِي تَفْهَمُونَهُ ، فَهُوَ يَقُولُ لِأَهْلِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ :

« كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ ، وَالْأَقْرَبِينَ » .

فَإِذَا كَانَ الْعَدْلُ فِي هَذَا الدِّينِ عَدْلًا صَارِمًا ، وَحَقًّا مَحْضًا لَا يُمَيِّزُ بِشَيْءٍ الْبَيْتَةَ ؛ لَا ذَاتَ النَّفْسِ الَّتِي فِيهَا اشْتِهَاءُ الدَّمِ ، وَلَا أَصْلَهَا مِنَ الْأَبْوِينَ لِلَّذِينَ جَاءَتْ مِنْهَا وَرَاثَةُ الدَّمِ ، وَلَا أَطْرَافَهَا مِنَ الْأَقْرَبِينَ الَّذِينَ يَلْتَقُونَ حَوْلَ نَسَبِ الدَّمِ - إِذَا كَانَ هَذَا . . . فَأَيْنَ فِي هَذَا الْعَدْلِ حُلٌّ لِلظُّلْمِ ؟ ؟

لَعَلَّكَ تُشِيرُ إِلَى الرَّعُونَةِ الَّتِي تَعْرِفُهَا فِي الْأَعْمَارِ وَالْأَغْفَالِ مِنَ الْعَامَّةِ فَهَذِهِ لَيْسَتْ مِنْ أَثَرِ الدِّينِ ؛ بَلْ هِيَ أَثَرُ الْجَهْلِ بِالَّذِينَ ؛ إِنَّ هَذَا لَيْسَ تَعَصُّبًا ؛ بَلْ هُوَ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي الْحِمَاةِ النَّفْسِيَّةِ الْخَرَفَاءِ ؛ لَمْ تَجِدُوا أَنْتُمْ لَهُ لَفْظًا ؛ فَكَانَ أَقْرَبَ الْأَلْفَاظِ إِلَيْهِ عِنْدَكُمْ هُوَ « التَّعَصُّبُ » فَاطْلُقْتُمُوهُ عَلَيْهِ . . . لَيْسَ لِلْمَعْنَى الَّتِي فِي نَفْسِهِ ، بَلْ لِلْمَعْنَى الَّتِي فِي أَنْفُسِكُمْ . أَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّ إِسْلَامَ الْعَامَّةِ الْيَوْمَ هُوَ كَالدُّعْوَى الْمَقْبُولَةِ شَكْلًا ، وَالْمَرْفُوضَةِ بَعْدَ ذَلِكَ . . ! قَالَ الْإِنْجِلِيزِيُّ : وَلَكِنْ لِهَؤُلَاءِ الْعَامَّةِ عُلَمَاءُ دِينِيَيْنَ ، يُدَبِّرُونَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَهُمْ عِنْدَكُمْ وَرَثَةُ النَّبِيِّ ﷺ . . . أَيَّ مَنَبِّعِ الْفِكْرَةِ وَقَوَّتِهَا .

قال الباشا: غير أن هؤلاء قد أصبحوا كلهم، أو أكثرهم لا يندس فيهم عرق من تلك الوراثة ، وذلك هو الذي بلغ بنا ما نرى ؛ فالقوم إلا قليلاً منهم كالأسلاك الكهربائية المعطلة لا فيها سلب ولا إيجاب ؛ ولو أن هؤلاء العلماء كانت فيهم كهرباء النبوة ، لكهربوا الأمم الإسلامية في أقطارها المختلفة ؛ إذن لقام في وجه الاستعمار الأوروبي أربعمئة مليون مسلم جلد صارم شديد ؛ متظاهرين متعاونين قد أعدوا كل ما استطاعوا من قوة الخ .

« أتريدُ معنى التعصّب في الإسلام ؟ »

إنّه بعينه كتّعصّب كلّ إنجليزي للأسطول ؛ فهو تشابكُ المسلمين في أرجاء الأرضِ قاطبة ، وأخذهم بأسباب القوة إلى آخر الاستطاعة ، لدفع ظلم القوة بأخر ما في الاستطاعة .

ثم قال الرافعي في نهاية المقال :

إنّ التعصّب في حقيقته؛ هو إعلانُ الأمة؛ أنّها في طاعة الشريعة الكاملة ، وأنّ لها الروحَ الحادة لا البليدة ، وأنّ أساسها في السياسة الاحترام الذاتي لا تقبّل غيره ، وأنّ أفكارها الاجتماعية حقائق ثابتة ؛ لا أشكالَ نظرية ، وأنّ مبادئها هو الحقّ ، ولا شيء غير الحقّ ، وأن قاعدتها : « لا يضرّكم من ضلّ إذا هتديتم » ؛ فالهداية أولاً ، والهداية آخرأ ، والهداية في القوة ، والهداية في السياسة ، والهداية في الاجتماع ، فقلّ لي بحياتك ، وحياة « إنجلترا » أ يُعابُ ذلك على المسلمين إلا بالالفاظ التي يعيبُ اللصُّ بها أهلَ الدار لأنهم يحكمون في وجهه إقبالَ الدار . . ؟

قال : فوجمَ الانجليزي حتّى ذهل عن نفسه وصاح :

« إذا كان هذا هو التعصّب . . فلنتعصّب »

منَ المعجيب أنّي كتبتُ كلام «الرافعي» هذا قبل ثلاثين عاماً في « مختاراتي » وتذكرتها وأنا أقرأ كلام القاضي « الأكوع » ورجعتُ إليها فأثرتُ إثباتها ليس رداً على صاحبنا . . ولكن لما في بيناتِها من فوائد وذكري تهدي إلى سواء السبيل ؛ إذ أن « المستعمرين » وأذناهم قد خذلوا أعصاب العرب والمسلمين وأرهّبوهم بمفاهيم لغوية خاطئة ، ليثبطوا من عزائمهم ، وقد أطلقوا عبارة « التعصّب الديني دسّاً وكيداً - على ما هو من واجبات المسلم نحو دينه وأمّته ، من تشابك ، وتآزر واتحاد وإيثار ، وتعاون ، وأخذ بأسباب القوة ، والدفاع عنها . . مع أن التعصّب الدّميم ؛ والذي حاربه الإسلام إنما يكون إذا تعصّب المرء في باطلٍ لذات نفسه ، أو أهله ، أو عشيرته ضدّ الحقّ والعدل ، والإخوة الإنسانية والدينية القائمة على التراحم ،

والتعاطف ، والتناصح ، والمساواة^(١) ؛ أما أن يغار « الوطني » على وطنه ، وبني جلدته ، وإخوانه في الدين ضد المعتدي فإن ذلك من واجباته ؛ وكذلك حين يتمسك المسلم بأوامر القرآن وتعاليم الشريعة ، ويدعو إلى الهدى ، والحق ، والخير . والعزة لجميع أبناء وطنه متحمساً ذؤوباً فذلك ينسجم مع قوله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى » ولا يُعدّ تعصباً ذميماً ؛ ولكن أعداء الإسلام بوسائلهم الثقافية الجهنمية ؛ أدخلوا في نفوس المسلمين الضعفاء ما أشار إليه الأستاذ « الرافعي » وهو ما جاز على صاحبنا « الأكوع » وأشباهه ، ولا أدري لماذا غاب عن خاطره قول الإمام « الشافعي » :

إِنْ كَانَ رَفْضاً حَبَّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيُشْهِدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي
ومعنى ذلك أنني أستطيع أن أقول : إذا كان حفاظي على حقوق وطني وأبنائه ، وتمسكي بمبادئ ديني ، واعتزازي به يُعدّ « تعصباً » فانا من « المتعصبين » . . وأبناء اليمن كُلُّهُمْ مسلمون ، ولا فرق في الإسلام بين « الحوالي » و « اليُعفري » و « اليخصبي » و « العدناني » و « القحطاني » و « الشامي » و « العيني » و « الأفغاني » و « المصري » و « الشافعي » و « الزيدي » و « التقدمي » و « الرجعي » . والأهلية ، في الكفاءة والقدرة ، والقوة ؛ والكرامة للمتقين العاملين المخلصين .

النظرية الأكوعية . . ١

لا شك أن بعض القراء قدرثوا لحالي ؛ وأن البعض قد استغربوا إهتمامي بما كتبه القاضي محمد الأكوع ؛ ولا ألوم البعض إن لم يستحسن صبري على قراءة ذلك الهراء وانشغالي بتنفيذه .

وعليه . . فلن أقفَ عند كل ما ورد في مقدمته من الصفحة (١٢) « الثانية عشرة » حتى الصفحة (٣٨) الثامنة والثلاثين تحت عنوان : « نظرية في مبدأ العصبيّة » . . ففيها من اللغو ما لا يخفى على أحد ؛ ويكفي أن أشير إلى أنه قد

(١) وذلك سلكه بعناد وإصرار . وحقق القاضي محمد الأكوع في كتبه وفي مقدمته كما ستري

جعل من الحسد ، والتنافس ، والأثرة ، والإيثار ، والحنان الأبوي ،
والحُب ، والعنصرية ، والغيرة ، والشعبية ، والوطنية والقومية ، والخلافات
المذهبية ، وتضارب وجهات النظر ، والطموحات الشخصية ، ودواعي
الشَّار ، وتنازع البقاء ، ومبادئ الأحزاب السياسية ، ومناهج دعوات
الإصلاح ؛ وكل ما يؤدي إلى نقاش أو جدال ، أو حوار ، أو لقاء ، أو
خلاف ، أو حرب أو سلام ، أو إتحاد ، أو تنافر جعلت « النظرية الأكوعية »
كل ذلك ألفاظاً ، وتعابير تُرادف ، أو مُنبثقة عن لفظة « العصبية » ! واستشهد
بقصص « هابيل وقابيل » و « آدم وإبليس » والملائكة ، و « يعقوب ويوسف
واخوته » والصراعات التاريخية بين « الدُول » و « الفِئسات » و « العلماء »
و « الشعراء » و « العوائل » و « حرب صفين والجمال والنهران »
وقصص « الأميين والمؤمنين » ، و « الفرس والأتراك » . . كل ذلك
بأسلوب لا يُسيغه عقل علمي ، ولا ذوق أدبي . . مُتجاهلاً أناسياً . . أن كل
تلك الألفاظ والعبارات التي سردها وجعلها مرادفة « للعصبية » لها مدلولاتها
الخاصة ؛ ومقياس الخير والشر في تطبيقها هو الاعتدال والاحسان ، أو الغلو
والطغيان ؛ لأنّ الفضيلة كما قالوا قديماً « وسط بين طرفين » ؛ فالحُب
والحنان والايثار على النفس ، والغيرة على العرض ، والدين ، والوطن ، كل
ذلك خير ؛ إذا ظلت في الاطار الإنساني الجميل ؛ ولكنها إذا تجاوزته إلى
الأنانية ، وجرمان أصحاب الحق ، واحتقار الآخرين ، والاعتداء على
الحُرّمات . . كانت شراً ، وطغياناً وتعصباً ذميماً . . وربما أن هذا ما كان
يريد صاحبنا أن يقوله . . لكنّه ارتبك واختلطت عليه المعاني كما يقولون في
« المثل الصنعاني » « قَدْ كُلَّهِنَّ هَيْئَةً » لكنّ ما يَشْ مَدَائِمُ^(١) أيّ كلّ
المعلومات في صدري ؛ لكنني لا أستطيع التعبير عنها .

(١) يحكي أنّ أحد الفقهاء كان يعلم رجلاً « أمياً » طريماً ؛ أذكّار الصلاة العاتحة وبعض السور القصار
والتوجه والتشهدين والتسبيح الخ وكان « الأمي » الصنعاني لا يجيد نطق الكلمات ، ولا يتقن إيراد الحروف
من محارجها ؛ وبعد أن أضناه « الفقيه » قال الأمي العبارة المذكورة ، وذهت مثلاً ؛ ومعناها : كلّ تلك
الآيات والأذكار قد رسمت وثبتت في قلبه ولكنّ ليس عبده قدرة على النطق بها بلسانه مُحَكِّمةً محدودة .
المؤلف

كَانَ فِي الإِمْكَانِ الْاِكْتِفَاءُ بِهَذَا . . . وَفِيهِ أَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ لِلْعَارِفِينَ ؛ وَلَكِنْ
الْكِتَابُ قَدْ يَقَعُ فِي يَدِ قَلِيلٍ الْمَعْرِفَةِ ؛ وَفِي ثَنَائِهَا تِلْكَ الصُّفُوحَاتُ أَخْطَاءً فَاحِشَةً
عَقْلاً وَتَارِيخاً . . . وَذَلِكَ مَا يَدْعُو إِلَى التَّنْبِيهِ :

١ - فَقَوْلُهُ : أَنَّ « نَظَرِيَّتَهُ » - هَكَذَا قَالَ - « قَدْ أَمَدَّهُ بِهَا اللَّهُ مِنْ عِنْدِهِ ؛ فَهِيَ
إِجْتِهَادٌ فَإِنْ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرُ الْخِ » وَهَذَا اسْتِعْمَالٌ لِلْعِبَارَةِ
الْقَدِيمَةِ ؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ ذُو مَعْرِفَةٍ ؛ فَلَوْ فَتَحَ هَذَا الْبَابُ لِكُلِّ مَنْ هَبَّ
وَدَبَّ . . . وَسُمِّيَ كُلُّ ذِي رَأْيٍ قَوْلُهُ مَهْمَا كَانَ شَاذاً ، أَوْ بَعِيداً عَنِ الصُّوَابِ فِي
تَقْدِيرِ الْعَقْلِ الْخَالِصِ ، وَالْبَدِيهِيَّاتِ الْمُنْطَقِيَّةِ ، إِجْتِهَاداً يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْأَجْرُ . .
لَسَقَطَتْ مَوَازِينُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، وَالْحَرِيَّةِ ، وَطَمَّ الْإِنْسَانِيَّةُ الْبَلَاءُ السَّاحِقُ . .
وَالْإِجْتِهَادُ الَّذِي قَالُوا إِنْ الْمَصِيبُ فِيهِ يَسْتَحِقُّ الْأَجْرُ مُضَاعَفاً . . لَهُ شَرْوْطُهُ
وَوَسَائِلُهُ وَأَهْمُهَا - كَمَا قَالَ « الشُّوْكَانِي » فِي « الْبَدْرِ الطَّالِعِ » : هُوَ التَّمَكُّنُ مِنْ
مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ وَأَدَابِهَا كَيْ يَتِمَكَّنَ مَنْ يَرِيدُ الْإِجْتِهَادَ فِي رَأْيِهِ يَعْنِي لَهُ حَوْلَ آيَةٍ
قُرْآنِيَّةٍ أَوْ « حَدِيثٍ نَبَوِيٍّ ، أَوْ قَوْلٍ مَأْثُورٍ ، أَوْ « حُكْمٍ شَرْعِيٍّ » ، أَوْ نَصٍّ قَانُونِيٍّ ؛
مِنْ التَّدْلِيلِ عَلَى وَجْهَةٍ نَظَرِيَّةٍ ؛ هَذَا أَوَّلًا ؛ وَثَانِيًا ؛ لَا يَكُونُ « الْإِجْتِهَادُ » الَّذِي
يَسْتَحِقُّ الْمَثُوبَةَ وَالْأَجْرَ إِلَّا فِي الْأُمُورِ الْمَشْرُوعَةِ عَقْلاً ، -وَعَرَفًا ، وَدِينًا ، وَعِلْماً ،
وَأَنْسَانِيَّةً ؛ أَمَا فِي « السَّكْذِبِ » وَ« تَزْوِيرِ التَّارِيخِ » وَ« هَتَاكِ الْأَعْرَاضِ »
وَ« تَحْرِيفِ النَّصُوصِ » وَمُخَالَفَةِ قَوَانِينِ وَمَوَازِينِ وَأَخْلَاقِ « الْخَيْرِ الْعَامِ » ،
وَ« الْعَدَالَةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ » . . فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَسَتَّرَ مَنْ يَقْتَرِفُ ذَلِكَ ، أَوْ يُحَاوِلَهُ
وَرَاءَ شِعَارِ « الْإِجْتِهَادِ » وَيَطْلُبُ أَجْرًا . كَمَا أَنَّ « لَا . . . لَا . . . كَلَّا » وَالْفُ كَلَّا « يَا
قَاضِي » . . إِنْ مَنْ يَقْتَرِفُ ذَلِكَ أَوْ يُحَاوِلُهُ . . يَجِبُ أَنْ يُبْهَرُ وَيُجَازَى ! إِنْ مَنْ يَزُورُ
التَّارِيخَ ، وَيَتَنَكَّرُ لِلْمُبَادِيءِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْكَرِيمَةِ وَيَعَارِضُ ثَمَرَاتِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ
وَوَسَائِلِ الْحَضَارَةِ النَّافِعَةِ ؛ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَمَّى مَا يَقْتَفُوهُ بِهِ إِجْتِهَادًا ! إِنَّمَا
اسْمُهُ ذَلِكَ كَمَا يُسَمَّى النَّاسُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَبِكُلِّ اللُّغَاتِ - جَهْلًا وَغِبَاءً . .
وَإِنْ زَعَمَ صَاحِبُهُ « أَنَّهُ قَدْ اسْتَمَدَّهُ مِنْ رَبِّهِ » ، وَفَكَرَ فِيهِ مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ « ص
(٢٢) لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا يَهْدِي إِلَّا إِلَى الرَّشْدِ وَالْحَقِّ ، وَيَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ . .

مع الملك فيصل :

٢ - ما زَعَمَ القاضي الأكوغ - أثناء نظريّته في ص (٢٣) عن الملك فيصل بن عبد العزيز ؛ بعيد كل البعد عن موضوع كتاب الهمداني - أولاً - وفيه حيفٌ وظلمٌ للحقيقة والتاريخ قال :

وكتّصفية الملك فيصل بن الملك عبد العزيز آل سعود أخاه الملك سعود بن عبد العزيز . . فإن فيصلاً ناقسَ سعوداً على الملك وأجهزَ عليه ؛ رغم أنه كان وليّ العهد ، وبيده أكبر منصب في الدولة وحساس « هكذا » ، وقابض على ناصية الحكم ؛ وهو رئاسة الدولة ، ولكن الثعرة الطبعيّة في الإنسان « هكذا » ما تركته يهدأ ! فَعَمِلَ على الخلاص من أخيه سعود بالحيلة ، المشهورة ونصب المبررات التي ضلّل بها على أسرته وعلى علماء « نجد » وعلى الرأي العالمي « هكذا » وكان من وراء هذه العملية « أمريكا » و « إنجلترا » ! فأزال أخاه سعوداً عن منصب الملك مطروداً وذلك سنة ١٣٦٥ هـ « هكذا » وكأنه يقصد ١٩٦٥ م « ثم قال : « وكان فيصل » أدهى وأمر في سياسته إزاء أخيه « سعود » من « الامام أحمد حميد الدين » فإنه لم يسفك دماً ، ولا لَطَخَ يده بحريمة القتل ، ولا تحمّل ماثماً . . ولا مغرماً ، بل مكسباً ومغنياً . ! وإن كانت لهذه الحادثة أثرها في « البيت السعودي » وكانت بادرة انشقاق انتهت كلام القاضي الأكوغ بعجزه وبجّره . . ولا أريد أن أقول : أن مصدره العقيد المعنق الذي يسري في سرايين « مُضلل » قديم ! انظر « قصة الأدب في اليمن » ص (٣٥) . ولا أريد أن أقول : أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن امتلاء قلبه بشعور الكراهية ، وبغض الصالحين ؛ وبعاطفة المودة والموالة لطواغيت الحمية الجاهليّة ، والتعصب المقيت للعنصريّة البغيضة ، والطائفية الذميمة ، ولا يبالي تحت تأثيرها من أن يفترى على التاريخ ويشكك في الوقائع ، ويشوّه الأحداث . . لا أريد أن أقول ذلك فقد لا يرضي من يشفق على « القاضي » . . ولكنني أستطيع أن أقول أن كلامه عن الملك فيصل رحمه الله لا يتصل بموضوعه . . وهو يُحقّق كتابَ أدبٍ ولغةٍ وتفاخر بالماضي البعيد لأمةٍ جاهدةٍ تحاول أن تنهض . . وتبني لها مجدداً جديداً . !

وأستطيع أن أقول بكلّ احترام للقاضي الأكوخ . أنّ ما ذكره عن الملك فيصل ابن عبد العزيز رحمه الله ما كان ينبغي أن يصدر من مثله في شيخوخته . . وفي كتاب مثل كتاب الهمداني رحمه الله .

وأبناء المملكة العربية السعودية: علماؤها وجنودها وتجارها ؛ وأمرؤها يعلمون أنّ الملك « فيصل » كان زاهداً في الملك ؛ وكان شديد الإخلاص لأخيه الملك « سعود » برّاً ونصحاً ، وتوجيهاً ، وأنه قاسى من أجل ذلك أصناف الآثاب صابراً ، مثابراً ، واضيعاً نصب عينيه مصلحة أمته المسلمة وبلايه العربية ، والناس جميعاً يعرفون الظروف والملابسات التي أجبرت الملك فيصل على النزول عند رغبة الأمة ليتحمل المسؤولية ، ويقبل إقالة أخيه ومبايعة أهل الحل والعقد من الأمراء ، والعلماء والقادة له إماماً ومليكاً ، وكانت دوافع ذلك وطنية ودينية ، لم يستطع أن يواجهها بغير القبول . . وليس هذا مكان تفصيلها ، وقد لمس العالم أجمع . . وليس أبناء المملكة العربية السعودية فقط نتائج ذلك التغيير السليم ؛ الذي أنقذ البلاد من الإفلاس ، وطورها الى الرخاء والازدهار ، والنظام ، والعمران ، على أسس تضمن للبلاي الأمن والاطمئنان ، والوحدة والعدل ، والتقدم والقوة ، والنمو والاستقرار .

كثير من الناس يعرفون أنّي كنت من أصدقاء الملك فيصل بن عبد العزيز ذلك الشجاع المتواضع ؛ وأنّ ما كان بيني وبينه من المودة لا يكون إلا بين الأصفياء المتوآدين في الله والحق . . والجميع يعرفون أنّي ما تملّقت ولا حابيت بمقالة في جريدة ؛ أو بقصيدة في ديوان ؛ وأنني لم أبكِ إلا بالدموع والصمت المرير . . ولهذا فمن حقّي أن أذكر وقد مضى إلى ربّه أنّي حين زُرته إلى « الرياض » بعد أن خلّع العلماء والأمراء ، وأهل الحل والعقد في المملكة العربية السعودية ، الملك « سعوداً » ورغم معارضة « فيصل » ومحاولة التريث شفقة وأملًا في إرعواء أخيه وبطائته المعروفة - نعم لقد زُرته . . فاستقبلني كعادته بتلك النظرة العميقة ، والبسمة المؤمنة ، وحين قلت له : « أهنيكم » ؛ أطرق ملياً . . ثم نظر إليّ نظرة لن أنساها وقال بصوت حزين : « تهنييني يا أخ أحمد ؟ ما كان أحراك أن تُعزيني » ثم دار ما

دَارُ مُفْصَلًا لَصَدِيقِهِ بَعْضَ مَا كَانَ يُلَهِّجَتِهِ الْبَسِيطَةُ الصَّادِقَةُ الْحَازِمَةُ فِي مَوْقِفِ
اسْتَمْرَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ دَقِيقَةً وَلَا ثَالِثَ لَنَا إِلَّا اللَّهُ وَقَدْ أَثْبَتَ ذَلِكَ فِي مَكَانِهِ مِنْ
مَذْكُرَاتِي .

الشهادةُ وسامُ الأبرار

٣ - لقد استبشعْتُ ما قاله القاضي الأَكْوَعُ بعد ذلك ؛ وَمَا يَنْمُ عَنْ أَذْوَاء
دَفِينَةٍ ، وَسُخْرِيَةٍ بِقَوَانِينِ الْعِظَمَةِ ، وَمَطَامِيحِ الْأَبْطَالِ ، وَكَرَامَةِ الْإِسْتِشْهَادِ فَقَدْ
قَالَ ص (٢٤) «وَحَانَتْ الْأَقْدَارُ فَقُتِلَ الْمَلِكُ فَيَصِلُ الَّذِي كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَا يُقَدَّرُ
عَلَيْهِ . ١ على يَدِ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ . . أَلَا وَهُوَ فَيَصِلُ بْنُ مُسَاعِدِ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ وَذَلِكَ فِي مَارَسِ سَنَةِ ١٩٧٥ م » لا . . لا . . يَا حُضْرَةَ الْقَاضِي . .
مَا هَكَذَا يَتَكَلَّمُ الْعُلَمَاءُ ! وَلَيْسَ الْإِسْتِشْهَادُ وَلَا الْمَوْتُ نَفْسُهُ بِذَمِيمٍ وَلَا بَعَارٍ . .
وَلَقَدْ كَانَ أَبْطَالُ الْعَرَبِ يَكْرَهُونَ الْمَوْتَ عَلَى الْفِرَاشِ ، ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ فَرَفَعَ
الشَّهْدَاءَ إِلَى مَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ ، وَلَقَدْ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ غَدْرًا بِتَدْبِيرِ الْمُتَأَمِّرِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْفَاسِقِينَ ؛ وَقُتِلَ
عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غِيلَةً بِيَدِ أَحَدِ الْمَارِقِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ ؛ وَ« عَلِيٌّ » وَ« عُمَرُ » مَنْ تَعَلَّمَ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا . . وَالْمُؤْمِنُونَ ،
وَأَفْدَأُ الرِّجَالِ لَا يَرْهَبُونَ الْمَوْتَ ، وَيَرْجُونَ « الشَّهَادَةَ » وَمِنْ كَلَامِ « الْإِمَامِ
عَلِيٍّ » « فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي أَدْخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ » . وَقَالَ مِنْ كَلَامِ
لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « وَاللَّهِ لَوْلَا رَجَائِي « الشَّهَادَةَ » عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ - لَوْ قَدْ حُمَّ لِي
لِقَاؤُهُ - لَقَرَبْتُ رُكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبُ
وَشِمَالُ » . وَقَالَ فِي إِحْدَى خُطْبِهِ : « إِنْ أَكْرَمَ الْمَوْتَ الْقَتْلُ ؛ وَالَّذِي نَفْسُ
« ابْنِ أَبِي طَالِبٍ » بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى
الْفِرَاشِ » .

وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ « فَيَصِلُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ » رَحِمَهُ اللَّهُ بَرًّا تَقِيًّا لَا يَظُنُّ - كَمَا
زَعَمَتْ يَا حُضْرَةَ الْقَاضِي - « أَنَّهُ لَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ » ! وَقَضَى شَهِيداً بِيَدِ خَائِنَةٍ
لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَّا الْقِرَابَةُ فَلَا شَأْنَ لَهَا فِي الدِّينِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَقُولُ
لِنَبِيِّهِ : « إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ؛ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ » بعد أن قَالَ « نُوحٌ » عَلَيْهِ

السلام « إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي الْخ » ؛ وقال الإمام علي « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِمُحَمَّدَ مَنْ أطاع الله وإن بُعدت لحمته ، وإن عدوّ محمد من عصى الله وإن قُرُبَتْ قرابته » وطالما سمعتُ الملك فيصل وسمعه غيري يطلب من الله متضرعاً أن يرزقهُ الشهادة .

لا . لا . لا . يا حَضْرَةَ الْقَاضِي إِنَّ مَا قُلْتَهُ فِيهِ تَطَاوُلٌ عَلَى الْحُرْمَاتِ وَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَصْدُرَ مِنْ مِثْلِكَ .

تُطْفُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ :

٤ - أنا أعرفُ أَنَّ هُنَاكَ - فِي الْيَمَنِ وَغَيْرِهَا - مَنْ لَا يَزَالُونَ يَحْتَفِظُونَ بِمَذَاهِبِهِمُ الْمَتَوَارِثَةِ عَنْ أَمْثَالِ « أَبِي لَوْلُؤَةَ » ، و . . « إِبْنِ مُلْجَم » ، و « عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ » ؛ وَأَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ الْحَقَّ وَالْخَيْرَ وَالسَّلَامَ ، وَيَنْصُبُونَ الْعَدَاوَةَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ طَبْعاً وَغَرِيزَةً ، وَبِعَامِلِ « الْوَرَاثَةِ » وَأَنَّهُمْ يَظْهَرُونَ وَيُخْتَفُونَ ، وَتَحْتَ مُخْتَلَفِ الشُّعَارَاتِ مَا بَيَّنَّ فِتْرَةً وَأُخْرَى وَفِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ؛ وَلَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قُتِلَ « الْخَوَارِجُ » . . فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْكَ الْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ ؛ قَالَ : « كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ تُطْفُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ ، وَفَرَارَاتِ النِّسَاءِ . . كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ؛ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لَصُوصاً سَلَابِينَ » ! أَعْلَمُ ذَلِكَ كَمَا يَعْلَمُهُ غَيْرِي ؛ وَلَيْسَ هَذَا فَحَسَبَ . . . بَلْ وَأَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَكْرَهُ كُلَّ الْمُسْلِمِينَ أَيْنَمَا كَانُوا : فِي « الشَّامِ » أَوْ فِي « الْعِرَاقِ » فِي « مِصْرَ » أَوْ فِي « الْيَمَنِ » ؛ فِي « مَكَّةَ » ، أَوْ فِي « طَشْقَنْدَ » ؛ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ : مَنْ « تَطْوَانُ » إِلَى « بَاكِسْتَانِ » لِأَنَّهُمْ عِنْدَهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَتْبَاعِ « فُلَانٍ » أَوْ مِنْ « طَائِفَةِ » « عِلَّانٍ » ؛ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ « النَّسْبَةَ » أَوْ تِلْكَ ، « التَّبَعِيَّةَ » هِيَ « دِينُ » هَؤُلَاءِ « النَّاسِ » بَلْ وَإِنْسَانِيَّتِهِمْ ! وَبِدَوَائِفِهَا يُفَكِّرُونَ وَيَكْتَبُونَ ، وَيَشْعُرُونَ بَلٌّ وَيَتَصَرَّفُونَ ؛ وَأَنْ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ لَوْ وَهَبَهُ اللَّهُ قُدْرَةً بَيَانِيَّةً لَكَانَ خَطَرُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ كَبِيراً ، أَوْ أَعْرِفُ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ ذُو مَوْهَبَةٍ بَيَانِيَّةٍ وَلَكِنْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ قَدْ ابْتَلَاهُ بِالْجُبْنِ . . . فَانْطَوَى عَلَى دِفَائِثِهِ « كَالنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضُهَا » . . . غَيْرِ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَزْعِمَ أَنَّ الْقَاضِي الْعَالِمَ الْمُؤَرِّخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْأَكْوَعِ مِنْ هَؤُلَاءِ أَوْ أَوْلَئِكَ ؛ أَوْ أَنَّهُ يَرْضَى عَمَّا يَعْتَقِدُونَ وَيُضْمَرُونَ وَيَفْعَلُونَ لِأَنَّهُ . . .

مُسْلِم . . ولم أشير إلى مَنْ أشرتُ إلّا من باب الاستطراد . . والشئ بالشئ يُذكر ؛ مؤكداً في نفس الوقت معرفتي ، و يقيني ، بأنّ حملة القرآن ، و حُمَاة الإيمان ، وفلاسفة الحق ، والعارفين من الشعراء والكتّاب بالمرصاد لكلّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نفسه . . العَبَثَ والافساد « وليَنصُرُنَّ اللهَ من يَنصُرُهُ » هذا من جهة . . ومن أخرى فإنّ أحداً من اليمينيين وغيرهم لم يُعْطِ اهتماماً لكلّ ما وَرَدَ في منشورات وكتب القاضي « الأكوع » خلال السّنوات الماضية مثل بعض تعليقاته في « الإكليل » وكتابه : « ابنُ الأمير وعصره » ، و « اليمن حامل لواء الإسلام » من أساطير وتهجمات على العلماء ، وأرباب الفكر ، وقادة الإسلام في اليمن وسائر الجزيرة العربيّة . . بل إن الكثير قد تصفّحوها ساخرين - حاشا الجَهْلَةَ أمراض النفوس - وما كان لي أن أعطي بالآ لذلك . . . ولكنه يُحاول الآن أن يَبْثُ بعضَ تخرّصاته مُتَسْتَرّاً بظلالِ « لسان اليمن » الهمداني ؛ ذلك العَلَمُ الَّذِي لم يتكلّم أحدٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أدباء وشعراء اليمن ؛ عن فضل الإسلام ورسوله الكريم ، وآله الطيّبين ، كما تكلم ؛ ولا سيما في « الدامغة » شعراً ونثراً . . ولذلك كان لا بُدَّ من الكشف عن الحقيقة إكراماً لِلْهُمداني ودامغته العظيمة ، وشرحها الجليل وسوف يُبين في فصل لاحق حُبَّةُ الْهُمداني لأهل بيتِ الرُّسُولِ وبأدلةٍ ونصوصٍ من « الدامغة » وشرحها ونففي الدَّعوى التي تقول :

إن الهمداني قد سجّنه الناصر بن الامام الهادي ؛ أو بأمره . . وثُبِتَ أنّ الَّذِي سَجّنه وطارده هو الأمير « البُعْزِي » « الجوالي » ، الَّذِي فعل مَعَ أبنائه وخلفائه بأسرة علي بن الفضل ما فعلوا . . ولأنّ الشئ بالشئ يُذكر . . فَمِمَّا يُؤكّد أنّ القاضي الأكوع لم يَتَّقِدْ بموضوع الكتاب الَّذِي أراد أن يحقّقه وأنّه قد اتخذ من مقدّمته وسيلةً لبثّ بعض لواعج نفسه ممّا لا صلة له بالكتاب قوله في ص (٦٥) حين ذكر الحرب في اليمن : « الحرب الضروس الغاشمة التي أججوها ، وأضرموها ، وفرضتها قوًى خارجيّة يترأسها الجارّ الملاصق المسلم الكبير » « هكذا » ١١ ولا أدري من يخدم الأخ « الأكوع » بمثل هذا وقد أكثر منه في كُتُبِهِ المشار إليها ؟ وهو يعلم أن تلك الحرب المؤسفة كانت من حماقة

وتجنّني عناصر مُغرِضة تَلاشت إثر المصالحة الوطنية ؛ وبعد عقد عدّة
مؤتمرات بين الأطراف اليمينية المختلفة وكان آخرها «مؤتمر حرّض» الذي كان
هو نفسه أحد أعضائه ؛ وهو يعلم أن الجار الملاصق المسلم الكبير حقّاً الملك
فيصل رحمه الله قد بذل كلّ جهدٍ في سبيل إقرار السّلام في اليمن ، ولا تزال
المملكة العربيّة السّعوديّة تبذل العون وتقدّم المساعدات السّخية للشّعب
اليمني وحكومته ، أفيكون هذا هو الشّكران . . ؟ لا . . وحاشا . « وإذا كان
المتكلم مجنوناً . . فالمستمع بعقله » كما يقولون في « صنعاء » .

الفصل الرابع

إقرأ .. وتدبر .. ثم احكم ..

الصفحات التي سوّدها القاضي محمد الأكوخ من رقم (٣٩) حتى صفحة (٦٤) في مقدمته تفهّق بالتّحامل العنصريّ ضدّ فئةٍ من إخوانه في الدّين والوطن ، ودونما مُبرّرٍ إلّا التّحاملُ نفسه ؛ لقد كرّر في هذه الصفّحات بغض ما سبق مُستشهداً حَسَبَ الهوى - ببعض الآيات والأحاديث ؛ التي لو تأملها لوجدناها تُدينُ التّعصّب العنصري ؛ والافتخارات السّلالية ؛ وتذكّر بالحكمة «الالهية» البالغة. . . التي ضرب الله بها مثلاً لمن لا يعملُ بعلمه . . ومع ذلك فقد سَمّى القاضي ما تفوّه به « نظريّة » وكأنّه « ديكارت » أو « الامام الغزالي » اوهتَكَ حُرّمات العلماء ، وحرف وبدّل ، وناقضَ نفسه مراراً . . وما كنتُ أودّ أن أناقشه في كلّ أو بعض ما قاله . . لولا أنّي أخشى أن يصل كتابه إلى أيدي بعض الناشئة ؛ أو أولئك الذين لا يعرفون عن اليمن وتاريخها شيئاً . . فيظنّون باليمن وأهلها الظنّونّ التي لا تشرف اليمن ولا أهلها ؛ ولذلك رأيتُ من واجبي الدّيني والوَطَنِي التّنبية إلى ما يلي :

أولاً التّحامل على « العلويين »

سيلاحظ القارئ أنّ « القاضي » محمد الأكوخ إذا ذكر من يتّسبّب إلى الإمام « عليّ » رضي الله عنه فَقَدْ أعصابه ، ونفّث بالفاظٍ يتّحاماها التّبهاء من « المؤرخين » منها كانت ميوههم وأهواؤهم ؛ مثل قوله في ص (٤٤) - مُقدّمة - : « كان الطّموح في نفوس « العلويين » أولاد « علي بن أبي طالب » يداعبهم بين فينةٍ وأخرى للوثوب على الخلافة . . لأنهم يرون أنّه سلبَ مِنْهُمْ الحقّ الالهي الخ » اوقوله في نفس الصفّحة (٤٤) « ونتيجةً لِلكبت والعقد النفسيّة بأبعادها ، واغتصاب الخلافة ، وإقصائهم عن مَرَسح الحُكم . . قد أثارت

في نفوسهم تأثيراً كبيراً وكثيراً « هكذا » فلم يجدوا مُتَنَفِّساً إلا إثارة الفتنة ،
واحياء العصبية ، فبذروا بذورها على لسان شاعر مضر الكُميت بن زيد
الأسدي » ا

إن مثل هذه النفثات لا تصدر إلا عن غرض وهوى ؛ فلم يكن « علي » ولا
« الحسن والحسين وإخوانهما » ، ولا « أخفأدهم » الأمرون بالمعروف ،
والتأهون عن المنكر ، والخارجون على الظلمة من « الأمويين »
و « العباسيين » و « العلويين » أيضاً يرون أن « الخلافة حق إلهي » ؟ وكيف
لا . . وقد سمعوا قول الله تعالى : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ » ، وقول
الرَّسُول ﷺ « لا يَأْتِينِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَحْسَابِكُمْ وَأَنْسَابِكُمْ ؟ » وهذا
صاحب « البصائر والذخائر » يقول في المجلد الأول ص (٣٠٦) : « قال
جعفر بن محمد : لأمر المؤمنين عليه السلام تسع كلمات أَيْمَنَ جواهر
الكلام ؛ وَأَيْتَمَنَ حقائق البلاغة ، وَقَطَعَنَ أَطْمَاعَ المحاولين عن اللحاق
بهن ؛ ثلاث منها في المناجاة ، وثلاث في الحكمة ، وثلاث منها في
الأدب : فَأَمَّا اللّوَاتِي فِي الْمَنَاجَاةِ فَقَوْلُهُ : إلهي ! كفاني فخراً أن تكون لي
رباً ، وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً ، أنت لي كما أحب ، فاجعلني لك كما
تُحِبُّ . وَأَمَّا اللّوَاتِي فِي الْحِكْمَةِ فَقَوْلُهُ : أَمُنُّ عَلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ ،
وَاحْتِجْ إِلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرُهُ ؛ أَمَّا اللّوَاتِي
فِي الْأَدَبِ فَقَوْلُهُ : قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ ، وَالْمَرْءُ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ ،
وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا » وهذا سلمان الفارسي (رض) الَّذِي رُوِيَ أَنَّ
الرَّسُول ﷺ . . قال فيه « سلمان منا أهل البيت » يقول كما جاء في
« البصائر » ص ٦٠٠ ج ٢ :

« أَبِي الْإِسْلَام لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِبِكْرٍ أَوْ تَمِيمٍ »

« بدعوى » الجاهلية لم أجبه ولا يدعوا بها غير الأئمة .
« دعى » القوم ينصروا مدعيه ليُلحقه بذِي الْحَسْبِ الصِّمِيمِ ا
وهذه الأبيات ؛ وإن حاول « ناقد ما » أن يتشكك في نسبتها إلى سلمان الفارسي

(رض) فلن يستطيع أن ينكر أن فحواها مُستمد من روح القرآن الكريم ،
وسنة الرسول العظيم ؛ وما يعتقد أهل بيته الأخيار ، ولقد كان « سلمان »
منهم بنص الرسول ؟؟

الإمام زيد بن علي والروافض

وبنفس الروح والعقيدة جابه « الإمام زيد بن علي » عليه السلام وهو الذي
خرج علي « هشام بن عبد الملك » بعد أن تأكد من ظلمه ، وتجبره ،
واستبداده ، وقال قوله التي أرعبت « هشام » من « أحب الحياة عاش ذليلاً » !
وهو « الامام » الذي أفتى « الامام » أبو حنيفة بمناصرتة ، وقاتل معه علماء
« الاعتزال . . » هذا الامام زيد بن علي عندما جاءه « المتطرفون » والغلاة
من أنصاره يريدون نصرته والقتال معه ، شريطة ان يتبرأ من « الصديقين »
الخليفتين « أبي بكر » و « عمر بن الخطاب » رضي الله عنهما كان موقفه
موقف الصديق الذي لا يحابي ولا يماري ، كما ذكر كل المؤرخين ؛ وسأفضل
أن أنقل رواية القاضي العلامة نشوان بن سعيد الحميري في كتابه « رسالة
الحوار العين » قال ص (١٨٤) : « وروى عوانة بن الحكم قال : لما استتب
الأمر لزيد بن علي عليه السلام جمع أصحابه فخطبهم وأمرهم بسيرة علي بن
أبي طالب في الحرب . فقالوا : أي البعض منهم - قد سمعنا مقاتلك ؛ فما
تقول في أبي بكر وعمر ؟ فقال : وما عسيت أن أقول فيهما ؟ صجبا رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم بأحسن الصلحة وهاجرا معه ، وجاهدا في الله
حق جهاده ، ما سمعت أحدا من أهل بيتي تبرأ منهما . . ولا يقول فيهما إلا
خيرا . . قالوا : فلم تطلب بدم أهل بيتك ورد مظالمهم إذا ؟ اليس قد وثبا
على سلطانهم ، فنزعا من أيديكم ، وحملنا الناس على أكتافكم يقتلونكم إلى
يومكم هذا ؟ » .

قال لهم « زيد » : إنما وليا علينا وعلى الناس ، فلم يألوا العمل بكتاب الله
وسنة رسوله . قالوا : فلم يظلمك بنو أمية ، إذا ، إن كان أبو بكر وعمر لم
يظلماك ! فلم تدعونا إلى قتال بني أمية وهم ليسوا لكم ظالمين ، لأن هؤلاء إنما
اتبعوا في ذلك سنة أبي بكر وعمر ؟ فقال لهم زيد : إن أبا بكر وعمر ليسا

كهؤلاء ، هؤلاء ظالمون لكم ، ولأنفسهم ، ولأهل بيت نبيهم ، وإنما ادعوكم إلى كتاب الله ليُعمل به ، وإلى السنة أن يُعمل بها ، وإلى البدع أن تُطفاً وإلى الظلمة من « بني أمية » أن تُخلع ، وتُنقى ، فإن أجبتُم سعدتُم ، وإن أبيتُم خسرتُم ، ولستُ عليكم بوكيل .

قالوا : إن برئتَ منها . والأرفضناك؟ قال زيد : الله أكبر ، حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام : إنه سيكون قوم يدعون حبنا لهم نبيز [أي لقب] يُعرفون به ؛ فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون اذهبوا فإنكم الرافضة ففارقوا « زيدا » يومثلوا « فسماهم » « الرافضة » فجري عليهم هذا الاسم .

ثم قال « نشوان » في « الحور العين » أيضاً ص (١٨٥ - ١٨٦) عن الامام زيد : « اجتمع طوائف الناس على اختلاف آرائهم ، على مبايعته ، فلم يكن « الزيدي » أحرص عليها من « المعتزلي » ، ولا « المعتزلي » أسرع إليها من « المرجسي » ولا « المرجسي » من « الخارجي » فكانت بيعته عليه السلام مُشتملة على فرق الأمة مع اختلافها ولم يشذعن بيعته إلا هذه الطائفة العليلة التوقيف « الخ

إلى أن يقول ص (١٨٧) « ومما يدل على صحة ما رواه السيد أبو طالب من إجماع فرق الأمة على « زيد بن علي » لما كان من فضله ، قول شاعر « الخوارج » حبيب بن جدره الهلالي ؟ يرثي زيدا عليه السلام ويقرّع « الزيدية » :

« يَا بَا حُسَيْنِ » والأُمُور إلى مَدَى أولادُ « دُرْزَة » أسلموك وطاروا
« يَا بَا حُسَيْنِ » لو شِراءُ عصابة علقَتَكَ كانَ يُورِدهم إصداراً
وقال أيضاً :

« أولاد دُرْزَة أسلموك مبلأ يومَ الخميس لغير ورد الصَّادِرِ
تركوا ابن فاطمة الكرام تقوُّدُهُ بمكان مسخلةٍ لعَيْنِ الناظِرِ
والذي ذكره « الامام زيد » هو رأي أتباعه وأئمة أهل البيت ؛ وأرجح ما رُوِيَ

عن الإمام الهادي يحيى بن الحسين . . ولا أنكر أن هناك غلاة ومُتطرفين ؛ ولكنه شأن البشر في كل المذاهب ، والعقائد ، وفي كل زمان ومكان ، ولعلهُ من المناسب أن أذكر هنا ما رواه « التوحيد » في « البصائر » والدخائر السُفر الثاني ص (٤٣٦) :

قال يحيى بن زيدر رضي الله عنهما : نحن من أمتنا بين أربعة أصناف : ظالم لنا حقنا ، وبالغ بنا فوق قدرنا ، ومُعطي ما يجب لنا ، وحامل علينا ذُنُوبَ غيرنا .

ومن المعلوم طبعاً - أن الشهيد يحيى بن الإمام زيد بن علي رحمه الله إنما أراد بالحق هنا . حق الإنسان المسلم في الحياة والحرية ، والتفكير ، والتعبير ، إلى آخر ما يُسمى بحقوق الإنسان في هذا الزمان . .
من أي صنف يكون القاضي ؟

ولا أدري من أي صنف يكون الأستاذ القاضي محمد الأكوخ . . ولعلهُ كان من الصنف الرابع حين جزم بأن « العلويين » هم الذين أثاروا فتنة التعصب العنصري والطائفي ؛ فحملهم بذلك ذُنُوبَ غيرهم ؛ وقد حكم بذلك مُستشهداً بروايته « المسعودي » و « الأصفهاني » رغم تناقضهما وقال في صفحة (٥١) : « إن أول من فتح باب السباب والشتم وإثارة العصبية هو الكُميت بن زيد بايعاز من الطالبيين « فالباديء أظلم » . وادّعى أنه أستقى ذلك من كلام أبي الفرج الأصفهاني في « الأغاني » ؛ وهو ادّعاء باطل يناقض ما نقلهُ « الأكوخ » نفسه عن أبي الفرج إذ قال في صفحة (٤٩) ناقلًا عن الجزء السابع عشر من الأغاني ما نصّه :

« وروى أنه كان حكيم بن عياش الكلبي ولعاً بهجاء مضر ، ويهجو علي بن أبي طالب عليه السلام وبني هاشم جميعاً ؛ وكان مُنقطعاً إلى بني أمية ؛ وكانت شعراء مضر تهجوه ويجيهُم ، وكان الكميّ يقول : هو والله أشعرُ مِنكم . قالوا فأجِب الرجل ؛ قال : خالد بن عبد الله القسري مُحسن إليّ ، فلا أقدر عليه ؛ قالوا : فاسمعُ باذنك ما يقول في بنات عمّك ، وبنات خالك من الهجاء ، فأنشدوه ذلك .

ثم قال القاضي محمد الأکوع : « ولم يورد صاحب الأغاني شيئاً مما أنشدوه من شعر « الكلبي » وأورد من شعر الكميت ثم واصل النقل عن الأغاني قائلاً : « فحَمِيَّ الكميت لعشيرته » وألح بينهما الهجاء فقال قصيدته المذهبة : « ألا حَيَّيت عَنَّا يا مدينا » إلى آخر القصة .

وإذا ؛ فليس « الطالبيون » و « العلويون » سبباً في تلك الفتنة - كما زعم القاضي سامحه الله وقوله : أن صاحب الأغاني لم يورد شيئاً من شعر « الكلبي » يريد في هجو أمير المؤمنين عليّ « فلعل ذلك كان تسامياً من أبي الفرج ولكي تُرفقه على القاضي نقول أن صاحب « البصائر والذخائر » قد أورد شيئاً من ذلك فقال في السفر الثاني ص (٣٠٦) :

« قال الحكيمُ بن عيَّاش الكلبي » :

« صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جِدْعٍ نَخْلَةٍ وَلَمْ أَرْمَهْدِيَا عَلَى الْجِدْعِ يُصَلَّبُ
« وَقُسْتُمْ بَعَثْمَانٍ عَلِيًّا سَفَاهَةً وَعُثْمَانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَأَطِيبُ »
وحين بلغ قوله جعفر الصادق رضي الله عنه رفع يده إلى السماء .

(وفي معجم الأدباء بزيادة وهما يتنفضان رعدة) فقال : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ كَاذِبًا فَاسْلُطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ ؛ فبعثه بنو أمية إلى الكوفة ، فبينما يدور في سبيلها إذ افترسه الأسد ، واتصل خبره بجعفر فخر الله ساجداً وقال : الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا . اهـ . هذا أولاً .

ثانياً : أهمية الأنساب عند العرب :

لعل القاضي الأکوع وقع في الله وإياناً - لا ينكر ما كان للأنساب من أهمية عند العرب قبل الإسلام ، وأنها كانت من أسباب الألفة والتنافر ، ودعامة من دعائم النظام السياسي ، وأنهم كانوا يتفاخرون بها قبيلةً قبيلةً ، وجذماً جذماً ، بل وبيتاً بيتاً . وفي القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك حتى أنه حين صور لهم هول يوم القيامة قال : « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ » وقد فسّر بعض الحكماء قوله تعالى « أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ » أنه التكاثر بالأنساب والعشائر حتى بمن قد ماتوا ، وحوثهم الأجداد ، وقد ندّد الإسلام

بتلك المفآخرات والنعرآت العرقية ، وجعل الأخوة في الدين أقوى من إخوة الدم . . وفضل روابط الحرية والعدالة والمحبة على روابط النسب ومع ذلك فقد كان ما كان عند وفاة الرسول العظيم ﷺ وقال الأنصار : مينا أمير ومنكم أمير ، وتمرد من تمرد من العرب ؛ وكان ذلك قبل الكميت بن زيد ، وقبل بن عياش الكلبي ، ولم يكن للعلويين فيه لا ناقة ولا جمل وقد أشرت إلى ذلك في كتابي « قصة الأدب في اليمن » وكتابي « شرح دايدة الدوامغ » وفي إمكان القاضي الرجوع إليهما إن أراد ، هذا ثانياً .

ثالثاً : المفآخرات والعلويون :

وأود أن أسأل القاضي: هل « العلويون » في اليمن هم الذين أوعزوا إلى « تبع » الذي حكّم قبل أن يُخلق « عليّ » بمئات السنين أن يقول حسب رواية « الهمداني » :

« فهل الناس غير أبناء « قحطان » . . إذا ما ذكرت غير عبيدي ؟

وأن يقول :

« كل من يحتذي النعال ومن لا يحتذيها من البرية عبيدي ؟ وهل هم الذين حرّضوا امرء القيس على أن يقول :

لا ينكر الناس منا يوم تملكهم كائنا عبيداً ، وكنا نحن أربابا ؟؟ وهل هم الذين أثاروا غير هؤلاء من « قحطانيين وعدنانيين » على « التفآخر » . . وكتب الأدب والسير تزخر بأثارهم ولا سيما كتب « الهمداني » ؟

وما « دخل » أو شأن العلويين وقصة « وائل » بن حجر الحضرمي المتوفى سنة خمسين هـ - مع معاوية « وقد ذكرها صاحب « البصائر والذآئر » ص (٣٧٨ - ٣٧٩) السّفر الأول قال : « أتى وائل بن حجر النبي ﷺ فأقطعهُ أرضاً ، وكان معاوية يكتب للنبي ﷺ فخرج مع وائل في هجرة شامية ومشى في ظل ناقة وائل فقال له : أردفني على عجز ناقتك ، فقال له : لست من أرداف الملوك ، قال : فأعطني نعلك ، فقال : ما بخل بمنعني يابن أبي سفيان ، ولكن أكره أن يبلغ أقبان اليمن إنك لبست نعلي ، ولكن امش به في

ظَلَّ الرَّاحِلَةَ فَحَسَبْتُكَ بِهَا شَرْفًا»، ثُمَّ أَنَّهُ لَجِقَ زَمَانٌ مُعَاوِيَةَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ فَاجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ وَتَحَدَّثَ بِهَذَا « الْحَدِيثِ » وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ الْهَمْدَانِي فِي الدَّامِغَةِ شِعْرًا فَقَالَ :

« وَقَدْ طَلَبَ ابْنُ صَخْرٍ يَوْمَ قَيْظٍ إِلَى عَبْدِ الْكَلالِ بَأْنُ يَكُونَا لَهُ رَذْفًا الْخِ الْأَيَّاتِ : ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - مِنْ كِتَابِ قَصِيدَةِ الدَّامِغَةِ » ص (٣٣٩) وَشَرَحَهَا ؛ وَقَالَ الْقَاضِي الْأَكْوَعُ مَعْقَبًا فِي الْحَاشِيَةِ رَقْم (١) ص (٣٤٠) إِنَّ الْهَمْدَانِي قَدْ خَلَطَ بَيْنَ وَفَاةِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْكَلالِ ، وَبَيْنَ وَفَاةِ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ الْحَضْرَمِيِّ بَيْنَمَا فَصَّلَ ذَلِكَ فِي الْأَكْلِيلِ وَسَرَدَ الْقِصَّةَ بِزِيَادَاتٍ ، وَقَالَ آخِرًا . انْظُرْ « طَبَقَاتِ بْنِ سَعْدٍ » ، « وَالْيَمَنَ حَامِلِ لَوَاءِ الْإِسْلَامِ » وَالْوَثَائِقُ السِّيَاسِيَّةُ مُتَفَاخِرًا مُتَعَالِيًا . ؟

الْأَخْطَلُ وَالْأَنْصَارُ وَيَزِيدُ .

أَلَمْ يَقْرَأَ « الْقَاضِي » قِصَّةَ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ حِينَ هَيَّجَ الْأَخْطَلُ الشَّاعِرَ النُّصْرَانِي الْمَلَكَةَ عَلَى هِجَاءِ « الْأَنْصَارِ » وَهُمْ مُسْلِمُونَ يَتَمَمُونَ إِلَى « قَحْطَانِ » نَسَبًا فَقَالَ :

« وَإِذَا نَسَبْتَ بَنَ الْفُرَيْعَةِ خَلْتَهُ كَالْجَحْشِ بَيْنَ جِمَارَةٍ وَجِمَارٍ خَلُّوا الْمَكَارِمَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا وَخُذُوا مَسَاحِيكُمْ بَنِي النَّجَارِ » ذَهَبَتْ قَرِيشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا وَاللَّوْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الْأَنْصَارِ ؟ وَكَيْفَ غَضِبَ الْأَنْصَارُ ، حَتَّى هَذَا هُمْ « مُعَاوِيَةُ » بِحُزْمِهِ وَدِهَائِهِ ؟ فَهَلْ يَعْتَقِدُ « الْقَاضِي » أَنَّ « لِّلْعُلُوِّينِ » الْيَمَنِيِّينَ يَدٌ فِي ذَلِكَ ؟؟

وَإِبْنُ الزُّبَيْرِ وَمُعَاوِيَةُ : !!

أَوَلَمْ يَطَّلِعْ « الْقَاضِي » عَلَى مَا رَوَاهُ « الْجَاحِظُ » فِي الْبَيَانِ وَالتَّيْسِينِ « السُّفَرِ الرَّابِعِ » ص (٩١) : « قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِمُعَاوِيَةَ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُبَايِعَ لَابَنَهُ يَزِيدَ ؛ تُقَدِّمُ ابْنَكَ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ؟ قَالَ : كَأَنَّكَ تَرِيدُ نَفْسَكَ ؟ إِنَّ بَيْتَهُ بِمَكَّةَ فَوْقَ بَيْتِكَ ؟ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ بِالْإِسْلَامِ بَيْوتًا ، فَبَيْتِي وَمَا رَفَعَ . . قَالَ مُعَاوِيَةُ : صَدَقْتُ وَبَيْتَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ » ؟؟

رابعاً : مَنْ أثارَ فتنةَ الأنساب في الإسلام ؟

لقد أعرَضَ الأخ القاضي الأکوع صَفْحاً عَمَّا رواه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني وهو يُعَلِّل أسبابَ فتنة التفاخر بالأنساب ، واختِلاقِ المثالب فقال ص (٢٢) ج (٢٠) ثقافة . « إِنَّ أَصْلَ المثالب زياد لعنه الله فَإِنَّهُ لَمَّا ادَّعى إلى أبي سفيان ، وعلم أَنَّ العرب لا تُقرُّ له بذلك مَعَ عِلْمِهَا بِنَسْبِهِ ، وَمَعَ سُوءِ آثارِهِ فِيهِمْ ؛ عَمِلَ كِتَابُ « المثالب » فَأَلْصَقَ بِالْعَرَبِ كُلِّهَا . . كُلُّ عَيْبٍ وَعَارٍ ، وَحَقٌّ وَبَاطِلٌ ، ثُمَّ بَنَى عَلَى ذَلِكَ الْهَيْثُمُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَكَانَ دَعِيًّا ؛ فَأَرَادَ أَنْ يَعرِّقَ أَهْلَ الْيَبُوتَاتِ تَشْفِيقاً مِنْهُمْ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ أَبُو عبيدة معمر بن المثنى كَأَنَّهُ أَصْلُهُ يَهُودِيًّا ؛ أَسْلَمَ جَدُّهُ عَلَى يَدِ بَعْضِ آلِ أَبِي بَكْرٍ الصَّائِقِ (رَضِيَ) فَأَتَمَّتْهُ إِلَى وَلاءِ بَنِي تَمِيمٍ ؛ فَجَدَّدَ كِتَابَ زِيَادٍ ، وَزَادَ فِيهِ ، ثُمَّ نَشَأَ عَلِيلَانُ الشَّعُوبِيُّ لَعَنَهُ اللَّهُ وَكَانَ زِنْدِيقاً ثَنُويًّا لَا يُشْكُ فِيهِ ، عُرِفَ فِي حَيَاتِهِ بِبَعْضِ مَذْهَبِهِ ، وَكَانَ يَورِي عَنْهُ فِي عِدَاوَتِهِ لِلْإِسْلَامِ بِالتَّشْعُبِ وَالْعَصَبِيَّةِ . . ثُمَّ انْكَشَفَ أَمْرُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ - فَأَبْدَعَ كِتَاباً عَمِلَهُ لِيُطَاهِرَ بَنِي الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ شَدِيدَ التَّشْعُبِ وَالْعَصَبِيَّةِ خَارِجاً عَلَى الْإِسْلَامِ بِأَفَاعِيلِهِ ؛ فَبَدَأَ فِيهِ بِمِثَالِ بْنِ هَاشِمٍ وَذَكَرَ مَنَاكِحَهُمْ ، وَأُمَمَاتِهِمْ ، وَرَضَائِعَهُمْ ، وَبَدَأَ بِالطَّيِّبِ الطَّاهِرِ ﷺ فَغَمَصَهُ وَذَكَرَهُ ثُمَّ وَالَى بَيْنَ أَهْلِ بَيْتِهِ الْأَذْكَيَاءِ النَّجَبَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، ثُمَّ يَبْطُونُ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ بِسَائِرِ الْعَرَبِ فَأَلْصَقَ بِهِمْ كُلُّ كَذِبٍ وَزُورٍ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِمْ كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ .

فَلِمَاذَا تَهَرَّبَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ الْأَكُوعُ عَنْ نَقْلِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ الصَّرِيحَةِ وَهِيَ تُبَيِّنُ أَنَّ الَّذِينَ أَثَارُوا فَتْنَةَ الشَّعُوبِيَّةِ وَالْمِثَالِ وَحَرَّكَوا مَشَاعِرَ الْعَصَبِيَّاتِ الْعِرْقِيَّةِ إِنَّمَا هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ ، وَأَنَّ بَنِي هَاشِمٍ كَانُوا مِنْ ضَحَايَا إِفْتِرَائِهِمْ - وَلِجَأٍ إِلَى الرِّوَايَةِ الْمَضْطَّرَةِ الَّتِي بَيَّنَّا أَنَّهَا عَلَيْهِ لَا لَهُ وَلَوْ فَكَّرَ مَلِيًّا لَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ مِنْ جَدِيدٍ ؟؟

خامساً : واضربْ لَهُمْ مِثْلًا :

إِنَّ الْمَنَافِرَاتِ ، وَالْمَفَاخِرَاتِ ، وَالْمَنَابِرَاتِ ، وَالتَّعَصُّبَ لِلْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ وَالْأُمَمِ «الشُّعُوبِ» كَثِيرَةٌ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَفِي

الجاهلية وبعد الإسلام ؛ وأشعارها وأخبارها تملأ الأسفار ؛ وكان أبعد الناس عنها الرسول الكريم ﷺ ، والطيبون من أهل بيته ، والأخيار من صحابته الراشدين والتابعون بأحسان .

وأنا على يقين أن ما جرى بين الفرزدق و « جرير » من مهاترات ومفاخرات « ونقائض » لم تكن بتحريض من « العلويين » !!

كما أن الأستاذ الأکوع لا يستطيع أن يدعي أن ثورة اليمنيين في مصر على القاضي العمري حين أراد أن يلحق بنسبهم جماعة من بلدة « الحرس » بمصر سنة ١٩٣ هـ وقول الشاعر « الخولاني » :

ومن أعجب الأشياء أن عصابة من القبط فينا أصبَحوا قد تعرَّبوا ؟
وقالوا أبونا يعرب ، وأبوهم من « القبط » علج جله يتدبَّب
ألا لعنَ الرَّحْمَنُ من كانَ راضياً بهم عرباً ما دامتِ الشمسُ تغربُ
إلى آخر القصيدة - قد كانت بإثارة الطالبين ؟؟ (وانظر قصة الأدب)

نعم لا يستطيع « الأکوع » أن يزعم ذلك ؟ ولا أن يقول أن « النجاشي » شاعر علي (رض) يوم « صفين » قد هجا « قريشاً » باذن « علي » ؟ ولا أن العلويين هم الذين هيجوا شعراء اليمن على « الثورة » حين أراد معاوية بن أبي سفيان أن يلحق نسب « قضاة » بنسب « معد بن عدنان » فقال عدي بن الرقاع لزهير العذري :

« أزهير ؛ إنني إن أطعتُ كسوتني في الناس ضاحيةً رداء صغار
فحطانٌ والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمة مدركٌ بنُ نزار
أنبیعُ والدنا الذي ندعى له بأبي معاشر غائبٍ متواري ؟

وقال شاعر « معاوية » والأمويين الذي كان يهجو « العلويين » حكيم بن عيَّاش الكلبي في ذلك :

برثنا إلى الله من أن يكونَ أبونا نزارٌ فنرضى نزارا
ولكننا نحنُ نجلُ الملوكَ يمانونُ أصلاً، يمانون دارا

أجل ؛ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعِي « الأكوع » أَنْ أَبْنَاءَ « علي » أثاروا تلك الحرب الكلامية ! ولا أَنَّهُمْ أَيْضاً قَدْ أَوْعَزُوا لِشَاعِرِ الْأُمَوِيِّينَ « جَرِير » أَنْ يَرُدَّ عَلَى « تَقْحُطَن » عَدِيَّ بْنِ الرَّقَاعِ فيقول مُتَشَامِخاً :

أَقْصِرْ ؛ فَإِنَّ نَزَاراً لَنْ يُفَاضِلَهَا فَرَعُ لَثِيمٍ ، وَأَصْلُ غَيْرِ مَغْرُوسٍ
وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ

ولقد كانت فتنة ابتلي بها المسلمون ، وبذرهما المنافقون ، ومن أشار إليهم صاحب الأغاني ليتوهوا بالمسلمين في صحارى الضلال ، وقد وضعت في ذلك الأشعار من « نقائض » إلى « مذهبات » إلى « دوايح » واختلقت الروايات والأخبار ، وقد فرغ من تحقيق ذلك أهل العلم وأساطين الأدب ، وعلماء التاريخ ؛ وما كان لي أن أخوض فيه . . لولا أن القاضي « محمد الأكوع » قد ظل خمسة عشر عاماً وهو ظالماً يهذي بذلك . . ثم جاء في مقدمة كتاب قصيدة الدامغة « وقال « إلى ما ذكرنا من أقواله : « إن أول من فتح باب السبب والشتم وإثارة العصبية هو الكُميت بن زيد بإثارة من الطالبين » . . فكان لا بد ؛ غيراً على الشاعر الكُميت وتبييناً للحقيقة ؛ أن تُورد بعض الأمثلة التي تنقض قول القاضي ؛ وهناك مئات الأمثال ماثلة في كتب التاريخ ، وأسفار أصول الأدب .

سادساً : هفوات يمنية :

لقد كان يظهر نزق القاضي محمد الأكوع « الحوالي » في تعابير الرضى والتقدير التي يضيفها على شعراء يرضون أو يدللون تعصبه « وحوالته » كما يبدو في نقاشات تحامله عندما يتحدث عن الشعراء الذين يتعصبون « لعدنان » أو يحاولون معارضة زملائهم المتعصبين لقحطان : أما من يذكر أو يمدح أحداً من « أهل بيت الرسول » فيا لويل والثبور ! والقاضي يعمل ذلك بطريقة لا تراعي أصول النقد الأدبي ، ولا مقاييسه الفنية ؛ بل ولا حتى أبسط قواعد الذوق لدن المؤرخين ذوي الأهواء والميول الخاصة ؛ وسنورد أمثالا . . مهما كانت تافهة ومضحكة لكنها تصور ما أشرنا إليه :

أ - ابن أبي عيَّنة وأبو الذَّلَفَاء :

عندما ذكر ابن أبي عيَّنة ص (٥٢) مقدِّمة قال: «فإنَّه هَجَا نزاراً» وفُرى جلدتها « ولكنَّه عندما ذكر « أبا الذَّلَفَاء » الَّذي ناقَضَ قصيدة « ابن أبي عيَّنة » قال : « إنَّما كَلَفَهُ بِذلِكَ إِسْحَقُ بْنُ عَبَّاسِ الْعَبَّاسِي » ثم قال : « وهذا العبَّاسي الحاقِد هو الَّذي ولَّاه المأمون اليمَن سنة ٢٠٩ هـ فأساء السَّيرة ، وتعدَّى وظلم الخ . . اثم يقول بعد كلام غريب عن : « تَوَمَّةُ الْعَصْبِيَّةِ نَوْمَةُ أَهْلِ الْكَهْفِ » واستيقظت باليمن الَّذي أصْحَاحُهَا الْعَلَوِيُّونَ « أوَّلاً ؛ وباليمن أخيراً « هكذا » ونفوه بما لا يليق عن الامام الهادي يحيى بن الحسين !
ب - الهمداني وشعراء عصره :

وعندما تحدَّث عن الشَّعراء « اليمَنِيِّينَ » الَّذين عارضُوا أو عاصروا « الهمداني » قال : « حَسَدُهُ زَعَانِفَةُ الشَّعراء ، وأوباشُ الْجَهْلِ » وأمراض الجِدِّ « إلى آخر ما قاله من التَّعابِيرِ البذيئة ص (٥٥) .

ج - العلوَّيون وضيافة القاضي ١١ ؟

وقال في ص (٥٦) : « وهكذا تَبَدَّى الْعَصْبِيَّةُ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ الَّذين أَنزَلْنَاهُمْ عَيْنَدَنَا - هكذا - ضيوفاً ؛ فراراً من اضطهاد بني عمومتهُم العبَّاسِيِّينَ . فكان جزءاً نَاكُفَّراً النَّعَم - هكذا - والبذاءة والشَّتْم والانتقاص الخ » وترك الجواب عليه جواباً ١١ والمجاثات يومَ الدِّين .

د - القاضي والشَّاعر العدوي .

ومن نفثاته الَّتِي تَفْضَحُ تحيِّزه وعُنْصَرِيَّتُهُ قَوْلُهُ عَنِ « الْعَدَوِيِّ » حفيد الخليفة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، وكانَ مِنْ شُعراء اليمَن وعُلمائِها ؛ قال « الأَكْوَع » « وَمِمَّنْ دَسَّ أَنْفَهُ » فِي الْمَنَاقِضَاتِ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَدَوِيُّ . فقد تصدَّى لِمَنَاقِضَةِ لِسَانِ اليمَن « الهمداني » ؛ ثم يقول « فناقضه علَّامةُ اليمَن فِي عَصْرِهِ الْمُؤرِّخُ الْكَبِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكَلَاعِي الْحَمِيرِي المتوفى بقلعة كُحْلَانَ سنة ٤٠٤ هـ الخ » ؛ فذلِكَ « دَسَّ أَنْفَهُ » وَهَذَا علَّامةُ اليمَن الْمُؤرِّخُ الْكَبِيرُ ص (٥٦) مقدِّمة .

هـ - نشوان الحميري وأحمد بن سليمان .

ومن تَفَاهَيْهِ هَدَاهُ اللهُ وَإِنَّا قَوْلُهُ ص (٥٧) «ومن المناقضات ما جَرَى بين
«الإمام» نشوان الحميري ؛ أحد أعلام العرب ومنْ أَشْرَفَ بَيْتٍ بِالْيَمَنِ ،
طَمُوحِ النَّفْسِ ، عَالِيِ الْهَمَّةِ ، شَرِيفِ الْمَقَاصِدِ حُرِّ الْفِكْرِ ، مُسْتَقْلِلِ الرَّأْيِ ،
عَالِماً بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَلِغَاتِهَا ، وَاسِعِ الْأَفْقِ الْخِ . . . وَبَيْنَ الْإِمَامِ
أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الَّذِي يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ السَّالِفِ الذِّكْرِ ؟
[يقصد الإمام الهادي] ، وَهُوَ أَيْ ابْنُ سُلَيْمَانَ مِنْ أُمَّةِ الزُّيْدِيَةِ الَّذِي لَهُ أَفْكَارٌ
نَادِرَةٌ مَمْجُوجَةٌ وَسَخِيفَةٌ وَتَعْصِبٌ مَمْقُوتٌ ، وَهُوَ الَّذِي شَرَّعَ لِلزُّيْدِيَةِ تَحْرِيمَ زَوَاجَةِ
« الْعُلُوَّةِ » بِالْفَحْطَانِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَصَارَ مَذْهَباً لَهُمْ مُعْتَمِداً « الْخِ ١٩١ !

وَهُنَا أَعْتَقَدَ أَنَّ الْقَارِئَ الْمُتَصِفَ لَا بَدَّ أَنْ يَسْمَحَ لِي إِنْ لَمْ يُنَاشِدْنِي بِأَنْ أَتْرِكَ
لِقَلَمِي حُرِّيَّةَ الدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْمَضْطَّهِدَةِ فِي التَّخَرُّصَاتِ وَالْهَفَوَاتِ السَّالِفَةِ
الذِّكْرِ ؛ الْمَنَافِيَةِ لِأَدَابِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَالتَّقَادِ .

فَالْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ؛ وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُمَثِّلُ فِئَةً غَالِيَةً فِي تَشَبُّهِهَا بِمَا
تَعْتَقِدُهُ حَقّاً وَشُرْعاً وَصَوَاباً ؛ شَأْنُهُ شَأْنُ سَائِرِ الْعُلَاةِ فِي كُلِّ فِرْقَةٍ وَطَائِفَةٍ
وَنَحْلَةٍ ، وَجِزْبٍ ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنِّي شَخْصِيّاً وَأَنْ كَثِيراً مِنْ الْقُدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ
فِي الْيَمَنِ . لَا يُؤَافِقُونَهُ وَلَا أَمْثَالَهُ فِي بَعْضِ وَجْهَاتِ النَّظَرِ سِوَاكَ كَانَتْ أَصُولِيَّةً
أَوْ فُرُوعِيَّةً أَوْ أُدْبِيَّةً ؛ أَوْ سِيَاسِيَّةً ؛ مِثْلَمَا لَا تُؤَافِقُ نَشْوَانَ الْحَمِيرِيَّ فِي بَعْضِ
وَجْهَاتِ نَظَرِهِ . . . الَّتِي تَجَاهَلُ فِي إِحْدَاهَا رُكْنَاً مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ قَوْلُهُ :
أَنَّ آلَ النَّبِيِّ هُمْ أَتْبَاعُ مِلَّتِهِ ! فَلَمْ يُبْقِ لِلزَّكَاةِ وَمَصَارِفِهَا مَعْنًى . . . لِأَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ
عِنْدَ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى « أَهْلِ الْبَيْتِ » . وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهِمْ ، نَعَمْ
بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ - فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نُجِيزَ مَا قَالَهُ الْقَاضِي الْأَكْوَعُ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ
ابْنَ سُلَيْمَانَ وَإِنْ كُنَّا نَجِيزُ لَهُ كُلَّ مَا قَالَهُ أَوْ كَالَهُ مِنْ مَدَائِحٍ لِلْعَلَامَةِ نَشْوَانَ
الْحَمِيرِيَّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُنْكَرَ أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ سُلَيْمَانَ
كَانَ عَالِماً كَبِيراً وَشَاعِراً وَأَدِيباً ، وَمِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ فِي الْيَمَنِ حَسَبِ التَّعْبِيرِ
« الْأَكْوَعِي » وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، لِأَنَّ الشَّرْفَ وَالْكَرَامَةَ لَيْسَتْ فِي « الْبَيْوَاتِ » كَمَا
قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِمَعَاوِيَةَ ! وَلَعَلَّهُ مِنَ الْأَنْصَافِ لِلرُّجُلَيْنِ وَقَدْ كَانَا زَمِيلَيْنِ بَيْنَهُمَا

علاقة صهر وأدب أن أذكر ما قاله نشوان الحميري في أحمد بن سليمان من قصيدة طويلة :

يَا بْنَ الْأَيْمَةِ مِنْ بَنِي الزُّهْرَاءِ وَابْنَ الْهُدَاةِ الصَّفْوَةِ النَّجْبَاءِ
وَأَمَامَ أَهْلِ الْعَصْرِ ، وَالنُّورِ الَّذِي هُدِيَ الْوَلِيُّ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاءِ
كَمْ رَامَتْ الْكَفَّارُ إِطْفَاءً لَهُ عَمْدًا فَمَا قَدَرُوا عَلَى إِطْفَاءِ
يَا خَيْرَ مَنْ تَمْشِي بِهِ قَدَمٌ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ مِنْ بَنِي حَوَّاءِ

وقد كان « نشوان » ممن حرّض الامام أحمد بن سليمان على ضرورة القيام بالدعوة لما رأى من الفوضى العارمة التي كانت تجتاح اليمن حينذاك ؛ وقد أشار إلى ذلك المؤرخون ؛ وانظر صفحة (٢٩٥) من كتاب « غاية الأمانى » السفر الأول أحداث عام ٥٣١ هـ - ١١٣٧ م .

« تكافؤ الزواج » :

هذا من جهة ؛ ومن أخرى كيف يجرؤ القاضي محمد الأكوخ أن يقول :
« أن الإمام أحمد بن سليمان هو الذي شرع تحريم زواج « العلوية »
بالقحطاني وغيره وصار مذهباً لهم معتمداً » وهو يعلم أن ذلك غير
صحيح . . ؟ وإذا كان قد رأى ذلك الامام احمد بن سليمان ؛ فلم يكن أول
من ابتدعه ، ولن يكون الأخير ؛ ونحن نعرف أن المذهب « الزيدي » يعتبر
الكفاءة في الدين مثل سائر المذاهب الاسلامية ؛ ولو أردت أن أعدد أسماء
من تزوجوا من أبناء اليمن وبنات اليمن قبل الثورة وبعدها ومن أتباع المذهب
الزيدي والمذهب الشافعي خلاف ما ذكره القاضي لأطلت وأسهبته ؛ ولا
أنكر بهذا أن هناك قديماً وحديثاً ؛ وفي الجاهلية وبعد الاسلام ، وفي اليمن
وغيرها من كانوا ولا يزالون يشترطون في المصاهرة والتزاوج شروطاً ليست
من الإسلام في شيء . . . ا

وكثيراً ما قرأنا في تاريخ العرب عن إغراق قبيلة ما ، أو جدم ما ، في
اعتزازهم بأصولهم ، وتعصبهم لأغراقهم ؛ حتى أنهم يأنفون من الاضمار
إلى من ليس منهم ؛ ولا يرضون لكريمتهم إلا أحد قومهم وقد روى صاحب

« الاكليل » « الهمداني » أقاصيص كثيرة في هذا الباب ؛ ومن ذلك ما ورد في الجزء العاشر منه ؛ وهو أنَّ الفنيق بن مالك قصد بآبِرٍ آخر له في جماعة من بني ربيعة إلى محمد بن عبد الرحمن « آل أبي الدنيا » وهو نازل « بيناعة » فضافوه ليلاً ؛ فلما قام بضيافتهم ؛ سأله الفنيق أن يُزَوِّج ابنَ أخيه بآبِيتِه ؛ فدافَعَهُ فلم يندفعْ لا هوَ ولا مَنْ مَعَه ، وحايَرُوهُ ولم يكن عنده جماعة يحتمي بها . . . فزَوِّج ؛ فلما عقد النكاح قالوا أثَّرتِ بها السَّاعة . فتلوَّح من ذلك ، وعرفهم انه لا يمكن فلم يقبلوا له عُذراً . . . فنأشدهم ؛ فلم يشدوه ؛ فقال : فاني أفعل ؛ فلتبعد الجماعة من المنزل ؛ فيدخلُ معي العروس فأخليه وأهلكه ، فابتعدوا وأخذ بيده فادخله ثم اتكأ على حلقه فدَبَحَهُ وقطع ذكره فجعله في فيه ! وثقب المنزل من دبره وخرج « بحرمة » تحت الليل ؛ فلحق « بضياف » فمعه قال شاعرهم :

« مَنَعنا «بنَ ذي المشعار» فالنَّجْمُ دَوْنَهُ فمن رَأَاهُ فلْيَلْبِسِ النِّجْمَ بِالْيَدِ
فَقُلْ لِرِجَالٍ أَوْعَدُوهُ تَزَاجِرُوا فللنَّجْمِ أَذْنا مَلَمْساً مِنْ « محمد »
وحتى العلوي كان غير كفوء عند المعيديين !

وقال « الهمداني » عند كلامه عن « المعيديين » : وهذا البيت لا يرونَ لهمْ كفوءاً من حاشد ؛ وقد طمع مُحمد بن يحيى بن الحسين [الامام الهادي جد الامام أحمد بن سليمان] بالصَّهر اليهم فأعجزوه .
وقل مثل ذلك في خبر مالك بن العجلان الخزرجي مع « القيطون » وإبانته أن يزوجه ابنته وقوله : « إنا عَرَب لا نُزَوِّج مَنْ ليسَ منا ؛ ولك في « قريش » متَّسع ؛ ثم لما لم يجد من الأمر مناصاً احتال فقتل « القيطون » ليلة زفاف ابنته اليه .

الغساني وزرارة بن عدس

وذكر « الهمداني » أن رجلاً من « غسان » جنى على بعض بني عمِّه ؛ ثم هَرَب وحالَف « زُرارة بن عدس التميمي » فخطب « زُرارة » ابنة « الغساني » على بعض بنيه ؛ فكره الغساني ذلك ودافعه ؛ فلما مات « زُرارة » أقبل على أهله فقال : إنَّ حليم القوم قد هلك وهؤلاء شباب ، ولست آمنُ أن يحملوني

على ما أكره من إنكاحهم ؛ ثم احتمل في أول الليل بأهله فما عرس حتى
خرج من ديار تميم وقال :

رغبتُ بها عن « حاجب » وابن أمي « لقيط » وعن تلك الرجال الركائك
ولو كنتُ في « غسان » أبرزتُ وجهها وأنكحْتُها بعضَ الرجالِ الصَّعاليكِ
وقد أشار إلى ذلك « الهمداني » في « دامغته » التي حققها « الأكوع » وقدم
لها بما تُفنده الآن ؛ قال الهمداني ص (٤٢٤) :

وقد طلبتُ تميمَ صهر جاري لهم ونا فاضحوا مُتبعينا
وما كانوا لِغسانِ بكفوءٍ لربّاتِ الحجالِ مُقدِّمينا
ذاكراً في شرحها أقاصيصَ أخرى من قبيل ما ذكرناه ثم قال في ص (٤٢٦)
« طبعة الأكوع » عند شرحه لقوله مفتخراً :

ونحنُ النَّاكحون إلى « عدي » كرائمه ونعمَ المنكحونا
فأمهرنا الذي جعلوه فيهم رضىً لجميعهم . . مسكاً دهبنا
لما هربَ « مُهلhel » بن ربيعة ، واسمه « عدي » وإنما سُمي مُهلhel لأنه أولُ
من هلhel الشعر وطوله ، وَلِلْمُهَلhel في ثيابه إلى ديار « جنب » من « مذحج »
خطبَ إليه معاوية بن عمر بن معاوية بن معاوية بن الحارث بن مُنبه ابتسه
فزوجهَا وكان صداقها أدماً فقال :

أصبحتُ لا منصباً أفدتُ ولا بِتُ سليماً خلوا من التدمر !
أنكحَهَا فقُدّها الأراقم في « جنب » وكانَ الحباءُ من آدم ؟
لو « بأبانيين » جاءَ يخطبها ضرج ما أنفُ خاطبٍ بدمٍ
ليسوا بأكفائنا الكرام ، ولا يغنون ؛ من فاقةٍ ومن عدم ؟
عزّ على تغلب بما لقيتُ أختُ بني المالكين من « جشم »

إلى آخر ما قاله « الهمداني » مما نسيه أو تناساه صاحبنا القاضي الأكوع في
مقدمته ؛ ونسبَ إبتداعَ التشدد في المصاهرة إلى الامام أحمد بن سليمان ؛
وليس ذلك فحسب بل قال أنها أصبحتُ شرعةً متبعة في المذهب « الزيدي »
ولا بد أن أكرر القول أن أحمد بن سليمان إذا كان قد رأى ذلك الرأي فهو من

قبيل ما تباهى به « الهمداني » في كتبه ، ولا شأن للأمر بزيدي ، ولا « شافعي » ولا « حنبلي » ولا « مالكي » . وكان الأحرى بالقاضي الأكوع أن يقول : إن كل ما كان في الجاهلية قد شطبه الإسلام ، وكل ما جاء بعد الإسلام من تعصّب لعرق أو نسب ، أو حمية لهما فليس من الإسلام في شيء ! مُستشهداً بما أخرجه « الترمذي » عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب يوم فتح « مكة » فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَصَبِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعَاطَمَهَا بِأَبَائِهَا ، النَّاسُ رَجُلَانِ : بُرْتَقِي كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ . »

سابعاً : أما كان أحرى بالقاضي ؟

أما كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْأَوَّلَى وَالْأَخْلَقُ وَالْأَجْدَى ؟؟ أما كان أحرى به أن يُشِيدَ بِمَا نَدَّبَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ وأن يهدم ويُحَارِبَ مَا حَارَبَهُ الْإِسْلَامُ ؟

ثم . إذا أراد أن يؤرخ ، أو يُحَقِّقَ أو يُصَحِّحَ ما قاله « الهمداني » أو « نُشَوَان » ، أو « الهادي » أو « ابن سليمان » أو « جرير » أو « الأخطل » ، أو « الشامي » أو « الارياني » . . أو فلان ، أو « فلان القلاني » . . فلا بأس أن يحققه ويشرح غوامضه ، ويضبط ما فيه من لغة ، أو مكان أو واد ، أو جبل ، دون إسهاب وفصول ، ولا غرض أو هوى ؟

أما كان ذلك أولى به ؟

أما كان هُوَ الْأَحْرَى ؟

وهي سنة المحققين ، وطريقة العلماء . . ولا سيما في هذا العصر الهائج المائج : عصر الفضاء . . لا عصر « النقائص » و « الدوامغ » والتفاخر بالأباء والتكاثر بالأجداد . . . ولكن : « ولكن مَنْ يقرأ لعريج خطها » كما يقولون في صنعاء ، وعفوا . .

وثامناً : ما هو موقف نُشَوَان الحميري ؟

نعم . . وثامناً ؛ والواو ، « واو » « الثمانية » وعليه فلن أقول وتاسعاً وعاشراً . . وإن كَانَ مَجَالُ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ . وبعد أن كان الخديثُ عن « نشوان

ابن سعيد الحميري « مؤلف » شمس العلوم « وصاحب » الحور العين ،
والشاعر ، الكاتب الفيلسوف ألا يشعر صديقنا القاضي الأكوخ أنه قد تجنى -
أيضاً على سمعة علامتنا « نشوان » وظلم تاريخه حين لم يذكر ما ذكره عنه
المؤرخ العلامة « الزحيف » من إطمئنانه إلى المصالحة بينه وبين من تخصم
معهم من الأشراف ، واعتذاراتهم إليه ، واعترافهم بفضله ، واعتذاراته
إليهم ، واعترافه بما لهم من فضل ؟ وقوله في القصيدة « الدالية » التي
أولها :

أَعْلَى الْكَأْبَةِ مِنْكُمْ لِي مُسْعِدٌ ؟	فَالْخِلُّ يَأْسَى لِلْخَلِيلِ ، وَيَكْمَدُ
إِنْ طَابَ عَيْشُكُمْ وَطَابَ كَرَأُكُمْ	فَأُخَوِّكُمْ ؛ مُرُّ الْمَعَاشِ مُسْهَدٌ ،
فِي قَلْبِهِ مِنْ عَثَبِ أَبْنَا « قَاسِمٍ »	حُرْقٌ تَأْجِجُ نَارُهَا تَتَوَقَّدُ
حَتَّى سَعَتْ بَيْنِي الْوِشَاءُ وَبَيْنَهُمْ	فَأَمَالَ عَبْدَ اللَّهِ مَنْيَ الْحُسَدُ
وَأَطَاعَ أَمْرَهُمْ وَصَدَّقَ قَوْلَهُمْ	فَأَتَى بِكَافِيَةٍ ؛ تُقِيمُ ، وَتُقَعْدُ
فِيهَا مَقَالٌ لَيْسَ مِنْهُ بِجَيِّدٍ	مَا بَالُ عَبْدِ اللَّهِ ؟ وَهُوَ الْجَيِّدُ
وَعُدُوتُ مَظْلُومًا كَأَنِّي ظَالِمًا	إِنِّي عَلَى مَا نَابَنِي مُتَجَلِّدُ . .

وهو يشير إلى قصيدة الأمير الشاعر عبد الله بن القاسم الدالية التي تجنى فيها
على « نشوان » ومنها يُخاطبُه : أما الصَّحِيحُ فَإِنْ أَصْلَكَ فَاسِدٌ . . . والتي
أغضبت « نشوان » وردَّ عليها بقصيدة طويلة منها البيت المشهور :

إِنْ كَانَ مَوْتِي مِنْ حُسَامِكَ إِنَّنِي لِقَرِيرِ عَيْنٍ بِالْبَقَاءِ مُخْلَدُ
وهذا البيت - في نظري - يُسَامِقُ لُطْفًا وَسُخْرِيَّةً وَبَيَانًا قَوْلَ الْأَوَّلِ :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا فَاثْبِيرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ
ومن دالية « نشوان » الثائرة قوله :

مَهْلًا « قَرِيشُ » ؛ لَا أَبُ لَأَبِيكُمْ مَهْلًا . . فهل منكم إله يُعْبَدُ ؟
منكم نبي قد مضى لسبيله أَطْنَنْتُمْ ؛ أَنْ « النبوة » سَرَمَدُ ؟
وهي وثبة شيعرية لا يَنْبُضُ بِهَا إِلَّا قَلْبُ شَاعِرٍ جَبَّارٍ نَائِرٍ . . وقد أراد « نشوان »
بعد أن تصالح مع الأشراف واعتذروا إليه من قصيدة صاحبهم عبد الله . . أن

ينقض قصيدته بأخرى ؛ على نفس الروي والقافية فقال القصيدة التي ذكرنا أولها ومنها :

« وذكرت آلَ محمدٍ وودادهم فرضُ علينا في الكتاب مؤكّد
وذكرتُ « زيدا » و« الحسين » ومولداً لهم زكيّ الأصل نعم المولّد
بأبي وأمي من ذكرت ومن بهم يهدى الجهول ، ويرشد المسترشد
ثم يصرخ صرخة « الزيدي » المستيقن :

لا أستعيضُ بدين « زيد » غيره ليسَ النحاسُ به يُقاسُ العسجدُ
وقد ذكر ذلك « الزحيف » و« أبو الرجال » مؤلف « مطلع البدور » وأورد له
« الزحيف » رساله يقول فيها عن تلك النقائص الشعرية البديعة ما يلي :

إنقضتُ « النقائص » بيني وبينَ الشرفاء « القاسميّين » وذلك قبل طرور
الشّارب وبلوغ المآرب ، وأما اليوم فقد زدتُ على الأشدّ ، وصرتُ من الهزل إلى
الجدّ ، وأتاني نذيرُ الشيب ، وزايلني كلُّ ريب ، إلى آخرها . . وقد ذكرها في
مقدمة رسالة « الحور العين » الأستاذ كمال مُصطفى ص (١٩) .

أما كان من واجب القاضي محمد الأكوح - وهو يدق أبواب الثمانين - أن يشير
إلى ذلك ؛ ليؤدّي واجب الأمانة التاريخية من جهة ومن أخرى ليضرب للأدباء
مثلاً عالياً من أخلاق العلامة القاضي « نشوان الحميري » ؛ وأترابه الذين
ناقضوه وناقضهم ، وفاخروه وفاخرهم شِعراً ونثراً ، ولكنهم جميعاً رجعوا إلى
صوابهم ، وإلى حضيرة دينهم ولسان الحال ينشد :

إذا اختربت يوماً فسالت دماؤها تذكّرت « القربى » فسالت دموعها . .

وتلك هي طريقة الأخيار والأبرار وطلّاب الحقيقة في كلِّ زمانٍ ومكان . .

« القاسمية » وتعصّب القاضي الأكوح

أما كان ما قلناه ؛ هو الأجدر والأصوب والأخلق به ؛ وهو يُحقّق كتاب أدب
ولغة وتفاخر ؛ أن يُحارب العصبية والمتعصّبين بدلاً من التّطاول على من قال
فيهم « نشوان » ما قال ؛ فيتّهجم عليهم بقوله في ص (٥٨) مقدمة :

القاسمية من أحفاد الامام القاسم بن علي العياني المتوفى سنة ٣٩٣ هـ « ١٠٠٣ » م أحد من لفظتهم الأرض الى أرض اليمن والشظايا المتطاير شررها في سنام « همدان » فأثختته بالجراح الدامية ، وكبّلته بالعقائد اللاهوتية ، وهم في حماه . . إلى آخر الكلام الذي لن يُثيرني فأتذكر ما كان في الامكان سرده ؛ مما قد يضيّق به صدر القاضي . ا وأخرج به عن نُصح الصديق الذي ذكرني بالحديث الشريف « من أنقى الله لم يشفر غيظه »^(١) وسوف اجلّ يراعي عن الردّ على ما تهجّم به على أحفاد القاسم العياني ظلماً وعدواناً .

ومع الشعارين الحمزي وبن عدوان

إن تفاهات « قاضينا » لا تنتهي ، فعندما تحدّث عن الشاعر محمد بن الامام عبد الله بن حمزة قال ص (٥٩) : « يُدعى : بالأمر محمد الذي تحدّثنا عن إجرام أبيه فقد تحرّكت فيه حُزوانة » العقد النفسية وأفرز من ذلك الوباء المتأصل فيهم « قصيدة » سماها « ذات الفروع » فنازل اليمنيين بالذم في عُقر دارهم بدون حياء ولا خجل الخ ثم قال : « وقد تصدّى للدفاع عن أحساب قومه الأديب علي بن أحمد بن عدوان الهمداني الوداعي بقصيدة سماها « ذات الأصول » إلى آخر ما قاله من هذيان ؛ فشاعرٌ يمانى لا يوافق هواه ينزغ عنه الجنسية الوطنية وهو ابن مُجرّم » و « أفرز الوباء المتأصل » ، وشاعرٌ يمانى آخر يتعصّب له ، ويسردُ نَسَبَهُ وقد تصدّى للدفاع عن أحساب قومه وهو « العلامة والأديب » !! فهل هذا هو أسلوب المحقّقين ؟ .

وثالثة الأثافي : ابن العليف والأسلمي

وترفيهاً عن القراء نزيدهم من هذه التفاهات ما يصوّر ضعف المزاج البشري ، وتخاذل الأعصاب عند المتعصّبين ، وكيف تُعوي الحميّة بصيرة الانسان ، وذلك في قول « قاضينا » ص (٦٠) وهو يتحدّث عن الشاعر «ابن العليف » قال :

«من تيارات وباء العصبية الذي حَمَلَهُ العلويون المشردون إلى جبال اليمن

(١) هو القاضي العلامة الجليل عبد الرحمن بن يحيى الأرباني .

الشهاء » إلى قوله « وفي ظروف غامضة عمقت التفسية في تلك النفوس الشريرة فلم تُقرز الوباء ، ووجدت طريقها العدوي إلى تهامة وحنّ قدح ليس منها هو المختار بن الحسن بن زيد العليف العدناني وكأنه نكرة مجهولة ، ولعله من سافلة عكّ فأنشأ قصيدة أسماها « الدامغة » وهي على غرار القصائد السالفات الذكر وزناً وروياً وقدحاً ومدحاً » الخ .

ولا أريد أن أناقش الأستاذ القاضي الأكوع عن اسم الشاعر إذ قد سميت في كتابي « قصة الأدب في اليمن » ص (٣٩) مسلم بن العليف وكذلك سمّاه البهائية السيد عبد الله الحبشي في كتابه « دراسات في التراث اليمني » ص (١٢٢) وقال أنه « من أدباء القرن السابع ، وكان قد عاصر الشاعر اليمني محمد بن حمير المتوفى سنة ٦٥١هـ ثم قال خلافاً لما ذكره « القاضي » مستنداً إلى « الضوء اللامع » للسخاوي عن ابن العليف : « أنه من المنتسبين إلى قبائل اليمن ، فهو مسلم بن يحيى بن العليف بن هيس الشراجيلي الحكمي العكي وأول « دامغته » :

ما عبتُ مُد كنتُ للأحبابِ مظنوناً ولا بثتُ من الأسرار مكنوناً
أقول: لا أريد أن أناقش « قاضينا » الأكوع في التسمية فقد قال أن يحيى بن الحسين قد ترجم له في « طبقات الزيدية » وهي ليست بين يدي الآن . . ولكني أريد أن أنبه إلى أنه قد وهم حين قال « وهي على غرار القصائد السالفة الذكر وزناً وروياً لأن « وزن » القصائد التي أشار إليها ؛ ومنها « مذهب الكميّة » و « دامغة » الهمداني وكل الدوامغ القديمة من « الوافر » مُفاعَلَتُنْ مفاعَلَتُنْ ، فعولُنْ » أما وزن « قصيدة بن العليف » و « الدوامغ المتأخرة » التي عارضته فهو من « البسيط » .

ولنعد إلى ما كتب بصدده من التوفاه إذ يقول القاضي بعد ذلك ص (٦١) وهو ما قصدتُ التنبية إليه : فتصدى للجواب عليه عليّ بن سليمان الأسلمي الحجوري الهمداني القحطاني بقصيدة عامرة المعاني ؛ جزلة الألفاظ والمباني وأسماها « دامغة الدامغة » ! ثم قال مُتهافتاً : لولا أنه أسف منها في بيت ؛ ونزل بنفسه إلى الحضيض ، وهدم ما بنّاه من الصرح الشامخ إلى

الأساس ، مما يدل على ضعف نفسه وعزوفها عن معالي الأمور » الخ .

هنا يصمت الحادي ، وتستريح القافلة قليلاً لنراجع هذا الكلام الغريب ؛ فالقاضي بعد أن شتم « الوباء العلوي و » النفوس الشريرة » ، والشاعر « ابن العليف » النكرة من « سافلة عك » لأنه تعصب « لعدنان » قد أشاد أولاً بالشاعر علي ابن سليمان « الأسلمي الحجوري الهمداني القحطاني » لأنه افتخر بقحطان . . . ولكنه سرعان ما انقلب يكيل له الشتائم بلا حساب ، من أجل بيت ورد في قصيدته . . . فما هو هذا البيت ؟ لم يجرؤ « قاضينا » على إيرادهِ وفي ذلك ما فيه من غبنٍ للأمانة التاريخية ! فما هو هذا البيت الذي أزعج « قاضينا » الفاضل ؟؟

إنَّ المؤرِّخَ الحافظ الأستاذ عبد الله الحبشي قد ذكره وهو يتحدث حديث العارفين والنقاد المصلحين عن « الدوامخ » في كتابه : « دراسات في التراث اليمني » الذي نشرته « دار العودة » ضمن سلسلة كتاب « الكلمة » في شهر يناير عام ١٩٧٧ م حيث قال وهو يتحدث عن دامغة علي بن سليمان ص (١٢٣) ويشيد بحُب « قحطان » لبني « هاشم » فيقول :

أما بنو هاشم طراً فنحن لهم ذاك العبيد وهم حقاً موالينا الخ ومن دامغة الفضلي - علي بن سليمان - توجد نسخة مخطوطة بمكتب « المتحف البريطاني » برقم : ٢٠٩٢ « ا هـ .

آل الرسول والمفخارات العرقية

أجل . . . تستريح القافلة ؛ وأخلو بفكري كمواطن يمني يحب بلاده كسائر اليمنيين ؛ وقد قرأت آثار وتراجم ومعارك ومناقضات كل من تكلم عنهم في مقدمته ، وسأناقش الأخ القاضي العلامة محمد بن علي الأكوع اليُعفري « الحوالي » القحطاني نقاشاً أدبياً هادئاً لعله يكون مفيداً ؛

ابن العليف والأسلمي كانا « زيديين »

أولاً ؛ لو أنه أمعن النظر وهو يتحدث عن الشاعر علي بن سليمان الأسلمي

لَوَجَدَ أَنَّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَرَجَّمُوا لَهُ وَمِنْهُمْ صَاحِبُ طَبَقَاتٍ « الزَيْدِيَّةُ » الَّذِي وَصَفَهُ « الْقَاضِي » بِالْإِنْصَافِ - قَدْ قَالُوا أَنَّهُ كَانَ « زَيْدِيًّا » شَاعِرًا عَالِمًا - مِثْلَمَا كَانَ « ابْنُ الْعَلِيفِ » وَلَوْ تَأَمَّلَ قَصِيدَتَهُ لَمَا أَفْزَعَهُ الْبَيْتُ الْمَذْكُورُ فَيَصَبُّ عَلَيْهِ جَآءَ غَضَبُهُ لِأَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ التَزَّمَ بِمَذْهَبِهِ « الزَّيْدِي » فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي فَآخَرَ فِيهَا بِقَوْمِهِ « قَحْطَانُ » وَبِوَطْنِهِ الْيَمَنَ ، وَلَمْ يُخْفِ تَشْيِيعَهُ وَمَحَبَّتَهُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَفْرُقُ بَيْنَ تَعْصَبِهِ لِنَسَبِهِ وَقَحْطَانِيَّتِهِ ، وَبَيْنَ تَشْيِيعِهِ لِآلِ الرَّسُولِ ؛ شَأْنُهُ شَأْنُ مُعْظَمِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ سَاهَمُوا فِي مَعْرَكَةِ التَّفَاخُرِ ، وَالْمُطَاوَلَةِ بَيْنَ « الْقَحْطَانِيَّةِ » وَ« الْعَدْنَانِيَّةِ » فَقَدْ كَانُوا يَسْتَشْنُونَ « آلَ الرَّسُولِ » وَيَسْتَلُونَهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ حَسَبَ تَعْبِيرِ الشَّاعِرِ « حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ » (رَضِ) لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ حِينَ هَاجَمَ « قُرَيْشًا » وَهُمْ قَوْمُهُ (١) ، وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ « دَعْبَلِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيِّ » الَّذِي نَاقَضَ « الْكُمَيْتِ » وَتَعْصَبَ لِقَحْطَانٍ مَعَ أَنَّ تَشْيِيعَهُ مَعْرُوفٌ ، وَقَصَائِدُهُ فِي « أَهْلِ الْبَيْتِ » تُسَاقُ « هَاشِمِيَّاتٍ » « الْكُمَيْتِ » ! بَلْ لَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءُ الشَّيْعَةُ مِنَ « آلِ قَحْطَانٍ » يَتَّخِذُونَ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَآسِيهِمْ ذَرِيعَةً لَشَتْمِ الْعَدْنَانِيِّينَ كَمَا فَعَلَ صَاحِبُنَا الَّذِي نَتَحَدَّثُ عَنْهُ وَقَالَ فِيهِ الْأَخُ الْأَكْوَعُ مَا قَالَه : مَدْحًا كَانَ فِيهِ مَصِيبًا وَقَدْ حَادَّ بِهِ عَنِ الصَّوَابِ ؛ فَعَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ هَذَا لَمْ يَنْسَ وَهُوَ يَفَاخِرُ بِقَحْطَانٍ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا أَنَّ يَخَاطَبُ « الْعَدْنَانِيِّينَ » بِقَوْلِهِ :

وَحِينَ مَاتَ رَسُولَ اللَّهِ سَيِّدَنَا أَظْهَرْتُمْ كَلْمًا قَدْ كَانَ تَخْفُونَا . .
وَبِالْبَتُولِ وَسَبْطِهَا وَوَالِدِهِمْ مَكْرَمْتُمَا وَبِكُلِّ الْفَاطِمِيْنََا
مَنْعَتُمُوهُمْ وَرُودَ الْمَاءِ وَلَوْ وَرَدُوا مَا ضَرَّ ذَلِكَ « سَيِّحُونَا وَجِيحُونَا »
صَلَبْتُمُوهُمْ وَأَحْرَقْتُمْ جَسُومَهُمْ وَصَرْتُمَا لَهُمْ طَرًّا مُعَادِينَا
إِلَى أَنْ قَالَ فِي « الْعُثْمَانِيَّةِ » وَبَنِي « أُمِيَّةٍ » مَا قَالَ حَتَّى اخْتَتَمَ قَصِيدَتَهُ بِالْبَيْتِ

(١) حَدَّثَنِي الْأَخُ الْعَلَامَةُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَزِيرُ ، أَنَّهُ التَقَى ذَاتَ سَحَرٍ بِأَحَدِ عُلَمَاءِ وَفَقَهَاءِ الْيَمَنِ فِي الْحَرَمِ الشَّرِيفِ ؛ وَأَثْنَاءَ حَدِيثِ أَخِي هَامِسٍ ، قَالَ الرَّجُلُ : « وَأَهْلُ الْبَيْتِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَرِمَانٍ ! » فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : مَنْ يَقُولُ بِهَذَا يَهْدِمُ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ! قَالَ الرَّجُلُ وَمَا هُوَ ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ « الزُّكَاةُ » لِأَنَّهَا وَاجِبَةٌ وَمَصَارِفُهَا مُحَدَّدَةٌ ، وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى « أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُولِ » ﷺ فَلَوْ كَانُوا كُلُّ الْمُسْلِمِينَ كَمَا تَزْعُمُ لَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا ! وَلَمْ يَبْقَ لَوْجُوبِهَا مَعْنَى . ! وَالْصَّرْفُ كُلُّ يَطُوفٍ حَوْلَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ - الْمَوْلَفُ .

الذي أغضب « القاضي » ولا شك انه قد أغرق فيه : ولكنه لا يستحق
الشتم ؛ أولم يتذكر القاضي الأكوع أشعار الشاعر الغالي « السيد الحميري »
وهو قبل « الأسلمي » بقرون : وقوله المشهور :

إن تسأليني بقومي تسألني رجلاً في ذروة العز من أحياء ذي يمن
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به من كبة النار للهادي « أبي الحسن »

والشاعر « الهبل »

وهناك عشرات بل مئات من شعراء اليمن قدامى ومحدثين قد سلكوا نفس
السبيل ؛ ويتفاوتون غلواً ، واعتدالاً ؛ وإن أنس فلن أنس أكبر شعراء
اليمن بعد القرن السابع الهجري وأعظم شعراء عصره كما قال الشوكاني في
« البدر الطالع - الشاعر الغالي « الزيدي » وإن كان جارودياً ، الحسن بن علي
بن جابر الهبل المتوفى سنة ١٠٧٩ هـ « ١٦٦٩ م » الذي قال على نفس وزن
وروي دامت « ابن العليف » و « الأسلمي » مفاخرأ بقومه ، قال :

رُمنا الفخار فنلنا منه ماشينا لَمَّا مَشَى في طريق المجد ماشينا !
نحنُ الكرامُ وأبناء الكرامِ فان تَجَهَّلْ مَكَارِمَنَا فَاسْأَلْ أَعَادِينَا
ماذا يعيب العدى منا سوى حَسَبٍ ضَحَّمْ بِهِ سَادَ قَاصِينَا وَدَانِينَا
وَأَنَّا لو دعونا الدهر نأمره لَقَامَ طَوْعاً يُلَبِّي صَوْتَ دَاعِينَا
إلى أن يقول :

يا من يسائل عن قومي رويدك ما جَهِلْتَ إِلَّا الْعُلَى وَالْمَجْدَ وَالْدِّينَا
قومي الأولى ما انتضوا أسياهم لوغى إِلَّا وَعَادُوا لَايَ النَّصْرِ تَالِينَا
قومٌ إذا لبسوا ثوبَ القتام غدت أَعْدَاؤُهُمْ عَنْ ثِيَابِ النَّصْرِ عَارِينَا

ثم يقول في مناصرتهم للأئمة ضد « الأتراك » :

قاموا مع القاسم المنصور واجتهدوا وَجَرَّعُوا « التُّرُكَ » زَقُومًا وَغَسَلِينَا
و « للمؤيد » قد أذكت صوارمنا وَقَاتَعَا أَذْكَرَتْ « بَدْرًا » وَ « صَقِينَا »
وحُبَّ آل رسول الله شيمتنا وَفَخَّرُ حَاضِرُنَا - يَوْمًا - وَبَادِينَا

مَضَتْ عَلَى حُبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ أَسْرُنَا وَنَحْنُ نَمْشِي عَلَى آثَارِ مَاضِينَا
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا ؟ أَمْ مَنْ يُسَاجِلُنَا أَمْ مَنْ يَطَاوِلُنَا ؟ أَمْ مَنْ يُدَانِينَا
يَكْفِيكَ أَنْ لَنَا الْفَخْرَ الطَّوِيلَ عَلَى كُلِّ السُّورَى مَا عَدَا آلَ الْيَمِينِ

وقال في نفس المعنى من قصيدة تدلّ على أنّ « أمّه » كانت من « أهل البيت »
وأباه قحطانيّ النسب ، وأنّ « الهاشميين » كانوا له أحوالا ؛ وذلك في
« مفهومه » ينفي ما ادّعاه الأخ الأکوع عن المذهب « الزيدي »
و « التّزواج » ؛ ويؤكد « منطوقه » ما نحن بصددده قال :

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي جَاهِلًا أَنَا مِنْ قَدْ عَلِمَ النَّاسُ مَكَانِي
قِسْمًا ؛ لَوْلَمْ يَكُنْ لِي مَفْخَرُ غَيْرِ حُبِّي لَعَلِّي . . . لِكِفَانِي
مَعَ أَتْيِي فِي أَعَالِي ذُرْوَةٍ كُلُّ عَنْ غَايَاتِهَا مَرْمَى الْعِيَانِ
أَنَا مِنْ أَخْوَالِهِ مِنْ هَاشِمٍ ضَمَّرَ الْحُبْلَةَ فِي يَوْمِ الرَّهَانِ
أَنْجَبَتْهُ « سَادَةٌ » مِنْ « حَمِيرٍ » يَنْتَنِي عَنْ فَخْرِهِمْ كُلُّ مَدَانِي
أَهْلُ بَيْتِ « الْمُصْطَفَى » وَدَيَّ لَكُمْ دُونَ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ قَاصِرٍ وَدَانِي

وهذا الشعر بنغمته وانسجامه ، وقوّة حبه ، وحجّته ، يذكّرني بشعر قديم
للشاعر الفارسي الشيعي « مهيار الديلمي » حين حاور تلك التي سأله عن دينه
ونسبه فقال : أَنَا مِنْ يُرْضِيكَ عِنْدَ النَّسَبِ

قَدْ أَخَذْتُ الْمَجْدَ مِنْ أَطْرَافِهِ سُوِّدَدَ « الْفَرَسِ » وَدِينِ « الْعَرَبِ »
وَأَبِي « كَسْرَى » عَلَا « إِيوَانُهُ » أَيْنَ فِي النَّاسِ أَبٌ مِثْلَ أَبِي ؟
صِرْخَةٌ مِنْ أَجْلِ الْهَبَلِ :

هذا الشاعر العظيم « المهبل » المولود بصنعاء سنة ١٠٤٨ هـ - ١٦٣٩ م المتوفى
عام ١٠٧٩ هـ - ١٦٦٩ م - وهو في « الثلاثين » قد أهمله مؤرخو الأدب
وتصرّف المغرضون ، في ديوانه « المخطوط » لنوازع طائفية وعنصرية كما
صنعوا مع الهمداني ؛ هذا الشاعر العبقرّي كان من آخر ما قاله ووجدوه في
فراش موته قصيدة يخاطب بها صديقه الأديب الشاعر أحمد محمد الأنسي
ومنها هذه الأبيات :

إِذْ نَلْدَى عَنْ زِدَاءِ الشَّعْرِ صَمَاءَ فَلَيْسَ يُجَدِّدُكَ إِِنْشَادُ وَإِنْشَاءِ

إنّا لفي زمنٍ ودّ الفصيحُ به . . . لو أنّه الـكنُ في القولِ فأفاه
ما لِقواني إذ أقوتُ معاهدُها أفي زمانِكَ يُوهي الشعيرُ إقواءُ
من ذا الذي من عثارِ الدّلِّ يُنهضُها ؟ إن نالها بِنعالِ الدّلِّ « إيطاء » ؟ !
متى متى يهتّم شعراءُ اليمنِ بأميرِ شعرائهم الحسن بن علي بن جابر الهبل
رحمه الله ؟

الفضل الخامس

الهمداني وأهل البيت

وثانياً - ولن أذهب بعيداً إذا قلت : أن القاضي محمد الأكوخ لم يدرس قصيدة الهمداني « الدامغة » وشرحها دراسة تحقيق ودراية - وإن كان قد زعم أنه قام بتحقيقها وعلّق حواشيها وقدم لها بالمقدمة التي نتحدث عنها . إذ أنه لو فعل ذلك ودون سابق رغبة في التعصّب للهوى والمزاج والألم الشخصي ؛ لما وقع فيما وقع فيه من أغلاط لغوية وبيانية ، ولعرف أن الهمداني لم يردّ بقصيدته على « العلويين » وشعرائهم في « صعدة » كما زعم في مقدمته ص (٥٥) ولكنه أجاب بها على « الكميّ ابن زيد » وقد صرح بذلك في « الدامغة » حين قال ص (٥٠) الطبعة الأكوخية . مخاطباً « العدنانيين »

وكلفتم « كميّكم » هجاءاً ليحرباً بالقصائد معتدينا
فباح بما تمتى إذ توارى « طرشاح » بملحده دفيننا
وكان يعزّ وهو أخو حياة عليه الذمّ للمتخططينا
وسوف نجيبه بسوى جواب أجاب به « بن ذر » موجزيننا
وغير جواب « أغور كلب » ؛ إنا من المجد المؤمل موسعوننا ؟
فقد قصرا ، ولما يئلغا ما أرادنا من جواب الفاضلينا
وكثر حشو ما ذكرا ولما يصبيا مقتلاً للأفكيننا
هذا من جهة ، وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى ، ومن جهة ثانية ، وذلك ما سيُتصّف « لسان اليمن » وينقُص عن اسمه غبار الدعاوى التي ظلّ يراكمها عليه من لم يعرفوا تاريخ ذلك العلامة التحرير ، ولا تعمّقوا في دراسة أشعاره وأخباره وكتبه وقبل أن يأتي « الأخ الأكوخ » فيزيد الطين بلة كما يقولون .

لقد كان أبو محمد الهمداني - ورغم اعتزازه باليمن وطنه ، وقبائلها وتاريخها المجيد ، وأنسابها العريقة - كان من « الشيعة » الذين يعتزّون بمحبّة عليّ وبنيه ؛ ولن أذهب بالقاضي الأكوخ . . ولا بالقراء بعيداً ؛ بل سأبرهن على

قولي هذا من « الدّامغة » وشرحها بتحقيق القاضي نفسه ؟ وهذا البرهان ينطق بما لا يحتمل الشك والمراء أنّه قد سلك في مناقضته للكميت مسلك « دعبل » القحطاني الشيعي ، والسيد الحميري « القحطاني الشيعي ، من قبل الهمداني « القحطاني » « الشيعي » ، ومسلك « الأسلمي » و « بن العليف » و « الهبل » من بعد « الهمداني » ومسلك الكثير من شعراء اليمن قديماً وحديثاً^(١) . . . يقول « الهمداني » في « الدّامغة » ص (٣٠٧) تحقيق القاضي محمد الأكوخ « الحوالي » :

وكان المصطفى بابي وأمي بأفخر مفخر للأدمين
ولم يك في معد له نظير ولا « قحطان » غير مجمحين

وبعد الشرح يقول: صفحات (٣٠٩ - ٣١١ - ٣١٢) الخ .

وأويناه إذ أخرجتموه وكُنّا فيه مِنكم ثائرينا
وأسلمتم بحدّ سيف قومي على جدّع المعاطس صاغرينا
وكنّتم حين أُرْس في ثراه له في « الأهل » بش الخالفونا !
عُدرتم « بابنه » فقتلتموه وفتياناً من « المتهشّيننا !
وأعليتم بجثته سناناً إلى الآفاق ما إن ترعوونا
وكنّتم لابنه كي تنظروه أثبتت تقتلوه كاشفيننا

قال « الهمداني » في الشرح بتحقيق « القاضي » :

يُريدُ كشفتم عن « عانة » عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما وسلامه هكذا
لتنظروه أثبتت فقتلوه أم لا فتركوهُ و « بنو أمية » أول من مثل بالإسلام
بقتيل ، وحمل رأسه من بلد إلى بلد ؛ وذلك رأس عمرو بن الحمق
الخراعي « ثم قال رحمه الله متابعاً : ص ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٨ .

وأشخصتم كرائمه اعتداءً على الأقتاب غير مُساترينا

(١) مِن اعرافهم ؛ القاضي العلامة الرّواية الفقيه صالح الجمالي . والقاضي العالم الشاعر الراوية فريد زمانه أحمد الحضرائي والد الشاعر الكبير ابراهيم بن احمد الحضرائي .

أَكَلْتُمْ كَبَدَ « حَمْزَة » يَوْمَ « أَحْلَرِ » وَكُتِّمَ بِاجْتِدَاعِهِ .. مَا ثَلَمْنَا ؟؟
وَمَا أَنْتُمْ إِلَى ذَا الْيَوْمِ عَمَّا يَسُوءُ الْمُصْطَفَى مَا تُقْلَعُونَا
قَطُوراً تَطْبُخُونَ « بَنِيهِ » طَبْخاً بَزَيْتٍ ؛ ثُمَّ طُوراً تَسْمُرُونَا ؟
فَهُمْ فِي النَّجْلِ لِلْأَخْيَارِ دَابَّاً وَأَنْتُمْ غَيْرُ شَكٍّ تَحْصِدُونَا «
كَأَنَّ اللَّهَ صَيَّرَهُمْ هَذَايَا لِمَنْسِكِكُمْ وَأَنْتُمْ تَنْسَكُونَا
وقد شرح « الهمداني » بتفصيل ؛ مبيّناً ما قاساه « الطَّالِبِيُّونَ عَلَى أَيْدِي
« الْأُمَوِيِّينَ » و « الْعَبَّاسِيِّينَ » ؛ حَتَّى يَوْمِهِ الَّذِي أَلْفَ فِيهِ « الدَّامِغَةُ » بِأَسْلُوبِ
مُؤَثِّرٍ لَا يَقُولُهُ إِلَّا الشَّيْعَةُ الْمُخْلِصُونَ !! وَلَيْسَ ذَلِكَ فَحَسَبٍ ، بَلْ لِأَنَّهُ يَعُودُ
فِيَجْعَلُ مِنْ مُوَازَرَةِ « الْيَمْنِيِّينَ » لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ شِعَارَ
فَخَرٍ ، وَيَسْتَعْمَلُ عِبَارَاتِ « الشَّيْعَةِ » عَمَّنْ خَرَجَ عَلَى عَلِيٍّ أَيَّامَ « الْجَمَلِ »
و « صِفِّينَ » و « النَّهْرَوَانِ » وَيَسْمِيَهُمُ « النَّاكِثِينَ » ، و « الْمَاقِرِينَ » يَقُولُ ص -
عَلِيٌّ ٣٧٧ - وَمَا بَعْدَهَا :

وَوَازَرْنَا أَبَا حَسَنِ « عَلِيّاً » عَلَى « الْمَرَّاقِ » بَعْدَ « النَّاكِثِينَ
وَسَارَ إِلَى « الْعِرَاقِ » بِنَا فُسِرْنَا كَوَثَلَ السَّيْلِ نَحْطُمُ مَا لَقِينَا
عَلَيْنَا السَّلَامَ لَيْسَ يَبِينُ مِنَّا بِهَا غَيْرَ الْعَيُونِ لِنَظَرِينَا !
فَارْخَصْنَا الْجَمَاجِمَ يَوْمَ ذَاكُمُ وَمَا كُنَّا لَهْنُ مُثْمِنِينَ ..
وَأَجَحَقْنَا « بِضَبَّةٍ » يَوْمَ صَلُّنَا فَصَارُوا مِنْ أَقْلٍ « الْخَنْدَفِينَا »
وَطَايَرْنَا الْأَكْفَ عَلَى خُطَامٍ فَمَا شَبَّهْتُهَا إِلَّا الْقُلَيْنَا !
وقد شرح الهمداني هذا الشعر القصصي البديع الَّذِي صَوَّرَ بِهِ مَعْرَكَةَ
« الْجَمَلِ » شَرْحاً شَافِئاً ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَعْرَكَةِ « صِفِّينَ » فَقَالَ ص (٣٨١) .
وَعَنَانَا الْخِيُولَ إِلَى « بَنِ هِنْدٍ » نَطَالِبُ نَفْسَهُ أَوْ أَنْ يَدِينَا ؟
وظَلُّنَا نَفْتِلَ الزُّنُودِينَ حَتَّى أَطَارَا ضُرْمَةً لِلْمَضْرَمِينَا
وَنَادَيْنَا « مُعَاوِيَةَ » أَقْتَرَبْنَا بِجَمْعِكَ إِنَّا لَكَ مُوَفِّدُونَ
فَصَدَّ بَوَاجِهِ عَنَّا كَأَنَّا سَأَلْنَاهُ شَهَادَةَ مُزُورِينَا
وَحَامَتْ دُونَهُ جَمَرَاتُ قَوْمِي وَمِنْ دُونِ « الْوَصِيِّ » مُحَافِظِينَا
وهذه الأبيات صارخة بتشجيع « الهمداني » وفيها يُثَبِّتُ الْوَصَايَةَ لِعَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ؛ وَهِيَ مَسْأَلَةٌ خِلَافِيَّةٌ وَعِنْدَمَا شَرَحَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ذَكَرَ أَشْعَاراً مِنْهَا قَوْلَ

الشاعر « قيس بن ربيعة » الأنصاري رحمه الله في عليّ (رض) :

ما ضَرَّ مَنْ كَانَتْ الْأَنْصَارُ عَيْتَهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ أَحَدُ ؟
أَهْلُ الْلَّوَاءِ الَّذِي كُنَّا نَقُومُ بِهِ مَعَ « النَّبِيِّ » وَ « جَبْرِيلُ » لَنَا مَدَدُ
أَهْلُ « الصَّلَاةِ » قَتَلْنَاهُمْ « بَنَكِيهِمْ » وَ « الْمَشْرِكِينَ » قَتَلْنَاهُمْ بِمَا جَعَدُوا
حَتَّى تَطِيعُوا « عَلِيًّا » إِنَّ طَاعَتَهُ دِينَ يُثِيبُ عَلَيْهِ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
مَنْ ذَالَهُ مِنْ « قُرَيْشٍ » مِثْلَ حَالَتِهِ مَا شَدَّ مَا أَنْقَطَعُوا عَنْهُ وَمَا بَعَدُوا
لَوْ عَدَدَ النَّاسُ مَا فِيهِ لَمَّا بَرَحُوا تُثْنِي الْخَنَاصِرَ حَتَّى يَذْهَبَ الْعَدَدُ

وقد غلط القاضي « الأكوع » في ضبط أبيات « الهمداني » وحرفها . ثم قال
« الهمداني » ص ٣٨٨ .

ويوم « النهروان » فأي يوم ؟ قَلَّلْنَا فِيهِ نَابَ « المارقينا »
وَقَوْمُنَا « أُمِيَّة » فَاسْتَقَامَتْ وَكَانُوا قَبْلَهَا مَتَأَوِدِينَا
وَقُلْنَا « الْهَاشِمُونَ » أَحَقُّ مِنْكُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ عَلَيْكُمْ مَا يَلُونَا
فَقَامَ بِنَصْرِهِمْ وَنَا جُدَيْعُ وَكَانَ لِحُزْبِهِمْ حِصْنًا حَصِينَا
وَلَعَلَّ فِي مَا أوردناه من كلام « لسان اليمن الهمداني » ما يُبرز شخصيته في
إطارها التاريخي الصحيح . ومن هنا نستطيع أن ننقل إلى تحقيق واقعة
تاريخية طالما تحدث عنها القاضي « الأكوع » في كتبه دونما روية أو
اعتدال .

مَنْ الَّذِي سَجَنَ الهمداني ؟

لا أظن أنني كنت مُبالغاً أو مُتجنياً عندما قلتُ ما قلتُ عن القاضي محمد بن
علي الأكوع في كتابي « قصّة الأدب في اليمن » ص - ٣٥ - طبعة بيروت
« المكتب التجاري للطباعة عام ١٩٦٥ م - ١٣٨٥ هـ - وقبل أن يكتب مقدمته
ليكتاب قصيدة الدأمة بأثنتي عشر عاماً . . لأنّ « القاضي » بها ؛ قد أثبت
صديق ذلك القول . . ولكنه لا يسعني إلا أن أعترف أنني قد أخطأت في حق
الأستاذ العالم الأديب « حمزة لقمان » حين قرئتُ اسمه مُتجنياً ؛ إلى إسم
القاضي واستمحي الأستاذ الصديق حمزة لقمان العذر . . كما أنني اعترف -

والحق أحق أن يتبع - بأنني كُنتُ قد تأثرتُ « بتضليلات » من حَرَفُوا كتب الهمداني المخطوطة ، أو أشرفوا على طبع بعضها فحذفوا منها أو على الأصح حَرَفُوا فيها وأضافوا ما سَوَّلَتْ بِهِ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ؛ وقد نشأت - شأن أي طالب معرفة في صنعاء قبل أربعين عاماً - من عامنا ١٣٩٩ هـ - (١٩٧٩ م) - على شيء من الاعجاب والاكبار لصاحب كتاب « الاكليل » الذي كانوا يقولون أنَّ فيه أخبار مجد « التَّابِعة » وكنوز وآثار اليمن وكنتُ أحضر مجلس الوالد العلامة السيّد عبد الرحمن بن حسين الشامي رحمه الله ، وهو مع القاضي العلامة المؤرخ الكبير محمد بن احمد الحجري رحمه الله تغشاه ، يقرآن نسخة مخطوطة من كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني لكي يبعث بها ضيماً كُتِبَ أخرى منها أسفار « النبلاء » للذهبي إلى الشيخ محمد نصيف المشهور بعلمه وفضله ومكتبته « بجدة » وكان ذلك قبل أو في أوائل إرهابات الحرب العالمية الثانية . . وكان ذلك أيضاً . . هو أول اطلاعي على كتب الهمداني ؛ وكنتُ لا أزال أطرق أبواب العلم ، وأحضر مجالس المعرفة في « مقاليل » بيوت العلم في صنعاء ؛ وسمعتُ وقرأت عن الهمداني الكثير ، ووجدتُ بعضهم يقول أنَّ الهمداني كان يتحامل على الإمام الهادي وأولاده ، وأنهم أنفسهم قد آذوه وسجنوه ، ووجدتُ ذلك مكتوباً ؛ يزعمه ويؤكد به بعض من أشرفوا على طبع بعض أجزاء « الاكليل » .

وكنتُ أيضاً متفعلاً بثراتٍ معين وثقافة معينة ولكنني كنتُ أكبر وأجلُّ « الهمداني » وأتمنى أنَّ شيئاً من ذلك لم يحدث ! وكنتُ أتتبع التصوص ، وكُتِبَ التاريخ ، فأجدُ اضطراباً يثير الشك ، والحيرة والتردد ؛ فلم أستطع . . وأنا أتحدث عن « الهمداني » في كتابي « قصة الأدب في اليمن » إلا أن أعرب عن تلك المشاعر وفي سياق تمجيدي لصاحب « الاكليل » و « صفة جزيرة العوب » « لسان اليمن » « الهمداني » فقلتُ : ٣٥ - ٣٦ « قصته » .

كما أنني لا بد أن أشير إلى أن خيراً كثيراً قد حُجِبَ عنا عمداً وعدواناً فكثير من المؤرخين قد أعماهم التعصب ، أو التحيز لفئة ما ، أو مذهب ما ولجأوا

فيه ، وأغرقوا ، ولذلك ؛ فعلى من يريد أن يدرس تاريخ اليمن وآدابها ، أن لا يقتصر على كتب فئة من الفئات ، أو مؤرخي دولة من الدول ، بل عليه أن يتحرى ويتبع آثار كل فئة من كتّاب مؤرخيها وأدباؤها وأنه لمن دواعي الأسف الشديد أن نذكر أن أغلبية مؤرخينا - قدامى وعديثين - هم من المتعصّبين والمتحيزين ، ومعظمهم تأثروا بما يحيط بهم ، وتضجّ به مجتمعاتهم من تعصّبات مذهبية ، أو دعوات سلالية ؛ وقلّ من يستطيع أن يتحرّر من قيود بيئته ، أو ينصف غير أبناء طائفته ؛ ويتفاوتون ؛ بين مغرقٍ مُتَعَسِّف ؛ وخائفٍ يتعثر ، وعالمٍ يتجاهل ، وجاهلٍ يتعالم ، وقد يبلغ بالبعض التطاول إلى التفسير والتكفير ؛ وبآخرين الهبوط إلى مستوى التّضليل والدّجل ، ويقوم الإنسياق وراء الخرافات والسّخافات ؛ ويستوي في ذلك المحدثون والأقدمون . ونحن لا نعبأ بالتأفّهين الذين « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » . . كالمهتّج محمد علي الأكوع ، والمفتري حمزة علي لقمان^(١) من المتأخّرين وأنما نقصد المؤرخين ، وأصحاب السّير ، ونخصّ أفذاذاً من أعلام الأدب أفادوا وأجادوا ولنضرب لذلك مثلاً :

فالهمداني صاحب « الاكليل » نراه عندما يتعرّض لذكر الامام « الهادي » يشير إليه عرضاً وبإسْم « العلوي »^(٢) وإذا تعرّض للذين عارضوه وقتلوه أطنّب في مدّجهم . . . نعم « الهمداني ذلك العلم » الشّامخ من أعلام الفكر العربي والأدب اليمني ، شاعراً ومؤرخاً وفيلسوفاً كان أيضاً يمثّل عصره المتناقض المضطرب الخاوي المتعطّش إلى عقيدة متينة تجمع شمل أبنائه ؛ التّواق إلى رابطة اجتماعية تضم كيانه المبعثر ، الحائر بين ذكريات مجدٍ ناهب ، وحقائق واقعٍ مرير ، وتيارات أطماعٍ سياسيّة ، وروافد مذاهبٍ فكريّة ،

(١) مرّة أخرى أرى من واجبي الاعتذار إلى الأستاذ العالم الأديب الصديق حمزة علي لقمان ، وفضله ، وفضل أخيه الأستاذ محمد علي لقمان صاحب « لثاة الجزيرة » وفضل ابنه الشاعر الكبير علي محمد لقمان على اليس لا يمكن أن يجمده أحد ؛ مؤكداً تهريج قاضينا الفاضل سامحه الله . المؤلف
(٢) تبينّ لديّ أنّ ذلك من تحريف النسخ ، والذين شوّهوا كتب « الهمداني » من المتقدمين أمثال عماد بن نشوان ، والمتأخّرين كالقاضي محمد بن علي الأكوع . المؤلف .

وعوامل فناء طبيعته ، تزحفُ صمّاء وتطوي تحت أقدامها ، وبين مخالبها وأنيابها بقايا الماضي العتيق وتحفّزات الحاضر المجهود ، والطاقة العقلية الكبرى التي وهبها الله إياها تطرح أمته بين يديه في رقعة صغيرة ؛ عارية مشاكليها ، واضحة مخاوفها ، مكشّرة عن دواهيها ، ولكن أطماعه الكبيرة تُزيّن له إفتراع المشاكل ، واعتناق المخاوف ، ومقارعة الدواهي ويُعادي ، ويجادل ، ويبحث عن الطريق . . ولكن دون جدوى ، فسنة الطبيعة أقوى من مواهبه ، وإرادة الله فوق مطامحه .

قد يكون من الغريب حقاً أن ذلك العالم الشاعر الفيلسوف لم يعرف زمنه وما ينوعه من تركة ثقيلة أعباؤها ، لا يطيق شعبه الموهون لها حملاً ؛ أو أنّ هواه قد أفسد رأيه ، وطمعه قد حدّ من معرفته ؛ فلم يكن حين يكتب أو ينظم ، أو حتى يفكر في أي موضوع يتعلّق « بالامام الهادي » وأولاده ، أو العلويين عامة ؛ مُخلصاً للكتابة والشعر والتفكير^(١) ؛ ولم يكن الأول ولن يكون الأخير ؛ ولكنه على كلّ أحواله ؛ مُنصفاً كان أم مُتحيزاً ، مُخلصاً أم مُغرضاً ؛ كان يُمثّل العبقريّة والكمال ؛ أحبّ بلده وقومه ، وتعمّق في دراسة تاريخ وطنه وأهله وورث علومهم وآدابهم ، وأعطى من نفسه كثيراً باحثاً متجولاً ، وكاتباً ساهراً ، ومجادلاً وصائلاً ، ومناوياً وثائراً ، ولا تزال كتبه مصدراً كريماً للباحثين والعلماء وينبوعاً ثراً يستقي منه رواد المعرفة والمؤرخون والنقاد .

هذا البيان الذي كتبه قبل حوالي سبعة عشر عاماً ، وأنا منفعل ومتأثر بما ذكرت في مطلع هذا « الاعتراف » سيلمس القارئ فيه الاعجاب الممزوج بالأسف ، والتقدير يشوشه الاستغراب ولكن دون ما إسراف أو تحقير أو تجني كما فعل صاحبنا القاضي الأكوع مع أعلام أفذاذ من شعراء وعلماء اليمن لأنهم ليسوا من بني « حوال » أو من محبي آل الرسول ، أو ينتسبون - بالولادة التي لا خيار لهم فيها - إلى « علي » كرم الله وجهه . . غير أنني وبعد دراسة

(١) تبين أن ذلك لم يكن وما كتبه آنفاً ، وما سيأتي يدلّ على أن الهداني كان شيعياً مُعتدلاً أحبّ اليمن وآدابها وعلومها حباً معرطاً مغالياً والحب أحياناً يُعمى ويصمّ . وهذا هو كل ما أخذه عليه النقاد والمؤرخون المنتصون . المؤلف .

وبحث وتأمل في كُتُب التاريخ اليمني، وفي كُتُب الهمداني نفسه ، ومنها كتاب قصيدة الدامغة الذي نتحدث عنه ؛ تأكدتُ أنّي قد قلتُ في الهمداني ما ليس فيه ؛ وأنه لم يتعرض للإمام الهادي بسوء لا شعراً ولا نثراً ، ولا آيد من قاتلهم أو قاتلوه ؛ وأن هواه لم يُفسد رأيه ، ولا حدث مطامحه من معرفته ؛ وإن كان قد أغرق وغالى في مفاخرته بقحطان ولكن ذلك كان وهو يعارض ويناقض من يغالون في مفاخراتهم بعدنان ، وكلّ ما قيل فيه أو روي عنه غير ذلك فهو من دس ذوي الأهواء، وتخرصات الشراح والنساج ؛ وعرفتُ من كتاب « الدامغة » شعراً ونثراً أنّه من مُحبي « أهل البيت » وأنه لم يتجنّ عليهم ، بل فضّل معاشرتهم والبقاء معهم في « صعدة » على المعاشرة . . أو البقاء في ظل « علي بن الفضل » أو « منصور بن حسن » ، أو « آل يُعفر » « الجوالين » ، أو غيرهم من « سلاطين » ذلك العصر الرهيب ؛ وأن « العلويين » حسب تعبير القاضي الأكوح لم يحاولوا الاساءة إليه ؛ بل بالعكس كانت منزلته لديهم كبيرة ؛ ولم يجد له وزراً في الفترة الأولى من حياته وهي من أزهب الفترات في تاريخ اليمن ، ولا عثر على مستقر له يطمئن فيه إلى علمه وكُتبه إلا قاعدتهم « صعدة » حيث أُلّف فيها أهم كُتبه ومنها شرح قصيدته « الدامغة » التي قالها في « صعدة » « أواخر أيام الامام الهادي » وشرحها سنة ٣١٦ هـ أيام الامام الناصر ابن الامام الهادي والذي تولى سنة ٣٠١ هـ وتوفي سنة ٣٢٢ هـ وقد أكد ذلك القاضي الأكوح نفسه في مقدمته ص - ٧٢ - وذكر ذلك أو أشار إليه الهمداني نفسه في كتابه ص - ٥٤٢ - ٥٤٣ - وقرأنا في الكتاب ؛ شعراً ونثراً ما سبق ذكره من تمجيد لأهل البيت ، ومما يدل على أنّه كان « شيعياً » أو على الأصح « زيدياً » ؛ وفيه من الآراء ما قد لا يوافق عليه ، إلا بعض « المعتزلة » أو المنصفون من المقلدين لأئمة الكثير من المذاهب والجلل والنحل المتصارعة في المسائل العقلية والتاريخية ؛ ولا شكّ عندي - أنّ الناصر وسائر إخوانه وعلماء وشعراء « صعدة » قد اطلعوا على القصيدة وعلى شرحها ، وفيها ما فيها من تمجيد وولاء ومدح للرّسول ﷺ ، وللامام عليّ وبنيه رضي الله عنهم ؛ وأنّ ذلك قد أرضاهم كلّ الرضى ؛ فهل يُعقل بعد كلّ ذلك أن يأمر « الناصر » بحبسه ؟ أو أن يصدق الوشاية

المزعومة والتي ذكرها الأخ القاضي الأكوخ في مقدمته ص- ٨٢ أنه قد « هجا النبي ﷺ » وأن الناصر توعدّه فخرج من « صعدة » إلى « صنعاء » وصاحبها الخطّاب بن عبد الرحيم اليعفري « الحوالي » فكتب الناصر إلى الأمير أسعد الجوالي بتلك الوشاية فأمر أسعد ابن أخيه بسجنه في صنعاء ؛ هل يُعقل هذا ؟ إنني استبعد ذلك ، وأرى التّلفيق ظاهراً في القِصة لما ذكرنا من تشييع الهمداني ؛ ولأنه كان تحت سيطرة « الناصر » في صعدة عندما بلغوه تلك الوشاية المزعومة ؛ وكيف يقوم منافق « الناصر » من بني « يُعفر » بامثال أمره فيعتقل « لسان اليمن » المنافح عن قحطان وأمجادها ؟؟ والأقرب إلى المنطق والعقل والصّواب أن سبب خروجه من « صعدة » كان لأسباب أخرى ، ومنها أنّه كان قد ضاق ذرعاً بمنافسة أولئك الذين لا شك أنهم كانوا ينفسون عليه مكانته لدى « الناصر » ومواهبه الأدبية والعلمية ؛ التي يتمتع بها - كما ضاق قبله « المتنبي » ببلاط سيف الدولة ، والدسائس التي كانت تُحاك له ، فهاجر إلى « كافور » والتّحاسد والتّنافس والتّهاجي بين شعراء العصر الواحد معروف ؛ وقد تنافس « البُحتري » « وابن الرومي » وكلاهما شاعرٌ عظيم ، وكان بين « الفرزدق » و « جرير » ما كان ، إلى أقاصيص كثيرة يعرفها الأدباء .

أما المنافسون للهمداني فقد كان منهم أيضاً من يتعصّب لعدنان على « قحطان » وآخرون يتعصّبون « لفارس » كما كان هو يتعصّب لقومه ، وتلك شِيشنة يتوارثها الشعراء في كل زمان ومكان . . ولقد ضاق « الهمداني » بذلك ذرعاً - في نظري - ولا سيما وهو هو العبقرى الذي يمثل عصره المتناقض المضطرب ، المتعطّش إلى عقيدة متينة تجمع شمل أبنائه ؛ ولا شك - عندي - أنّه كان قد لمس بحسّ التاريخي ، وفطرته الشاعرة ، تسرب وتسلّل الصّراعات الشخصية بين أولاد « الناصر » ، وكاد يرى ببصره الثاقب تطلّع الفتن من جُجورها ، والتي وقّعت فعلاً بعد وفاة « الناصر » وسبّبت خراب « صعدة » والتناحر بين قبائلها ؛ بل أنّها بدأت أواخر أيامه !

إنّ قصّة حبس الهمداني وأين ؟ وكيف ؟ والدّعوى التي أكدها القاضي الأكوخ من أن « لسان اليمن » استوطن صعدة عشرين سنة ؛ علا صيته فيها ،

وفي باديتها وَفَقَدَتْ كَلِمَتَهُ ، وَطَعَتْ شَخْصِيَّتَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ بَصَعَدَ الْأَمْرَ الَّذِي حَسَدَهُ عَلَيْهِ زَعَانِفَةُ الشَّعْرَاءِ وَأَوْبَاشُ الْجَهْلِ وَأَمْرَاضُ الْحَقْدِ الْخ ص - ٥٥ - «فَظَلُّوا يَكِيدُونَ لِلْهَمْدَانِيِّ وَيَسْبُونَ أَبَاءَهُ وَأَجْدَادَهُ» الْخ إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي ص - ٨٢ - « فَلَمَّا تَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّعْرَاءِ الْمَذْكُورِينَ وَأَفْحَمَهُمْ جَمِيعاً وَفَرَادَى دَخَلُوا عَلَى الْإِمَامِ النَّاصِرِ لَدَيْنَ اللَّهِ وَقَالُوا لَهُ : إِنَّ بَنَ يَعْقُوبَ هَجَا النَّبِيَّ ﷺ فَتَوَعَّدَهُ النَّاصِرُ فَخَرَجَ مِنْ « صَعْدَةَ » وَكَانَ صَاحِبَ صَنْعَاءِ الْأَمِيرِ أَبُو الْفَتْوحِ الْخَطَّابُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ أَبِي يُعْفَرٍ ، فَكَتَبَ النَّاصِرُ إِلَى الْأَمِيرِ أَسْعَدَ وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مَوَدَّةٌ شَدِيدَةٌ يَشْكُو إِلَيْهِ ابْنُ يَعْقُوبَ وَيَقُولُ لَهُ : إِنَّهُ هَجَا النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَ أَسْعَدَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ أَنْ يَسْجُنَهُ فَسَجَنَهُ ، وَكَانَ لَهُ فِي السَّجْنِ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ مِنَ التَّحْرِيطِ وَالتَّوْبِيخِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . هَذَا مَا أَثْبَتَهُ الْقَاضِي الْأَكُوعُ فِي مُقَدِّمَتِهِ وَكَأَنَّهُ يَنْقُلُ عَنْ « الْخَزْرَجِيِّ » عَنْ « الْكَلَاعِيِّ » ثُمَّ قَالَ - ص - ٨٣ - « وَكَانَ سَجَنَهُ سَبَباً لَزَوَالِ مَلِكِ النَّاصِرِ » وَقَتْلَ أَخِيهِ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى الْهَادِي » وَقَالَ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْم - ١ - انْظُرْ « الْإِكْلِيلِ » جُزْء - ١ - ص - ٣٢٩ - أَقُولُ - وَلَا يَخَامِرُنِي شَكُّ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مُفْتَعَلَةٌ وَلَا يَقْبَلُهَا ذُو فَهْمٍ سَلِيمٍ وَلَا نَاقِذٌ ذُو دِرَايَةٍ ؛ فَمَا عُرِفَ عَنِ الْهَمْدَانِيِّ وَقُوَّةُ إِيْمَانِهِ ؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَرْقَى إِلَيْهِ الشُّكُّ ، وَكُلُّ مَنْ يَدْرُسُ كِتَابَهُ يَعْرِفُ أَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا حَنِيفًا حَسَنَ السَّلُوكِ مِنَ الْأَبْرَارِ الْأَخْيَارِ ؛ وَقَدْ هَاجَرَ إِلَى « مَكَّةَ » وَجَاوَرَ بِهَا سَنَوَاتٍ كَمَا أَثْبَتَ ذَلِكَ الْأَخُ الْأَكُوعُ فَقَالَ « أَنَّ مَوْلَدَهُ بِصَنْعَاءِ الْيَمَنِ سَنَةَ ٢٨٠ هـ - ٨٩٤ م » وَأَنَّهُ ارْتَحَلَ فِي سَنَةِ (٣٠٦ هـ) إِلَى مَكَّةَ فَجَاوَرَ فِيهَا زَمَنًا وَكَتَبَ صَدْرًا مِنَ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ فَتَزَلَ « صَعْدَةَ مِنْ أَرْضِ خَوْلَانَ وَكَانَ صَاحِبَ أَمْرِهَا الْإِمَامُ النَّاصِرُ أَحْمَدُ بْنُ الْإِمَامِ الْهَادِي يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ - ص - ٨١ - مُقَدِّمَةٌ . . هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ أُخْرَى فَإِنَّ شَعْرَ الْهَمْدَانِيِّ فِي « الدَّامِغَةِ » وَاضِحٌ بِأَنَّهُ كَانَ مِنَ « الشَّيْعَةِ » وَقَدْ أَقْرَبَ بِالْوَصَايَةِ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَوَصَفَ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ « بِالنَّكَاثِينَ » وَ« الْمَارْقِينَ » يَوْمَ « صَفِينِ » وَ« الْجَمَلِ » وَ« النَّهْرَوَانِ » وَتَحَدَّثَ عَنْ مَآسِي آلِ الرَّسُولِ حَدِيثَ الْمَخْلُصِ الْأَمِينِ وَعَرَّضَ بِالْأُمُورِ الْعَبَاسِيِّينَ (وَبَنُو يُعْفَرٍ كَانُوا مِنْ عُمَّالِهِمْ وَوَلَاتَهُمْ فِي الْيَمَنِ) وَمَا كَانُوا يَذِيقُونَ

« العلويين » من بلاء حتى يومه الذي يعيش فيه ، وكثيراً ما يقول إذا ذكر علياً في الدامغة أو في سائر كتبه « عليه الصلوة والسلام » وتلك عادة شيعية ؛ ولذلك فقد يكون سبب حبس الهمداني بعكس ما تدعي تلك الاشاعة الغربية الملفقة في نظري ؛ ولماذا لا يكون بعض أولئك المنافسين له على مكانته لدى الامام « الزيدي » وبين قبائله وأتباعه كما قال الأخ الأکوع كانوا ينقلون عنه إلى « اليعافرة » والسلاطين « الجواليين » أبناء تمتع « الهمداني » بذلك الجاه وتوصفاً من الدامغة ؛ وذلك ولا شك لن يُريح « أسعد بن أبي يعفر الجوالي » ولا ابن أخيه ، فما ان ضاق ذرعاً بمقامه بين تلك الدسائس ، وفي محيط ذلك الجو ؛ إلى جانب حسه التاريخي ، وتوقعاته المشار إليها سلفاً ، وغادر « صعدة » إلى « صنعا » وحاكمها « يعفري » كان يعمل للعباسيين مع ابن عمه أسعد الذي يدل تاريخه ، أنه كان قلباً حولاً تارة مع صاحب زبيد ابن زياد وطوراً ضده ؛ واخرى يحارب عمال ولاة العباسيين ، وحيناً يكون لهم والياً ؛ ومرة يثور ضد علي بن الفضل ؛ وبقدرة قادر يكون له حليفاً والياً ويلبس البياض . . نعم لماذا لا يكون الأمر بالعكس وأن « الهمداني » ما كاد يحط رحاله في « صنعاء » مسقط رأسه ؛ حتى تألب عليه بنو يعفر - وكانوا - قد اطلعوا على « دامغته » وفيها ما فيها من مفاخرته بالنبي وعلي وبني الحسن والحسين والتنديد بمن يُنابذونهم ويعادونهم ، فلم يمهله حتى حبسوه ، ثم لفقوا تلك الاشاعات ؛ ويؤكد هذا . . . بل ويجعله في نظري أشبه باليقين ما نقله القاضي محمد الأکوع نفسه في حاشيته رقم (١) ص ٨٢ - ٨٣ عن الهمداني أنه قال في كتابه « سرائر الحكمة » وهو يتحدث عن سجنه « أنه غضب عليه « السلطان » في شعبان سنة ٣١٩ هـ واطلاقه في سنة ٣٢١ هـ » فقد استعمل الهمداني لفظة « السلطان » ولم تكن هذه اللفظة بحال من الأحوال تُطلق على « الإمام الناصر » بل على « أمراء آل يعفر » واضرابهم من الحكام غير الأئمة . . وهذا دليل قاطع قائم بذاته لا يحتمل نقاشاً عند من يدري لغة الأدباء والمؤرخين ؛ وفي نظري أن من أسباب حرص « الهمداني » على أن يكتف اسمع عندما شرح قصيدته « الدامغة » وتفضيله بأن تنسب إلى

ابنه ، أو أحد تلاميذه ، هو أنه كان يحسّ بأنّ « الحوالمين » و « الشعوبيين » من أبناء فارس « وأولئك الذين لا يزالون يدعونّ باسم « العباسيين » ، و « عليّ بن الفضل » ومن تعاون معه . . وقد كان « أسعد بن أبي يعفر » عاملاً له على صنعاء في إحدى الفترات ولبس البياض وضرب « العملة » باسمه ؛ وغير هؤلاء كانوا له من المتربّصين ؛ وقد تحقّق حدسه فسجنه « الجواليون » وما كاد يُطلق سراحه حتّى توفي « الامام الناصر » في ١٨ / جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ هـ ونشب الخلاف المرير بين أولاده ونشبت الفتن في عموم اليمن ؛ وأخربتْ صعده كما فصل مؤلف « غاية الأمانى » .

إنّ كُتب « الهمداني » يجب أن تُحقّق من جديد ، وإنّ حياته التي يحيط بها الغموض يجب أن تُدرس من جديد أيضاً ؛ فقد عبثت الأغراض والأهواء ؛ والتعصّبات العنصريّة والطائفية ، ونعرات الجهل وتشبّثات التقليد والجمود - وما أكثرها - بآثار وترجمة « لسان اليمن الهمداني » وحرفَ بعضَ نصوصها جهلة النساخ وتصرف في أحداثها الكثير من المتعصّبين والمغرضين .

وبعد :

وبعدُ فكنّ يكونُ من الفضول ، ولا من باب التّفاخر بالأنساب ؛ أو التعصّب لطائفةٍ ما ، أو الاعتزاز بقبيلة أو مذهب أو عرق أو بيتٍ من البيوت ، وكنّ أكونُ متّحيزاً لعلان أو فلتان ؛ أو « قحطان » أو « عدنان » . . إذا ما عبّرتُ عمّا يختلج الآن في قراة نفسي ، وهو ما أعتقد أنّه حصيلة قراءة مُستبصرة لمعظم ما كتبه الكثير من المؤرخين والأدباء والشعراء على مُختلف ميولهم ، وشتّى أهوائهم ، وتفاوتِ ثقافتهم ، ودرجاتهم طيلة خمسة وأربعين عاماً حول المواضيع التي تحدّث عنها « الهمداني » في كتابه « الدامغة » وقُدّم لها وتعرض لها بطريقته القاضي محمد الأكرع . . أو « الجوالي » كما يحلّوله أن يُسمّي نفسه ؟

أقول : لن أكون فضولياً ؛ ولن أثير فتنة إذا قلتُ :

إن أعظم من تعرّض للأذى ، والبلاء الشّديد ، والهجر المضني ،

والشتم والحرب من « قريش » وقاسى منها المتاعب . . حتى حاولوا قتله :
تجويعاً ، وغيلةً وعمداً . . هو سيد الخلق محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
القرشي الهاشمي ؛ صلوات الله عليه .

وان أكثر أصحاب محمد ﷺ مُعَانَاةً لويلاتِ « قريش » وعداوتها وعدرها
ومكرها ، وهضمها ومؤامراتها ، وحربها وشتائمها : هو الامام عليّ ابن أبي
طالب بن عبد المطلب « القرشي » « الهاشمي » كرم الله وجهه ؛ ولذلك - لم
يكن من فضولي القول - حين تنبأ وأحس اخوه « طالب بن أبي طالب » لما
بلغته أخبارُ وقعةِ « بدر » الكُبرى ، وتصارع أبطال قريش بسيفِ ذلك الشاب
المغوار « علي » فقال : « ويلٌ لقريش من علي » وويلٌ لعلي من قريش !
ولذلك أيضاً فلن نستغرب حين نسمعُ « الامام علياً » يقول بنعمة حزينة
واقعية :

يَلِكُم قريش تَمْنَانِي لِتَقْتَلَنِي فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا
فإن قُتِلْتُ فرهنٌ ذمّتي لَهُمْ بذاتِ ودّقين لا يعفولها أثرُ
وقد قال « أبو حيان » حين ذكر هذين البيتين في « البصائر والذخائر » ص
- ٢٦٠ - السفر الثالث : زعموا أنّ « ذات ودقين » في الضبة يقال لها جران .
فكأنه كنى عن الحق بصفة دالة كناية مُستتره . وفي كتب اللغة أنّ ذات ودقين
تعني : الداهية والحرب .

وأخيراً لعلّ أفضل ما أختتم به حديثي هو ما رواه أيضاً « التوحيد » في
« البصائر والذخائر » - ص - ٥٩٣ ٨ السفر الثالث :

قال محمد بن سلام : حدثنا يونس النحوي قال : قلت للخليل : ما بال
أصحاب رسول الله ﷺ كأنهم تُؤام واحدة « وعلي » كأنه ابنُ علة « بنو علة :
بنو أمّهات شتى من رَجُلٍ واحدٍ » ؟ فقال الخليل - ابن احمد الفراهيدي - :
من أين لك هذا السؤال ؟ فقلت : أريد أن تُخبرني ، قال علي أن تكتم عني ما
دُمْتُ حياً . قلت أجل . قال لي : تقدّمهم إسلاماً ، وبدّهم شرفاً ، وفاقهم
علماً ، ورجحهم حلماً ، وكبرهم زهداً ، « فحسدوه » ، والناس إلى أمثالهم
وأشكالهم أميل » وهذا ما عرفه الهمداني رحمه الله ومن أجله كتبتُ اسمه ا

الأستاذ حمّد الجاسر والهمداني

لقد ترجمَ الأستاذ البهّانة الشيخ حمّد الجاسر ترجمةً قيّمةً للهمداني في مقدّمته لكتاب « صفة جزيرة العرب » الذي حقّقه القاضي محمد الأكوّح « الجوالي » وصحّحه وهذّب حواشيه الأستاذ حمّد الجاسر ؛ وفي هذه الترجمة التي حاول « الأستاذ » فيها الإحاطة والاتقان جهّده قد تأثّر بما سبق أن تأثرت به من قبل عن الاشاعة التي تقول أنّ « الهمداني » سجنُ بأمر « الامام الناصر » والتي سبق أن فندتها . . غير أنّ الأستاذ الجاسر لم يُلْقِ الكلام جزافاً ، بل استند إلى ما قاله بعض المؤرّخين قبله ؛ والذي لا شكّ لذيّ أنّهم ؛ إمّا من المغرضين الوضّاعين ، أو أنّهم قد وقعوا تحت تأثير مزاعم المغرضين الذين حرّفوا وبدّلوا الشيء الكثير من كتّيب الهمداني وأشعاره ؛ بل ونسبوا إليه ، ووضعوا على لسانه ، وأضافوا إلى كتبه ما لم يقلّه أثناء حياته وبعد موته كما فعل غيرهم بكتّيب وأشعار « أبي العلاء المعري » و « الكميت » وكثير من المتقدمين والمتأخّرين ، وقد قال الهمداني نفسه في كتابه « صفة جزيرة العرب » ما يلي - ص ٢٣٥ - وهو يتحدث عن ارجوزة الحجّ للشاعر « أحمد بن عيسى الرّداعي » رحمه الله (طبعة محمد بن بليهد ١٩٥٣ م) :

وكان كثيرٌ من أهل صنّعاء لا سيما الأبناء قد غيّرُوا في قصيدة الرّداعي أشياء نفاسةً عليه ، وحسداً ، فلم يَكُنْ بصنّعاء لها نُسخةٌ على الإستواء ؛ فلم أزل أُلتمسُ صِحّتها حتّى سمعتها من أحمد بن محمد بن « عبيد » من بني ليف من « الفرس » وكان لا يَدْخُلُ في عصبية ولا « يلتُ أحداً حقّه » إلى آخر كلامه .! ومن المعلوم أنّ « صفة الجزيرة » من آخر تصنيفات الهمداني ، وأنّ ارجوزة « الرّداعي » المذكورة فيه ؛ فيها مدحٌ لأهل البيت « وفي مقدمتهم » الامام علي كرم الله وجهه « واشاده بقريش وبعض بيوتاتها في « مكة » المكرّمة .

والتَّزِيدُ في الأخبار والأشعار والأحداث ، والوضع ، والاختلاق ؛ أمورٌ معروفةٌ ، ولها شواهدٌ وأمثلةٌ في تاريخ العرب الأدبي والسياسي والديني ، وقد وضعت أحاديث جمة ونُسِيت إلى الرسول الكريم ﷺ ، وفنّدها الرواة ذوو الدراية ، وألّفت فيها الكتب الكثيرة . ولا يزال هناك المئات من الأحاديث تُفتقر إلى دراية المخلصين .

ولأنّ صديقنا العالم الكبير الأستاذ « حَمَد الجاسر » قد بذل جهداً مشكوراً في إخراج كتاب « صفة جزيرة العرب » كما ذكرنا آنفاً ، ولأنّ له قيمته الأدبية ، ولكلمته وزنها التاريخي لم نكتفِ بما سبق ؛ وسمّحتُ لنفسي بمناقشته ، وإن كان ما قد أدليتُ به من البراهين العقلية بأنّ الذين تأمروا على سجن الهمداني ، وآذوه وعذبوه هم الأمراء « الجواليون » من بني « يُعفر » ولا دخل للناصر في ذلك .

ولد الحسنُ بن أحمد بن يعقوب الهمداني في صفر سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٤ م) وهي من الفترات الرهيبة في تاريخ اليمن والإسلام ؛ ظهر فيها « القرامطة » وبدأ الحكم العباسي يتضعضع وتشعبت الملل والنحل ، ويصادف خروج الامام الهادي يحيى بن الحسين إلى اليمن في السنة نفسها وهي « خرجته » الأولى باستدعاء رجالات اليمن ، ولكنه لم يلبث إلا فترة وجيزة ثم ظهر له من بعض اليمنيين الخلافُ فانقلب راجعاً إلى الحجاز - ص - ١٦٦ - « غاية الأمانى » ، واكتسحت الفتنُ اليمن من جديد ؛ فذهب وفدٌ آخر يطلبون منه العودة وكانَ والي العباسيين قد غادر « صنعاء » واستولى عليها الدُّعَام بن ابراهيم سنة ٢٨٢ هـ - ثم خرج منها وملكها أسعد بن أبي يُعفر ، وفي سنة ٢٨٤ هـ عادَ الامام الهادي من جديد ، وحصلتُ بينه وبين سائر الفئات المتغلبة وقائع وحروب حتى سنة ٢٨٦ هـ حين كتب صاحبُ صنعاء « أبو العتاهية » إلى « الهادي » يستقدمه إليها ؛ ولكنه لم يَدْخُل صنعاء إلا سنة ٢٨٨ هـ وأخلص أبو العتاهية « لِلْهَادِي » وظلَّ معه حتى مات شهيداً بعد عام في إحدى المعارك التي استمرت دائرةً بينَ الامام الهادي وسائر الفئات « والسُّلْطانات » المتنازعة على حكم اليمن حتّى تُوفي بصعدة سنة ٢٩٨ هـ

و « الهمداني » في عنفوان شبابه ، لمّا يتجاوز التاسعة عشرة من سنّي الحياة ، ولا شك أنّه قد تأثّر بكلّ تلك الأحداث ؛ وعرف بذكاؤه الخارق ، وإدراكه الشاعر ، من همّ المُضِلّون المخادعون ، ومن همّ المخلصون المؤمنون ، وميّز بين الخير والشرّ ، إنّ لم يكن قد ساهم في تلك الحروب بجانب ، الامام الهادي « ويذكر صاحب « غاية الأمانى » - ص - ١٩٠ - عن أحداث سنة ٢٩٠ هـ والهمداني حينذاك في العاشرة ما يدلّ على أن « الهمداني » كان يُنفعل بكلّ مايجى من المآسى قال :

وفي هذه السنة اشتدّ القحط في اليمن ، حتّى أكل الناس بعضهم بعضاً ومات خلقٌ كبير ، وشربت عدّة قرى . قال الهمداني أن آل أبي جيش فتّوا في حطمة التسعين ومائتين في اليمن بعد أن نفدت أموالهم ، وبذلوا وجوههم للمسألة (لعلّها ولم يبدلوا) فقعدوا في بيوتهم وأغلقوا أبوابهم حتّى ماتوا ولم يبق منهم غير طفلة صغيرة أخذها بعض بني الأزهر بن عبد الرحمن وتزوّجت فيهم ؛ فسبحان القاهر بالموت .

وبعد وفاة الامام الهادي بايع الناس بعده الامام المرتضى محمّد بن الهادي ؛ وكان كما قال في « غاية الأمانى » « ورعاً زاهداً مُتَقَلِّلاً ، كثير العبادة ، مؤثراً للعلم » - ص - ٢٠٢ هـ جزء (١) كانت بيعته في المحرم سنة ٢٩٩ واستمر إلى شهر ذي القعدة سنة ٣٠٠ هـ ثم عزم على التخلّي والاعتزال ولزم بيته حتّى وصل أخوه أحمد « الناصر » بن الهادي سنة ٣٠١ هـ وكان حين مات والده بالحجاز ؛ فتنازل له المرتضى وبايعه الناس ، وفي تلك الفترة كان « علي بن الفضل » قد احتل صنعاء ، وتحارب مع أسعد بن أبي يعفر ، واختلف مع زميله « منصور بن حسن » صاحب « مسور » وفعل « بزبيد » وأهلها الأفاعيل . ثم اصطلح مع « أسعد بن أبي يعفر » الحوالي « الخراج الولّاح » فولاه علي بن الفضل صنعاء فخطب له وقطع ذكر بني العباس ، قالوا : « وكان الامام الناصر نشيطاً هماماً عالماً » وقد أشار الهمداني في « صفة الجزيرة » وغيرها من كتبه إلى مدائح الشاعر بن الجدوية فيه وفي أبيه ، وذكر أشعار غيره في الموضوع ؛ مما يدل على أن علاقة ودّ أكيد كانت تربط

بينهما ، وهي التي جعلت الهمداني يُفضّل البقاء في صعدة ؛ كما أنها تجحد
تخريصات الوضّاعين ، وتُلفتُ نظر المؤرّخين المنصفين الذين تأثروا بتلك
التخريصات والاختلاقات .

يقول الأستاذ حمّد الجاسر - بعد أن قرّر أنّ الهمداني ولد في سنة ٢٨٠ هـ
ولا نعرف شيئاً عن أوّل حياته ، ويظهر أنّه شارك أهله في عملهم ؛ وهو
« الجمالة » . حمل الحجّاج والتّجار إلى « مكّة » من « صعدة » . فهل
يعني هذا أنّه قد أمضى فترة حياته الأولى في صعدة قاعدة الإمام « الهادي » ؟؟
كما أنّ الأستاذ الجاسر أشار إلى أن الباحث الرّوسي « كراتشوفسكي » قد
لاحظ أن بين أسماء آباء « الهمداني » أسماء لم يعتدّ « البدو » إستعمالها : مثل
« يوسف » و « يعقوب » ، ويربط بين ذلك وبين ما ذكره « الهمداني » عن
أسرته ؛ وأنّ أباه كان يُتاجر « بالذهب » وكان « رحّالة » دخل الكوفة
والبصرة ، وبغداد ، وعمّان ، ومصر ، وأنّ خالّ أبيه ابن « معطي » كان ممّن
وليّ عيار « صنعاء » وقال : إن عناية آله بالصناعات كالّتعدّين وغيره أمورٌ تلفت
النظر . ١ .

ولا أدري ما هو مغزى كلام الباحثة « الرّوسي » عن أسماء آباء « الهمداني »
واستغرابه أن يكونوا « يوسف » و « يعقوب » ؟ وهل ظنّ أنها غير « يمنية »
واستغرابه أيضاً أنّه كان يُتاجر بالذهب وعناية أهله بالصناعات ؟ وأنّ ذلك
يُلفتُ النظر ؟ هل أراد أن يشكك في « يمنية » « لسان اليمن » أم ماذا ؟

ثم نقل الأستاذ « الجاسر » عن « القفطي » « إنّ الهمداني راسل وكاتب
علماء العراق مثل أبو بكر بن القاسم بن بشار الأنباري ، وكان يختلفُ بين
« صنعاء » و « بغداد » وكذلك أبوه « القاسم » وكان يكتب أبا عمرو التّحوي
صاحب ثعلب ، وأبا عبد الله الحسين بن خالويه ، وسار إلى العراق ،
 واجتمع بالعلماء واجتمعوا به ؟ ولا ندري هل تلك الرحلات كانت قبل
سجنه أو بعد خروجه من السجن واستقراره « بريدة » . . غير أن الأستاذ
« الجاسر » يقول : ان الهمداني لما عادَ إلى « اليمن » استقر في « صعدة »
قاعدة « أئمة الزيدية » وأنّ اليمن كانت تتنازعها تيارات سياسية ؛ فاليعفريون

كَانَتْ قَاعِدَتُهُمْ صَنَاءَ يَمِيلُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ أَوْنَةً وَمَعَ أَوْلَئِكَ أُخْرَى ؛ وَيَنْضَمُونَ إِلَى غَيْرِ الْفُتَيْتَيْنِ أَحْيَانًا كَمَا فَعَلُوا مَعَ الْفَرَامِطَةِ « الْخ وَهَذَا الْبَيَانُ الرَّصِينُ الَّذِي يَصَوِّرُ بِصَدْقٍ وَاقِعَ بَنِي « يُعْفَرُ » الْحَوَالِيِّينَ ، يؤكد ما ذَهَبْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ الْهَمْدَانِي الْعَالِمَ الْفِيلَسُوفَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْمِئَنَ قَلْبُهُ وَلَا يَمِيلَ هَوَاهُ ، إِلَى أَمْثَالِهِمْ . وَلِلذَلِكَ اخْتَارَ الْمَقَامَ « بَصْعَةَ » فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ ؛ لِأَنَّ أَمْثَالَ « الْإِمَامِ الْهَادِي » وَ« الْمُرْتَضَى الرَّاهِد » ، « وَالنَّاصِر » الشَّهْمِ الْهَمَامِ « أَقْرَبَ إِلَى رُوحِهِ وَطَبِيعَتِهِ الْيَمِينِيَّةِ الْخَالِصَةِ ، وَإِلَى مَذْهَبِهِ « الزَّيْدِي » . . . ثُمَّ يَقُولُ أَسْتَأْذِنُ حَمْدَ الْجَاسِرِ » حَفِظَهُ اللَّهُ : « وَكَانَ » الْخِلَافُ بَيْنَ أَصْحَابِ هَذِهِ التَّيَّارَاتِ يَتَجَاوَزُ حَدَّ الْمَقَارَعَةِ بِالسَّنَانِ إِلَى الْمَجَادَلَةِ بِاللِّسَانِ ، فَكَانَ أَنَّ اشْتَعَلَتْ نَارُ الْعَصَبِيَّةِ بَيْنَ الْقَحْطَانِيَّةِ وَ« الْعَدْنَانِيَّةِ » ، وَكَانَ بَعْضُ الْأَنْبَاءِ « يُلَاحِظُ هُنَا أَنَّ الْهَمْدَانِي قَالَ أَنَّهُمْ جَرَفُوا وَغَيَّرُوا قَصِيدَةَ الرَّدَاعِي » « مِنْ الْفَرَسِ يُذَكِّي أَوَارَهَا » وَلَيْسَ بَعِيداً أَنْ يُوجَدَ مِنْ وَرَاءِ هَؤُلَاءِ مِنْ ذَوِي النُّفُوزِ فِي بَغْدَادِ (أَصْحَابِ الْحَوَالِيِّينَ) مَنْ لَهُ أَثَرٌ فِي ذَلِكَ الْخ وَهَذَا كَلَامُ حَصِيفٍ يُؤَيِّدُ مَقْهُومَهُ مَا أَوْضَحْنَاهُ تَحْتَ عِنْوَانِ « مَنْ الَّذِي سَجَنَ الْهَمْدَانِي » ؟ . . . ثُمَّ يَقُولُ الْأَسْتَاذُ « الْجَاسِرُ » وَالَّذِي يُعْنِينَا مِنَ الْأَمْرِ مَا لَهُ صِلَةٌ بِالْهَمْدَانِي ؛ لَقَدْ خَاضَ الْمَعْمَعَةَ بَلْ لَعَلَّهُ الْوَحِيدُ الَّذِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَبَيَّنَ أَثَرَهُ فِيهَا ، فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ كُتُبِهِ « الْإِكْلِيلُ » وَ« الدَّامِغَةُ » وَشَرَحَهَا ، وَكَانَ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ أَنَّ أَوْذِي وَسُجْنَ . . . وَإِلَى هُنَا لَا نَخْتَلِفُ مَعَ الْأَسْتَاذِ فِي شَيْءٍ ؛ وَلَكِنَّهُ يُتَابِعُ الْقَوْلَ مُشِيراً إِلَى الْمَصْدَرِ الَّذِي اسْتَنَدَ إِلَيْهِ بِمَا يَلِي : « وَفِي الدَّرِّ الْكَمِينِ وَرَقَةٌ » ١٠٢ [مُؤَلَّفُهُ بْنُ فَهْدٍ الْمَكِّي] وَكَانَ صَاحِبُ أَمْرَهَا - يَعْنِي صَعْدَةُ - فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ الْإِمَامُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ وَكَانَ فِي « صَعْدَةِ » عِدَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُنْتَظَبِينَ إِلَى « عَدْنَانَ » مِنْهُمْ الشُّرَيْفُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ الرَّسِّيِّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنُ أَبِي الْأَسَدِ السَّلْمِيِّ ، وَأَبُو أَيُّوبَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَرْسُمِيِّ ، وَأَبُو أَيُّوبَ يُنْسَبُ إِلَى « الْفَرَسِ » فَبَلَغَ « الْهَمْدَانِي » أَيَّامَ إِقَامَتِهِ فِي صَعْدَةِ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَتَعَصَّبُونَ عَلَى قِبَائِلِ الْيَمَنِ ، وَيَتَنَاولُونَ أَعْرَاضَهُمْ بِالْأَذَى ؛ فَكُتِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ قَصِيدَةٌ فَلَمَّا بَلَغَهُمْ قَوْلُهُ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَنَصَبُوا لَهُ ، وَوَبَّخُوهُ بِالْكَلامِ وَتَأَلَّبُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ فِيهِمْ

أبياتاً ؛ فلَمَّا تَفَاقَمَ الأمرُ بينَهُ وبين الشعراء المذكورين ، وأفحمهم جَمْعاً وفرداً دَخَلُوا إلى الإمام الناصر لدين الله ، وقالوا له أنْ بن يعقوب هَجَا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فتَوَعَّدَهُ « الناصر » فخرج من « صعدة » إلى « صَنْعَاء » وكانت يومئذٍ للأمير أبي الفتح الخطَّاب بن عبد الرحيم بن يُعْفَر الحوالي من قبل عمِّه الأمير أسعد بن أبي يُعْفَر ، وكتب « الناصر » إلى الأمير أسعد وكانت بينهما مَوَدَّة شديدة - يشكو إليه « ابن يعقوب » ويقول : أنه هَجَا النبي ﷺ فأمر « أسعد » ابن أخيه بِسَجْنِهِ فسَجَّنَهُ . . وكانت له في السَّجْنِ أشعارٌ كثيرة من التحريض والتوبيخ وغير ذلك ، وكان سجنه سبباً لِزوال مُلْكِ الناصر ، وقتل أخيه الحسن ابن يحيى الهادي . . هَلِوهُ هِيَ قِصَّة سجن الهمداني كما رواها الأستاذ حمَّد الجاسرُ عن كتاب « الدر الكمين » وهي التي اعتمد عليها القاضي محمد الأكوع في « مُقدمته » ؛ غير أنَّ صاحبَ « الدر الكمين » المكي قد أوردَها كما سمعها دونَ تحامل أو إقْداع ؛ بينما أطلق صاحبنا « القاضي الأكوع » لقلوبه العنان شَتْمًا وسبًّا كما ذكرت سابقاً :

ولا أريد أن يفهم القراء أنني أنكرُ أنه قد كان هناك من يتعصب « لعدنان » ويتحامل ويُزري بقبائل « قحطان » أو بالعكس ؛ وأن « الهمداني » أو غيره من الشعراء قد خاضوا شتَّى « المعامع » في ذلك الميدان ، كما قال صاحب « الدر الكمين » ، و « الأستاذ الجاسر » ، وغيرهما من المؤرِّخين . . كلاً . . كلاً ولكن الذي أريد إثباته هو ما سبق أن أشرتُ إليه من أن . . أهل البيت . . كانوا بمعزلٍ عن تلك المعامع ؛ حتَّى ولو شارك فيها بعضُ من يُدلي إليهم بنسب وقِربة من الشعراء أو أعني أن أحداً من المتعصبين لقحطان ضد « عدنان » لم يتعرَّض للرسول ﷺ ولا لأهل بيته بشيء من الهجو والتحقيق ، والإستِغفار والسَّباب ؛ اللَّهُمَّ أولئك الذين باعوا نفوسهم لِلشَّيْطَانِ مِنَ المارقين ، والتَّاكثين « والخارجين » على الاسلام وجميع مذاهبه ؛ وقد سبق أن اسْتَشْهَدْنَا بِبَعْضِ كلام وشيْعَر الهمداني في الدَّامِغَةِ ، وبشِعْرٍ غيره ومِمَّنْ يفتخرون « بقحطان » ويُعلنون في نفس الوقت الولاء والمحبة للإمام علي وبنيه . وقد أشاد المؤرخون بغضب الشاعر « دعبل » الذي ناقض قصيدة

« الكمييت العدنانية » حين قرأ عليه « البيت » التالي أحد أصحابه :
 مِن أَيِّ ثَنِيَّةٍ طَلَعْتَ قَرِيشُ وَكَانُوا مَعَشَرًا مُتَنَبِّطِينَ ؟؟
 وكأنه من قصيدة « دعبل » قالوا : فَعْضِبَ « دعبل » وقال : معاذ الله أن يكون
 هذا البيت لي « ثم قال : « لَعَنَهُ اللهُ وانتقم عنه يعني أبا سعيد المخزومي ،
 دسَّهُ والله في هَذَا الشَّعْر وضرب بيده إلى سيكِّين كَانَتْ معه فجرَدَ البيتَ
 بحذِّها » .

هذا من جهة، ومن أخرى ؛ لماذا تشدّد الحواليون في تعذيب « الهمداني »
 كما ذكر هو نفسه في المقالة العاشرة من « سرائر الحكمة » لو كان حبسه فقط
 مجاملةً لعدوهم القديم الذي أصبح - كما زعموا - صديقاً ؟؟ « الإمام
 الناصر » ١ . . إني لا أستطيع أن أستسيغ تلك المعاملة الرهيبة ، والإيذاء
 الوحشي من قبل « أبناء يُعَفَّر » نحو « لسان اليمن » ؛ ولا يمكن أن يقوم بها إلا
 ذو حقٍّ شخصي نحو عدوٍّ لدود ؛ وهو ما أظنّه قد كان بين « الهمداني »
 و « سلاطين » و « امراء » آل « يُعَفَّر » لأنّه كان من شيعة أهل البيت وأشد
 بهم ، ومن علماء « الزيدية » علماً بأنّي لا أستبعد أن الشعراء الذين نافسوا
 الهمداني قد حاولوا المؤاذاة والكيد له بشتّى الوسائل والحيل عند « الناصر »
 وغيره حتى ضاق بهم ذرعاً ؛ وقد كانت أواخر أيام « الناصر » كما ذكر
 المؤرخون ومنهم صاحب « غاية الأمانى » مُفَعَمَةٌ بالضنك والاضطراب ؛
 وبدأت الخلافات بين ذويه وأبنائه تبرز بقرونها كما أن الأحقاد القديمة بدأت
 عقاربها تدبّ بين قبائل « صعدة » حتى كان ما كان غير آني ومع ذلك لا أستطيع
 أن أهضم أن يكون أولئك الشعراء والمنافسون من الغفول والسدّاجة بحيث لا
 يجدون سبباً من الأسباب ، ولا وسيلة من وسائل الدسّ والكيد إلاّ الزعم بأنّ
 الهمداني المشهور بعلمه وفضله ومجاورته لبيت الله الكريم قد هجا محمداً
 صلى الله عليه وسلم . . وأن مثل هذه الوسيلة الرخيصة السخيفة تلقى قبولاً أو
 تؤثر على « الإمام الناصر » وهو هو علماً وفضلاً وهمّة وذكاء ؟ وكان قد اطلع
 على « الدامغة » التي ألفها الهمداني في « صعدة » كما أثبت ذلك الأستاذ
 الجاسر والقاضي الأكوغ وفيها ما سبق ذكره من إشادة بالرسول الكريم ﷺ

وبفضائل ومآسي أهل البيت . . إن ذلك في نظري بعيد ؛ ومن التخرصات التي ابتدعتها من أرادوا أن يشوهوا تاريخ « الهمداني » فعبثوا بكتبه وشعره شطباً وتحريفاً ، وفي نفس الوقت لا أستبعد أيضاً أن « أمراء آل يعفر » الذين حبسوا الهمداني وعذبوه وأسأوا إليه قد حاولوا عندما أطلقوه أن يقولوا له أنهم عملوا ذلك بأمر ، أو عن طلب « الإمام الناصر »^(١) . . لأن وسائلهم في المكر والكذب والدس والكيد معروفة مشهورة كما قال المؤرخون وأشار إليه بلطف الناقد الحصيف أستاذنا حمد الجاسر في مقدمته لصفة جزيرة العرب .

ثم يقول الأستاذ الجاسر : « وفي سنة ٣١٦ هـ أثناء إقامته بصعدة ، وأثناء ما وقّع بينه وبين شعراءها ألف شرح « الدامغة » (الورقة ١٦٨) ويظهر أن ابنه كان في منأى عما جرى على أبيه هذه الأيام من الأذى^(٢) ولهذا نسب إليه ذلك الشرح وهي نسبة غير صحيحة ؛ وقد تكون متأخرة عن هذا العهد إذ أن عمر الهمداني سنة ٣١٦ هـ لم يتجاوز ٣٧ - وليس من المعقول أن يبلغ ابنه محمد من العمر ما يؤهله لتأليف مثل ذلك الكتاب الخ .

وأقول : أن في عبارة الأستاذ الجليل تناقضاً تاريخياً إذ أن الهمداني - كما يعلم الأستاذ - لم يستجنه « اليعفريون » إلا سنة ٣١٩ هـ ؟ فكيف أمكن للأستاذ أن يقول : « إن ابنه كان في منأى عما جرى لأبيه هذه الأيام » ؛ أي حين ألف « الهمداني » « شرح الدامغة » سنة ٣١٦ هـ بينما لم يحدث ما جرى له من قبل « الحواليين » إلا بعد ثلاث سنوات ؟؟ . ولكنه - عافاه الله - قد استدرك ذلك بحسّ المؤرخ الناقد فقال : « وقد تكون تلك النسبة متأخرة عن هذا العهد » . . . وذلك هو الصواب إن كان الهمداني نفسه قد نسب الشرح إلى « ابنه » على أنني أشك في ذلك ؛ لأن ما كان يخافه على نفسه من بطش وحقد

(١) بلغ أن الرئيس جمال عبد الناصر أشعر الزعماء اليمنيين الذين سحهم في القاهرة ومنهم المريق العمري ، والأستاذ نعمان ، ويحيى المتوكل ، وإبراهيم الحمدي ، وزملاءهم . . بأنه لم يكن يعرف أنهم في السجن ملتحاً بهم كانوا في سجن البعض من زملائه ؛ قال ذلك بعد إطلاق سراحهم ليبري بهسه ا
(٢) في هذا الكلام نظر إذ لم يكن الهمداني سنة ١٣١٦ هـ قد حبس وأودي وهو يؤيد ويؤكد ما سبق وما سياتي وذهبت إليه : أن كتمان اسمه كان من السلاطين والحواليين والشعوبيين . المؤلف .

« الأبناء » و « الشعوبيين » و « سلاطين » بني « يعفر » وهو يعرفهم حق المعرفة ؛ ويعرف ما صنع « أميرهم » « بالتراحم » من أجل قتل علامه لا بد أن يشعر به نحو ابنه محمد وفي نفس الوقت فانا لا أعلم أن « الهمداني » نفسه قد نسبَ وبالنصر ذلك « الشرح » إلى ابنه « محمد » بل تركَ إسم المؤلف مجهولاً ، وأعلم أن المتأخرين من المؤرخين هم الذين اختلفوا في « نسبته » ؟ فمنهم من قال أنه لابن الهمداني ، ومنهم من زعم أنه لأحد تلاميذه ، حتى جاء الأستاذ حمّد الجاسر فأكد بالبرهان القائم على نص الهمداني أثناء الشرح ؛ وعلى حُجَجٍ أخرى ذكرها في مُقدمته لِصفَةِ الجزيرة ا وكُنْتُ نفسي قد توصلتُ إليها وأنا أحقق كتاب « الدائمة » وشرحتها . . ثم قال الأستاذ الجاسر ص ١٥ - لا شك أن « الدائمة » هي التي فتحت على « الهمداني » أبواب الطعن ، وسيل الاتهام ؛ ولهذا وصفهُ « الزيدون » بأنه كان سبّاباً لأهل البيت وطعنوا في خُلُقِه ، ورموه بالكذب ، كما في « طبقات » الزيدية « مخطوط دار الكتب المصرية ٢٨ - ٦١ » .

هذا ما حكاه الأستاذ ؛ و « طبقات الزيدية » ليست تحت يدي الآن ، ومن المعلوم أن مؤلفها لو كان قد قال ذلك فأنما عنى في نظري أن « الهمداني » كان يتعصب لِقحطان « ضيّد » عدنان وهو ما لا غبار عليه ، وقد نهج نهجُه الكثير من اليمنيين « زيوداً » و « شوافع » وأما أنه قد تَلَبَّ أحداً من « أهل البيت » فذلك ما لم يكن ؛ وأنزّه « الهمداني » « الزيدي » عنه وقد أوردتُ بعض أشعاره في النبي ﷺ وآله ؛ وكُتِبَ مُفعمة بها له ، ولغيره من الشعراء ؛ ولذلك ترجمَ له - كما قال الأستاذ الجاسر في « طبقات الزيدية » . . . « إن كان قد فعل ذلك » وربما ذكره عرضاً .

ثم قال الأستاذ الجاسر أن صاحب الطبقات قال عن الهمداني : « أكثر تصانيفه لا يُخليها من التعصب لِقحطان على عدنان حتى خرج إلى الكذب في الأنساب مع معرفته بها ؛ ومن كذبه أنه ذكر في بعض مصنفاته في فضائل قحطان : إنكاره دخول الحبشة اليمن وصنعاء ؟ وقال : إن العرب أرفع شأنًا ، وأقوى مكاناً من أن يدخلهم الحبشة . . وإنما دخلوا من ساحل جدة إلى

مكة^(١) . . ثم عقب «الاستاذ الجاسر» بقوله : «ومؤلف الطبقات هذا يحيى ابن الحسين من علماء «الزيدية» ومعروف ما يكون بين أصحاب المذاهب والنحل من الاختلاف الذي تنعدم معه معايير الحق والإنصاف» .

وأنا وبعد تأمل كلام الأستاذ حمد لا أستطيع أن أطمئن إلى أن صاحب الطبقات السيد يحيى بن الحسين «الزيدي» قد قال عن «الهمداني» أنه كان سبباً لأهل البيت «إلا إذا كانت العبارة قد دُسَّت عليه أو أنه قد تأثر وهو من المتأخرين بكلام من سبق من الدسَّاسين لأن ذلك لم يحدث قط . . وأما ما قاله في «طبقاته» والأستاذ الجاسر يعني «الطبقات الصغرى» تأليف السيد يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ - ١٦٨٨ م - والذي هو صاحب أنباء الزمن «غاية الأمانى» في تاريخ اليمن ؛ وكان عالماً مشهوراً بالاعتدال والانصاف . أما «طبقات الزيدية الكبرى» فهي لصارم الدين ابراهيم بن القاسم بن محمد المولود في شهارة ؛ وكان عالماً مشغولاً بالتاريخ وكتب الرجال ؛ وكتابه «طبقات الزيدية» ، ورواة الفقه والآثار ويقع في عدة مجلدات جمع فيه واستوفى جميع طبقاتهم إلى أن أكمل تأليفه في صناع سنة ١١٣٤ هـ - ١٧٢٢ م - وقد توفي «بتعز» سنة ١١٥٣ هـ - ولا أدري هل ذكر الهمداني فيه أم لا . . نعم إن إعتراض الأستاذ حمد على قول صاحب «الطبقات الصغرى» أن الهمداني كان كثير التعصب لقبائل قحطان على قبائل عدنان إعتراض في غير محله ، فذلك ما لا ينكره أحد حتى الأستاذ الجاسر نفسه فقد رمأه بالتعصب حين قال في مقدمته «لصفة جزيرة العرب» : «ويؤخذ على الهمداني أمور ؛ منها شدة تعصبه شدة قد تحيد به في بعض الأحيان عن جادة الصواب ، وكتاب شرح الدامغة أوضح دليل على ذلك والأستاذ محب الدين الخطيب على حق حين قال عن الهمداني : «يُثبتُ

(١) تأمل الحجة الواهية التي لا يمكن أن تخطر على بال مثل «لسان اليمن» الهمداني ؟ كأن سكان بيت الله الحرام من قريش لم يكونوا عرباً ؟ فقط ؛ لأن العرب أرفع شأنًا ؛ لم يدخل الأجباش «صنعاء» لكن دخلوا من جده إلى «مكة» لأن العرب فيها ليسوا «عرباً» هل يجوز أن يحوز هذا على أي ناقد . . لا . . أنه موضوع سواء على الهمداني أو على صاحب الطبقات . المؤلف

حقائق العلم على صحتها ما استطاع في كل ما لا يمس « همدانيته » و « يمنيته » فإذا لامس العلم هذا الجانب الحساس من المؤلف وجد فيه ضعفاً « كما أخذ الأستاذ الجاسر » الهمداني « أيضاً على اعتقاده بتأثير النجوم في تكوين المعادن ، وفي تصرفه في الشعر وتحريفه ، ولا أريد مناقشة الأستاذ في ذلك الآن ؛ لأنه خارج عن الموضوع ؛ بل أريد أن أقول : أن صاحب « الطبقات الصغرى » لم يزد على ما قاله الأستاذ الجاسر ، والأستاذ محب الدين الخطيب . . الذي أورده « الجاسر » مصوباً وإن كانت لهجة الاستاذين الباحثين الكريمين الطف وأرق وأعمق وأدق ؟؟ وليرحم الله الخطيب » و « صاحب الطبقات » و « الهمداني » وليحفظ الله أستاذنا حمد الجاسر . . الذي لا يسعني إلا أن أذكر ما قاله في ص ١٠ من مقدمته عن الهمداني » إذ قال :

فهو يرى أن « الكلبيين » قد اختصروا أنساب الناس وطرحوا منها » ويقول : « إن أنساب العراق والشام يُقصرون في أنساب كهلان ومالك بن حمير ليضاهوا بها عدة الآباء من ولد إسماعيل وقد يعلل هذا بأن بعضهم حاول إفساد النسب في أيام « العصبية » في دولة « معاوية » لتقرب نسب قضاة و « كهلان » على نحو ما أرادت « التزارية » من إدخال هذه القبائل في ولد إبراهيم عليه السلام . . ولا يهمني ما يريد « أستاذنا » الجاسر » أن يثبت ، أو يدين به لسان اليمن الهمداني « بكلاويوا هذا بل الذي لفت نظري وأكد تشيع الهمداني » أنه وصف « دولة معاوية بن أبي سفيان » بأنها كانت « أيام العصبية » . . وقد تحدث « الجاسر » عن سجن الهمداني قائلاً : وقد أشار الهمداني في المقالة العاشرة من سرائر الحكمة إلى سجنه إشارات ملخصة : أنه غضب عليه الملوك يوم الاثنين شوال سنة ٣١٩ هـ وأدخل السجن وأجريت الايمان والعهود بالله أن لا يخرج إلا على لوجه ميتاً ، ثم فسح له في ابتناء مسكن يتسع فيه وسُوح له بزيارة الأخوان ، وقضاء الحوائج ، في سبعة أشهر و ٢٤ يوماً ، وعندها أبيل بالقيود الثقيل قيلاً خفيفاً ، ولم يزل الأمر على ذلك تسعة أشهر وأربعة أيام ونصف ، وأنهدم

جانباً من حائط السجن فحوّل إلى سجن القاصرين ، وأصحاب الديون . .
فصار كأنه في منزلٍ مُنعزل ، وبعد أربعة وعشرين يوماً أُطلق من القيد
الخفيف وزادت الحال به فرجة ، فنُقل من السجن العظيم إلى ما هو في عداد
المنزل ، ثم نُقل من بلدي إلى بلد ، وطيفَ بو مصفداً إلى موضع غربة فلقى من
ذلك الأمرين ، وذلك من مدخله السجن صعب الأمر [في العبارة اضطراب]
وتأربت عقدة السجن ، ووقع في اليأس ، وتأكد الملوك في تعميره في
السجن اوعلى سبعة عشر شهراً وثمانية عشر يوماً وجهت أموره . . ١٠ / وذلك
على ٢١ شهراً وستة أيام فنفذت فيه الشفاعة ؛ فلما كان يوم الأحد / ٢٧ /
شعبان سنة ٣٢١ هـ إذن باطلاقه فأطلق ثم رُدَّ إلى السجن ثانية ؛ فلم يضر
فيه يوماً ثم أُطلق فخير (هكذا) ؟؟ ثم أُطلق من الموضع ويُعث به مغرباً مع
حفظة أينما وصلوا من قرية سجنوه فأقام على ذلك ثمانية أيام ؛ ثم فلت من
النهج الذي قصد به نفسه وذلك بعد ستمائة وتسعة وأربعين يوماً تكون شهوراً
تامة - ٢١ - شهراً ؛ و ١٩ يوماً ، ويُفهم مما تقدّم أنّ « الهمداني » هرب من
السجن ، مع أنّه نصّ في « الاكليل » ١ - ٣٣١ - أنّ « الناصر » لما قام آل أبي
فطيمة مطالبين باخراج الهمداني من السجن فتح له ، فرضوا وأدعوه حتى صبح
لهم أنّ إطلاق الهمداني كان من جهة ابن زياد صاحب « زبيد » فلعّل « ابن
زياد » هذا ساعد على هرب الهمداني من السجن . وهذا السرد المثير ورغم
أنّه يستند إلى ما روي عن « الهمداني » نفسه في « سرائر الحكمة » والجزء
الأول من « الاكليل » ففيه شيء من الاضطراب والتشكك ويتمثل واضحاً في
قوله « ويُفهم » ، و« لعّل » والخلط بين « الناصر » و« ابن زياد » و« شفاعته » ولم
يذكر إلى من ١٩ واحتمال « فراره » ؟ ثم قال الأستاذ الجاسر : وقد فصل
« الهمداني » في « الاكليل » (١ / ٣٢٩ / ٣٤٣) أثر سجنه في زوال ملك
« الناصر » وقتل أخيه الحسن في وقعة « الباطن » ؛ وأنّ قلب الناصر إنفلق فأقام
أياماً يسيرة ثم ثوفي وأورد بعض أشعاره ، ويظهر أنّه شارك في بعض الوقعات
التي جرت بين « الناصر » وبين القبائل الهمدانية التي ثارت ضده حمية
للهمداني . . ثم قال مُستنداً فقط إلى استنتاجه الخاص . الواقع تحت حبك

الاشاعة التي أشرت إليها دونما تمحيص أو رجوع ، إلى نص تاريخي قال :
« ويظهر أن الهمداني منذ أن حلّ بصعده عائدًا من « مكة » حتى سنة ٣٢٢ هـ
لم يتمتع بالراحة ؛ فقد أمضى أول الوقت في خصاصه مع الشعراء وما بين
سنتي ١٩ - ٣٢١ هـ في السجن ؛ وفي سنة ٣٢٢ هـ في حروب مع القبائل
الثائرة على الناصر ، وقد أوضح الهمداني أنه أقام في صعده عشرين عاماً ؛
ونرى أن هذه المدة كانت قبل سجنه سنة ٣١٩ هـ ٩١ ثم قال : أنه عاد من مكة
بعد سنة ٣٠٧ هـ « وأن مفتاح شخصيته هي تعصبه لقومه وللقحطانية عامة كما
ذكر » أنه اجتمع بالخضر بن داود سنة ٣٠٧ هـ « وأنه لا يوجد من كتابه سرائر
الحكمة إلا المقالة العاشرة » التي روى فيها قصة سجنه الحزينة بسبب غضب
« السلطان » حسب تعبير « الأكوع » و « الملوك » حسب تعبير « الجاسر » .
وأكّد « الأستاذ » أن الهمداني استقرّ آخر حياته في « ريّة » من البون الأسفل
من أرض « همدان » وبها « قبرة » وبقية أهله حسب قول « القفطي » وأنه
عاش إلى ما بعد سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٦ م) .

أما كيف كانت حياته بعد موت « الناصر » وما هو نشاطه العلمي والأدبي ؟
وأين عاش ؟ فلم يحدثنا بشيء ، ولكنه كان موفقاً حين أنكر ما رواه أحدهم
من أن الهمداني قد رثى أسعد بن أبي يعفر بقوله :

قد استوى الناس ومات الكمال وقال صرف الدهر أين الرجال ؟
إلى آخر الأبيات .

قال الأستاذ الجاسر ص ٣٠ - مقدمة :

إن هذا الشعر لابن المعتز « الخ وهو على حق ، كما أن ذلك يؤكد أيضاً أن ما
وضع على « لسان اليم » كان قد أغرق فيه المغرضون .

مناقشة لوجه التاريخ ؟

أشرت أثناء نقلي لقصة حبس « الهمداني » التي سردها « الأستاذ حمّد
الجاسر » إلى أن في ذلك السرد من الاضطراب والتشكك ما يوحي بأنه لم
يكن على يقين مما يقول ؛ وأن ذلك قد تمثّل في ترديده لبعض الألفاظ : مثل

« وَيُظْهَرُ » و « يَفْهَمُ » و « لَعَلَّ » الخ . وحيثُ أَنَّ الأستاذَ الجاسر قد ذكر إستناداً إلى ما نُسب إلى الهمداني أَنَّ « الامامَ الناصر » ماتَ بَعْدَ أَنْ انفلقَ قلبُه أَسَى عَلَى أَخِيهِ الَّذِي قُتِلَ فِي وَقْعَةِ الْبَاطِنِ أَوْ قَالَ وَيُظْهَرُ أَنَّهُ - أَيُّ الهمداني شاركَ فِي بعضِ الوقعاتِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ « النَّاصِرِ » وَبَيْنَ الْقَبَائِلِ « الهمدانية » وَفِي حُرُوبِ سَنَةِ ٣٢٢ هـ - الخ فقد رَأَيْتُ العُودَةَ إِلَى التَّارِيخِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ كُتُبِهِ الآنَ إِلَّا « غَايَةُ الْأَمَانِيِّ فِي أَخْبَارِ الْفُطُرِ الْيَمَانِيِّ » لِصَاحِبِ « الطَّبَقَاتِ » الصَّغَرِيُّ الَّتِي نَسَبَ إِلَيْهِ الْأَسْتَاذَ لَجَاسِرِ التَّحَامُلِ عَلَى الهمداني ؛ وَسَأَنْقُلُ مِنْهُ أَحْدَاثَ سَنَةِ ٣٢٢ هـ - الَّتِي زَعَمَ الْأَسْتَاذُ الْجَاسِرُ أَوْ ظَنَّ أَنَّ الهمداني شاركَ فِي حُرُوبِهَا ١ - وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ قَدْ حَدَثَ لَمَا أَهْمَلَهُ الْمُؤَرِّخُ الْعَلَّامَةُ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ . . قَالَ : « غَايَةُ الْأَمَانِيِّ » صَفَحَاتُ ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - جُزْءُ ١ - تَحْقِيقُ الدُّكْتُورِ عَاشُورٍ - عَلَى مَا فِي هَذِهِ الطَّبْعَةِ مِنْ أَخْطَاءَ :

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ جَمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ النَّاصِرُ لِدَيْنِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْهَادِي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؛ وَادَّعَى عَقِيبَ مَوْتِهِ وَلَدُهُ يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ ، وَعَارَضَهُ أَخُوهُ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلَقَبُ « بِالْمَخْتَارِ » وَالْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَجَرَى فِي أَيَّامِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ مَا يَطُولُ شَرْحُهُ وَإِنَّمَا نَشِيرُ إِلَى طَرَفٍ سِيرِمِهِ : مِنْ ذَلِكَ حَصُولُ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ فِي صَعْدَةِ قَتْلِ فِيهَا الْحَسَنُ بْنُ الْهَادِي ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهَا كَانَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ قَبْلَ وَفَاةِ النَّاصِرِ - سَمِعَهُ اللَّهُ - وَلَعَلَّهَا وَقَعَتْ الْبَاطِنُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْأَسْتَاذُ نَقْلًا عَنِ الْإِكْلِيلِ [وَتَعَقَّبَهَا مَا وَقَعَ مِنَ الْإِخْتِلَافِ وَالشَّقَاقِ، وَعَدِمَ الْإِتْفَاقُ بَيْنَ أَوْلَادِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ حَتَّى قِيلَ أَنَّ خِرَابَ « صَعْدَةِ » الْقَدِيمَةِ كَانَ فِي أَيَّامِهِمْ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْفِتَنِ وَتَتَابَعِ الْمَحَنِّ ؛ وَمَا زَالَتْ أَحْوَالُهُمْ مُتَقَلِّبَةً ، وَأُمُورُهُمْ مُضْطَرِبَةً مِنْ هَذَا التَّارِيخِ إِلَى سَنَةِ ٣٣٣ هـ - ثُمَّ ذَكَرَ قُدُومَ حُسَّانَ بْنِ عَثْمَانَ ابْنِ أَبِي يُعْفَرَ مِنْ نَجْرَانَ « إِلَى صَعْدَةِ » وَخُرُوجِ الْعُلُوِيِّينَ مِنْهَا إِلَى قَبَائِلِ خَوْلَانَ وَاسْتِعَانَتِهِمْ بِأَسْعَدَ بْنِ أَبِي يُعْفَرَ ، وَخُرُوجِ حُسَّانَ إِلَى « بَرَطِ » وَعُودَةِ « الْعُلُوِيِّينَ » وَتَبَايَعَتِهِمْ لِلْحَسَنِ بْنِ النَّاصِرِ ، وَخُرُوجِ أَخِيهِ « الْمَخْتَارِ » عَلَيْهِ . . وَالْحُرُوبُ الَّتِي نَجَمَتْ بَيْنَهُمَا ، وَوُقُوعُ الْخِلَافِ بَيْنَ « الْمَخْتَارِ » وَأَحْمَدَ بْنِ الضَّحَّاكِ صَاحِبِ « رَيْدَةِ » وَمَا نُسِبَ

بينهم من وقائع ، والتفاف الأكثرية حول « المختار » وتصالحه مع أخيه ؛ ثم اختلافهما من جديد وخروج الحسن إلى « بني سعد » ومكاتبته إلى ابن الضحّاك ، واتفاقهما على محاربة « المختار » حتى قال : « وتمكّن القوم من « صعدة » فنهبوا نهباً شديداً وقتلوا من أهلها وسبوا وفعلوا بهم أعظم من القرامطة » ، وخرج أكثر أهل « صعدة » عنها إلى آخر ما قال . . وأنا أستبعد أن يكون « الهمداني » العالم العظيم قد شارك في مثل تلك الحروب التي سببت الدمار والهلاك لصعدة وأهلها وهي مسرح شبابيه وحيث ألف فيها الكثير من كتبه ونظم الجميل من أشعاره وكان له بين ذويها جاه وصوت جهير . . وأنه كان من الورع والتقوى بمكانة لا يمكن معها التورط فيما تورط فيه الطامعون ومثيرو الفتن من كل الفئات ، وبهذا يتلاشى في نظري - تشكك الأستاذ « الجاسر » وعباراته العائمة « يفهم » و « يظهر » و « ولعل » . . التي لا تفيد يقينا .

هناك صبراع عاطفي بين « المؤرخ » و « الشاعر » ويأتي ذو الهوى والتعصب فينفت أفاضاً تعميق ذلك الصبراع ؟ وربما كان من سوء حظي أن أكون مؤرخاً و « شاعراً » في وقت معا ، ولا يدري إلا الله ما أعانيه وبأسى وعنف حين أحاول « التمييز » بين ما أتمناه كشاعر وبين ما أظنه كمؤرخ : واقع . . وحلم . . رغبة . . وحدت . . ثم دس وكيد ؟ إنها عملية صعبة ؛ لا يتوفق فيها إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم . . !

الفصل السادس

مرهم بنو يعقر، أو الكواليون ؟

وردت لفظة « الحواليين » كثيراً في الصفحات السابقة ، والقاضي محمد الأكرع نفسه حريص - دائماً - على أن يلزق لفظة « الجوالي » إلى اسمه في كل مؤلفاته ، أو ما ينشره من كتب الهداني متباهياً بانتسابه إليهم ؛ وكثيراً ما مجّد دولتهم ، وأثنى على « سلاطينهم » و « أمراءهم » من بني يعفر « الحواليين » وكثيراً ما أثنى باللائمة والتجريح على من سبقهم ، أو عارضهم ؛ غافراً لأصحابه « البعفريين » كلّ ذنب ، متجاوزاً عن كل خطأ ، ملصقاً بالآخرين كلّ عيب ، مُتَقَبّاً عن آية زلة ؛ مُتَّبِعاً كلّ هفوة ، ولا يكاد يجد لمُخْطئهم عذراً ، ولا على المظلوم رحمةً وحناناً ؛ مُبالِغاً في ذلك إلى حدّ تجريم جدودهم وأسلافهم وإن بعدوا ؟ وتحقير أحفادهم وذرياتهم على مدى الزمان . ا ولكي لا أترك القراء في حيرةٍ سأحاول أن أعرفهم « بآل يعفر » أو « الحواليين » الذين لعبوا دوراً سياسياً في فترة من فترات التاريخ اليمني ، ولئن آتي بشيء جديد بل سأنقلُ بأمانة ما قاله عنهم المؤرخون اليمنيون وغيرهم . . . ومن المعلوم أنّ « الحواليين » ينسبون إلى ملك من ملوك حمير قبل الإسلام كان يُدعى « ذوحوال »

١ - مع علي بن الفضل :

قال نشوان الحميري في « الحور العين » ص ٢٠٠ - فلما مات علي بن فضل ، قام ابنه « بالمديخرة » من بعده ، وفرّق الأموال في أصحابه فخرج الأمير أسعد بن أبي يعفر بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبد الرحيم بن كريب « الجوالي » من « صنعاء » في رجب سنة ٣٠٣ هـ (٩١٦ م) ومعه قوّاد اليمن ، فلم يزل يُحارب القرامطة حتّى استفتح بلدانهم ، ودخل « المديخرة » في جمادى الأولى سنة ٣٠٤ هـ - فحاصروهم حتّى نزلوا على حكمه ، وظفر بهم في رجب من هذه السنة فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأخذ

أموالاً عظيمة ، يقصرُ عنها الوصفُ ، وسبى نساء « ابن فضل » فوهب بثته
 لابن أخيه قحطان بن عبد الله بن أبي يُعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان أمير
 اليمن ؛ وبيع من القرامطة ناسٌ كثير ، وأخذ ولدين لعلي بن فضل ، وجماعة
 من رؤساء القرامطة إلى « صنعاء » وأمر بهم فذبحوا جميعاً ، وطُرِحَتْ
 أبدانهم في بئر الجبانة ، وأخذت رؤوسهم فُبِقِرَتْ ، ووجه بها في أربعة
 صناديق إلى مكة فَنُصِيتَ هناك أيام الموسم .

٢ - ما قاله المستشرق كاي عنهم ؟

يقول المستشرق كاي H. C. KAY الذي نشر كتاب عُمارَة اليمن وعُلِقَ عليه
 سنة ١٨٨٢ م - ص - ١٨٩ - تاريخ اليمن إخراج الدكتور حسن سليمان
 محمود سنة ١٩٥٧ م - ١٣٧٦ هـ - ما يلي: وأسرة بني « يُعفر » التي وطدت
 ملكها كدولة مُستقلة في صنعاء كانت من سلالة التّابعة ، أو ملوك حمير
 القدماء كما جاء في كتاب عُمارَة وتاريخ ابن خلدون في الفصل الذي عقده
 في أشراف « صعدة » الرّسّيين ويحذو ابنُ خلدون حذو عُمارَة في الكلام
 عنه باعتبارهم من « التّابعة » وفي موضع آخر من تاريخه حين يتناول أنساب
 ملوك اليمن وقبائله يُورد لنا سلسلة نسب بني يُعفر ، ومع ذلك يبدو من
 المتعذّر أن تُتابع نسبهم إلى التّابعة إلا إذا استثنينا أنهم من سلالة زرعة
 (حمير الأصغر) بن سبا الأصغر

ومن أسلافهم إثنان كانا يُسمّيان بإسم ذي جِوال وقد يكون هذا سبب غلبة
 لإسم « الجِواليين » عليهم في كثير من المصادر ومؤسّس الدولة يعفر بن عبد
 الرحمن [عبد الرحيم] وتُسمّع به لأوّل مرّة كما جاء في « الجندي » عندما كان
 يحكم اليمن القائد التركي « إيتاخ » الذي نصبه الخليفة « المعتصم » على
 اليمن في سنة ٢٢٥ هـ - برواية ؛ وفي عهد الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) عُزل
 « إيتاخ » وأعيد جعفر بن دينار والياً عليها وكان قد وليها من قبل ثم عُزل
 بتعيين « إيتاخ » . يقول ابن الأثير : إن ولاية ابن دينار على اليمن كانت سنة
 ٢٣١ هـ وأنّ هذا الحاكم الجديد دخل صنعاء في أربعة آلاف فارس وألف

راجل، ويقول الجندي ان ابن «دينار» هاجم «يعفر» بن عبد الرحيم
 ولكنهما تهادنا ، ولما بُويع المتوكل بالخلافة سنة ٢٣٢ هـ عين جيمر بن
 الحارث حاكماً على اليمن ، ولكن الحاكم الجديد عجز عن مقاومة هجمات
 يعفر حتى اضطر إلى العودة هارباً إلى العراق ، ثم اغتيل «المتوكل» بعد
 ذلك في سنة ٢٤٧ هـ وسيطر يعفر على صنعاء «والجند» ودخلت في حوزته
 «حضر موت» والجند وتحالف مع «ابن زياد» وكان يدفع لهم الجزية السنوية؟
 وفي سنة ٢٦٢ هـ حج بعد أن أناب عنه ولده^(١) إبراهيم فلما عاد سنة ٢٦٥ هـ
 شيد مسجداً صنعاء على الطراز الذي احتفظ بطابعه حتى عصر الجندي . وقد
 قتل ابراهيم أباه ثم لم يكفوه قتله - فيما نقل «الجندي عن ابن الجوزي - بل قتل عمه
 وابن عمه وزوجة أبيه ؛ قبل إنقضاء ستة أشهر على وفاة المعتمد أي في المحرم
 من سنة ٢٧٩ هـ وظل «إبراهيم» مُحالفاً لأمرأ بني زياد ولكن حكمه لم يدم
 طويلاً وخلفه ابنه أسعد الذي فتح القرامطة في عهده جزءاً كبيراً من بلاد
 اليمن ، ويمضي الجندي في وصف فتوحات القرامطة وخضوع أسعد لعلي بن
 الفضل على نحو ما جئنا به في هذا الكتاب ، ومقتل محمد بن يعفر على يد
 ابنه إبراهيم ، لم يرد فيما ذكره الخزرجي عن تاريخ تلك الحقبة الذي اختلف
 في رواية حوادثها إختلافاً ظاهراً عمارة والجندي . يقول الخزرجي : وظل
 إبراهيم يسوس مملكته بعد عودة أبيه من مكة ، ثم شبت نار الثورة في صنعاء
 بعد سنة ٢٧٠ هـ بقليل ، وعرض الثوار على جعفر بن أحمد المناخي ان
 يولوه عليهم ، وسرعان ما خرج بنو «يعفر» جميعاً من المدينة ، ثم قتل
 محمد بن يعفر بعد ذلك بقليل في شبام ولم يخلفه إبراهيم بل ابن آخر له ،
 يدعى عبد القادر بن أحمد ابن يعفر ؛ والظاهر أن السبب في العدول عن تولية
 ابراهيم هو إتهامه باغتيال أبيه . وظل عبد القادر حاكماً لمدة أيام قليلة ، ثم
 جاء من «بغداد» والي في صفر سنة ٢٧٩ هـ هو علي بن حسين جفتم وصل
 في الشهر التالي لقتل محمد بن يعفر كما جاء في «الجندي» وحكم «جفتم»
 إلى سنة ٢٨٢ هـ ثم عاد إلى العراق فخلا الجولابراهيم بن يعفر وأصبحت

(١) لعل الصواب حفيده .

له السيادة المطلقة لكن حكمه لم يطل ، إذ توفي « وخلفه ابنه أسعد » وفي سنة ٢٨٨ هـ عزّا الامام الهادي الرسي « صنعاء » وزجّ في السجن برؤساء بني يعفر ولكنهم هربوا إلى « شبام » واستردّ فيها « أسعد » نفوذه على أتباعه ثم تمكّن من إرغام « الإمام » على ترك « صنعاء » . . وأخيراً فتح القرامطة صنعاء سنة ٢٩٩ هـ كما جاء في الجندي والخزرجي : [في الحاشية] إنّ علي بن الفضل استولى على صنعاء سنة ٢٩٣ هـ ولكن لم يستقر أمره فيها [الآ سنة ٢٩٩ هـ] ثم قال « كاي » وعند وفاة علي بن الفضل القرمطي سنة ٣٠٣ هـ بادر أسعد إلى توطيد سلطانه في اليمن وظل مُسيطرّاً عليها حتّى وفاته سنة ٣٣٢ هـ إلى أن يقول : « ويقول ابن خلدون أن أسعد قد خلفه أخ له يدعى محمّد ولكن بعد وفاة أسعد لم يستطع بنو يعفر قطّ أن يستعيدوا شأوهم الذي بلغوه في عهد أسعد » وقد ذكرَ ناشر الكتاب ومترجم تعليقات « كاي » الدكتور حسن سليمان محمود في الحاشية رقم ٤ - ص ١٩١ . قصّة قتل علي بن الفضل فقال : « إن سبب موت بن الفضل أن رجلاً من أهل بغداد يُقال أنّه شريف وصل إلى الأمير اسعد بن أبي يعفر « نائب ابن الفضل على صنعاء » وقال للأمير : تُعاهدني وأعاهدك أني إذا قتلْتُ هذا « القرمطي » كنتُ شريكاً فيما يصل إليك « فعاهده » على ذلك ، وتمكّن هذا الشريف من تنفيذ خطّته بالطريقة التي سبق أن شرحها في مطلع الحاشية وذكرها الجندي وهي دعواه بأنّه « طبيب » ففصده وسمّهُ . . . وهربَ ولكن رجال ابن الفضل لحقوا به دون نكيل صيد « يُعرف الآن باسم نكيل سمارة) فقتلوه (١) » .

(١) هذا إذا لم يكن الأمير أسعد بن يعفر شريكاً في المؤامرة قد أمر من يترصدّه هناك ليتحلّص من عهده الذي أعطاه | وهو المشاركة في « الغنيمة » ؟! المؤلف

٣ - مأساة أسرة علي بن الفضل :

إنَّ ما حدث لأسرة علي بن الفضل على يد حليفه ونائبه في صنعاء أسعد بن يُعفر « الجوالي » من أبشع المآسي في تاريخ اليمن - مهما قاله المؤرخون عن علي بن الفضل نفسه - إنها لمأساة تقشعر منها الأبدان رغم ما يروونه عن علي ابن الفضل - إذ لا تَزُرُ وازرة وزُر أخرى - وقد تفتن المؤرخون في وصفها ؛ وغير « نَشوان الحميري » الذي سبق أن نقلنا كلامه عنها ، وصفها بأسباب المؤرَّخ الجندي في كتابه « السلوك » ومما قاله حَسْب نقل الدكتور حسن سليمان في كتاب « تاريخ اليمن » ص (١٧٣) : وكان « بن الفضل » لمَّا طابَتْ له « المديخرة » وجعلها دار إقامته استناب على صنعاء أسعد بن أبي يُعفر المُقدِّم ذكره ؛ قال ابن جرير وكان عنوان ابن فضل إلى أسعد بن أبي يُعفر - حين يكتب إليه : من باسط الأرض وداحيها ، ومُزلزل الجبال ومُرسِها ؛ علي ابن فضل الى عبْدِهِ أسعد ! وكفى بهذا الكلام دليلاً على كفره فنسأل الله العصمة : هكذا قال الجندي وأنا أستبعد أن علي بن الفضل مهما بلغ به الغرور أن يعمل ذلك وهو ما ستحدث عنه في مكانٍ آخر - ثم قال الجندي بعد أن ذكر قصة هلاك ابن الفضل بالسَّم على يد الطَّبيب وحادثة « الفصد » ، وموته في ليلة الخميس منتصف ربيع الآخر سنة ٣٠٣ هـ بعد أن ظلَّ في الحكم سبعة عشر عاماً قال : « ولمَّا علم أسعد بوفاته فرحَ وكذلك جميع أهل اليمن فرحاً شديداً . ثم كاتبوا أسعد على أنه يغزو « المديخرة » ويستأصل شأفة « القرامطة » فأجابهم الى ذلك وتجهزَّ بعسكر جرَّار من صنعاء ونواحيها إلى أن يقول : « ثم نصبَ أسعد على المدينة المنجنيقات فهدم غالبَ دورها ودخلها قهراً ثم قتل ابن علي بن فضل وجميع من ظفر به من خواصه وأهله ، ومن دخل بمذبه وسبى بناته وكنَّ ثلاثاً ، اصطفى أسعد منهنَّ واحدة اسمها « معاذة » وهبها لابن أخيه قحطان ؛ ا فولدت له عبد الله الآتي ذكره ، والاثنان صارتا إلى « رعيين » وانقطعت دولة القرامطة من مخلاف جعفر ، ولم تزل « المديخرة » خراباً إلى عصرنا » أمَّا المؤرَّخ الكبير

يحيى بن الحسين صاحب « غاية الأمانى » فيقول بعد أن ذكر ما يشبه ما ذكره « الجندي » واشتد الأمر على أهلها « مديخرة » وعجزوا عن المحاربة فدخلها عليهم قهراً بالسيف ؛ وذلك في يوم الخميس لسبع ليالٍ بقين من رجب من السنة المذكورة « ٣٠٤ هـ » ؛ ولما دخلها انتهب ما فيها من الخزائن العظيمة وأسر جميع أهلها ، وسبى بنات « علي بن فضل » وكنّ ثلاثاً فأعطى إحداهنّ ابن أخيه قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، وبقيتاهنّ في اثنين من رؤساء أصحابه ، وفي شهر القعدة من هذه السنة أمر أسعد بن أبي يعفر بضرب عنق ولد علي بن الفضل ومن معه من الأسرى وبعث بها - أي بالروؤوس - إلى الخليفة العباسي ببغداد وكانوا نيفاً وعشرين رجلاً . ولا تنتهي مأساة أسرة « علي بن الفضل » هنا عند مؤرخنا صاحب « غاية الأمانى » بل أنه يعود فيذكر في أحداث سنة ٣٥٣ هـ أي بعد حوالي خمسين عاماً ؛ وقد طمّت اليمن أثناءها من الفتن والحروب ما قضى على الأخضر واليابس ؛ ولكن الحقد ظلّ حياً فاثراً في قلوب « الجوالين » ولذلك ؛ فحتّى ذلك الأمير عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر الذي يُعتبر علي بن الفضل جدّه لأمه لأنّه ابن « معاذة » التي سبها أسعد بن أبي يعفر مع اختها واصطفها كما قال « الجندي » لابن أخيه « قحطان » وولدت له عبد الله هذا . . الذي لم يتأثر بعامل من عوامل الرّحم والقرابة ، بل ظلّ يُنفذ سياسة أجداده وتتبّع أسرة « علي بن الفضل » وكان من كان منهم رضيعاً قد كبر ! قال صاحب غاية الأمانى ص - ٢٢٣ - جزء - ١ - ما يلي :

ودخلت سنة ٣٥٣ هـ فيها رجع الأمير عبد الله بن « قحطان » إلى « صنعاء » فخرج منها ابن الضحّاك مُنهزماً ولم يزل يتتبّع القرايطة حتّى ظفر بولدين لعلي بن الفضل وجماعة من رؤساء القرايطة فأمر بقتلهم وبعث برؤوسهم إلى مكّة أيام الموسم !

إنّها ولا شك مأساة ولكنها ليست بيكر من هذه الأسرة المشهورة بالبطش والقسوة والفتك حتّى بذوي قُرْبائها ! وقد أخبرنا المستشرق « كاي » كيف قتل إبراهيم اليعفري أباه محمداً وعمّه ، وقد روى القصّة مؤرخنا ابن الحسين أيضاً .

٤ - كَيْفَ قَتَلَ اِبْرَاهِيمُ الْحَوَالِي اَبَاهُ وَعَمَّهُ ؟

قال صاحب غاية الأمانى ص ١٦٤ - جزء ١ - ما يلي :

وفي هذه المدة (سنة ٢٦٣ هـ) أمر يُعْفَر بن عبد الرحيم الحوالي بقتل ولديه محمد وأحمد فقتلاً بعد المغرب في صومعة شبام « تحت كوكبان » والذي نفذ القتل حفيد يُعْفَر ابراهيم بن محمد - إلى أن يقول : وفي هذه المدة وصل عهد من صاعد بن مخلد وزير « المقتدر » بالله ليُعْفَر بن (١) ابراهيم بن محمد ابن يُعْفَر بولاية صنعاء ومخالفها فاعتزل ابراهيم بن محمد عن الإمارة ، وجعل عملاً على صنعاء وأقام في « شبام » فاجتمع اهل صنعاء على عمال ابراهيم فقتلوه ونهبوا دار ابراهيم بن محمد ولم يلبث أن قُتل بشبام .

٥ - لَطْمَةُ الدُّعَام . ١٠ .

قال « الشماحي » في كتابه « اليمن الإنسان والحضارة » ص - ١١١ - ممّا يؤيد أن ابراهيم الحوالي - جدّ قاتل اخواله عبد الله بن قحطان هو الذي قتل أباه وعمه ما يلي :

كان الدُّعَام كبير أرحب وسيد همدان في عصره ، وكانت له مكانة عند الملك محمد بن يُعْفَر وكان يسكن بلاد الجوف فلما قُتل ابراهيم بن محمد أباه محمداً وعمه أحمد بن يُعْفَر قدم الدُّعَام معزياً وعاتبه على قتل أبيه فلطمه ابراهيم ؛ ثم أتته ندم واعتذر لغير جدوى فقد ثار الدُّعَام على ابراهيم واجتمعت له بكيل كلها الخ .

هكذا أورد الحكاية القاضي عبد الله الشماحي أما الهمداني فقد قال عن الدُّعَام في الأكليل : ص ١٨٠ ج - ١٠ - ما يلي : وكان مكينا حظياً عند محمد ابن يُعْفَر فلما قتلُ ابنه ابراهيم بن محمد قدم الدُّعَام إلى ابراهيم معزياً له وزارياً عليه فيما ارتكب من أبيه وعمه فأمر بإيصاله فوجده مُتَشَيِّاً (٢) فلما كلمه قال وتقابلني بهذا ؟ لحقيق أن تُلطم ثم لطمه فخرج الدُّعَام ضِعْفاً فلما صحا أبو يُعْفَر أخبر بما كان منه فاعتذر إليه وقربه فقال الدُّعَام لن ترفع كرامة اليوم هواناً

(١) لعلّ العبارة : لأبي يُعْفَر ابراهيم بن محمد بن يعفر

الأمس ، ولن تعلق قامة الخير « بلذابي الشر » ! ثم أنه ما سحّه حتى خرج من عنده فلماً صار في بلد همدان أظهر الخلاف واجتمعت له بكيل فكانت بينهما حروب كثيرة . . وفي ذلك يقول بعض أرحب .

سَلَبْنَا مِنْ « حِوَالِ » الْمَلِكِ قَسْرًا بَلَطْمَةَ شَيْخِ كَهْلَانِ « الدُّعَامِ »
وانظر تاريخ « اليمن الثقافي » لأحمد شرف الدين ص - ٦١ - جزء - ١ - كما
ان الاستاذ محمود كامل المحامي قد أوجزَ إيجازاً لطيفاً تاريخ دولة يُعْفَرُ الحواليين
في كتابه « اليمن شماله وجنوبه » الذي أصدرته دار بيروت للطباعة والنشر سنة
١٩٦٨ م .

٦ - واذا . . يا قاضي . . فهؤلاء هم . . !

هؤلاء هم « الجواليون » الذين يفتخر القاضي محمد الأكوخ بالانتماء
إليهم ، وكأنه يحسب أن ذلك سيُعْطِيهِ حقاً شرعياً في المطالبة بعرشهم !!
ناسياً - أو متناسياً أننا أولاً مسلمون والحكم في الإسلام كما قال شوقي
رحمه الله .

فالدين يُسرُّ والخلافة بيعةٌ والأمر شورى ، والحقوق قضاءٌ
وثانياً ؛ أننا نعيش في عصرٍ قد تلاشت فيه عنعنات الأنساب وأن قيمة كل
امرئ ما يُحْسِنُهُ ، والشرفُ والرَّفْعَةُ فيه للعالم المخلص والعامل الأمين ؟
وثالثاً ؛ أن أي ذي ذوقٍ سليم ، / أو ضمير حي لا بُدَّ أن يستهجن ويستغرب
أخلاق وسلوك ومعاملة « اليُعْفَرِيِّين » « الجواليين » القساة العتاة ؛ وسيلاحظ
أنهم أطفئوا وأفسسوا أسرة - وبالطبع - والورثة حكمت في تاريخ اليمن المقعم
تاريخه بالمآسي والكوارث والآلام .

وليس هذا هو رأي الآن ؛ بل قد أعربت عما يؤكده قبل أن اطلع على
تخرصات القاضي محمد الأكوخ « الحوالي » في مقدمته لكتاب « قصيدة الدأمة »
التي نتحدث عنها ؛ وقلت في كتابي قصة الأدب في اليمن وقبل عشرين عاماً ؛
وأنا أتحدث حديثاً أدبياً . . لا علاقة له بالمفاخرات والأنساب ولا بالقاضي
الأكوخ ومقدمته . . قلت حينذاك ما يلي ص ٧٣ - ٧٤ « قصة الأدب في اليمن »
الطبعة الأولى : مُسْتَنَدًا إلى الأكليل :

ومحمد بن يعفر « الحوالي » ماله ميلة عنيفة على « التراخم » وقتل أشرفها ، وعفر وجوهها ، وشرّد أهلها ، لأن رجلاً منهم قتل غلامه « طريف » بن « ثابت » أو « التراخم » - كما يقول المؤرخون والنسابون - من أشرف اليمن [التبابعة] ، ويعزّتهم وتعاضمهم تُضرب الأمثال عند اليمنيين ، ويقول الشاعر :

الناس حميرٌ و « التراخم » رأسها وأبوك مقلتها ، وأنت الناظر ولا يزال « اليانوس » حتى اليوم يقولون : فلان « مترخم » أي متعاضم بهي المنظر ، يتعالى على الناس .

وفي رسالة كتبها زعيم « التراخم » سيدها عيسى أبو العباس إلى الأمير محمد ابن يعفر يعاتبه على ما ارتكب معهم - وهو شارف في زبيد [بجوار ابن زياد] :
بسم الله الرحمن الرحيم : يكتب من اعترف بذنبه ، واستلاد برّبه وعلم أن لا ملجأ منه إلا إليه ، فجعله إلى النجاة ذريعة ، ودون بادرته دريعة ، وعلى أنه قد فارق ما جمع ولم يكن فيه عن أمر الله ما امتنع ، وأصبح ما كان فيه بالأمس كسراب بقيعة ؛ يسكن إليه في دهناء نائية المدى ، وما ذاك بملكي ، ولكن ما قدّر نقد ، وما حتم فلا مرجع له ؛ وقد بان الحق لتبجعه ، والباطل لمرتكيه ، وقد كانت هنات ، كذب فيها وصدق ، وزيد فيها ونقص فاستمعت فيها لأقاويل ، وآثرت فيها الأباطيل ، ولم تقف عن الزلل ، ولم تجاوز الخطأ ، ولم تقلّ لعائز : لعا !! حتى قتلت الحرّ بالعبد ، واستحللت العظيم بالترّ ؛ وقطعت ما أمر الله به أن يوصل ؛ رؤيدك ؛ قد بلغت حيث أبلغت ، وحملت مثلكما حملت ، ولكل أجل يكتب ، وإذا أترع الأناء فاض ، ومن يرّ يوماً يربّه ؛ كل حاصد بما زرّع ، وجان بما اغترس ، والسلام . . هذا الخطاب الرائع الذي يفيض عبرة وحكمة ، ويشير كوا من الأسى ، لم يبيح في نفس الأمير « اليعفري » [الحوالي] إلا شعوراً مشوهاً ، وعزة آئمة ؛ وأجاب على هذا الكبير الذي هان ؛ والعزير الذي ذلّ ، . . المعترف بذنبه ، الصادق في قوله ، بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم : وذكرت أنني لك ظالم ؛ فإن يك ذلك كذلك . . فقد قال الله عز وجلّ ، في كتابه المنزل على نبيه المرسل ، « وكذلك

ثُلِيّ بَغْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ « والسَّلام . وإِنَّه لَدَرْكٌ مُظْلَمٌ يَنْدُرُ مِنْ يَتَقَحَّمُهُ بَعْرُورِهِ وَهَوَاهُ مِنْ طُغَاةِ الْبَشَرِ دُونَ مُبَالَاةٍ وَلَا حَيَاءٍ ، وَلَا يَخَافُ أَنْ يَكُونَ ظَالِماً . . وإِنَّه لَيَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ - ثُمَّ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَقُولَ بَأْسٌ مَا يَقْتَرِفُهُ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا تَحْوِيلًا ۱۱ وماتَ « أبو العباس » في « زبيد » ، وقد فقد إِمْرَتَهُ ، وجَاوَرَ قَوْمَهُ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ عَاماً كَمَا فِي الْاَكْلِيلِ لِلْهَمْدَانِيِّ ، وَإِيَّاهُ عَنِ « ابْنِ أَبِي الطَّلْحِ » الشَّاعِرِ بِقَوْلِهِ :

رَأَى « عَيْسَى » مَا لَا يُرَامُ فَامْسَى ثَاوِيّاً بِالْحَصِيبِ ، نَائِي الْمَزَارِ
اجل يا سيدي القاضي « الجوالي » : هل أطمعُ أن تُصغِي وَيَعِي أَضْرَابَكَ -
وَنُدْعِيْ مَعاً ؛ لِكَلِمَةِ الْحَقِّ ، وَمَنْطِقِ التَّارِيخِ ، وَتَسْمُوعِ « الْمَهَاتِرَاتِ »
و « التَّعْصِبَاتِ » و « الطَّائِفَةِ الشُّوْهَاءِ ؟

هَلْ فِي الْإِمْكَانِ أَنْ تَتَرَفَّعَ عَنْ « الْكِرَاهِيَّةِ » لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَذَرِيَّتِهِ
دُونَمَا سَبَبٍ فَقَطْ لِأَنَّهُ هُوَ ؛ وَلَأَنَّهُمْ وَدُونَمَا اخْتِيَارَ يَتَمَوَّنُونَ إِلَيْهِ ؟ إِنَّ هَذَا - وَاللَّهِ
كَثِيرٌ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مِنَ الْعُلَمَاءِ . ۱ وَأَنْتِي أَرْجُو اللَّهَ مُخْلِصاً أَنْ يُبَصِّرَنَا جَمِيعاً سِوَاهُ
السَّبِيلِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ .

وأخيراً - ورغم كل ما ذكرتُ - مِنْ رَوَايَاتٍ وَأَفْكَارٍ وَأَرَاءٍ . . أقول ؛ أَنَّهُ رَبَّمَا
قَدْ وَجَدَ مِنْ تَعَمُّدِ الْكَذِبِ وَاتِّهَمَ « الْهَمْدَانِي » بِأَنَّهُ قَدْ هَجَا « الرَّسُولَ ﷺ » وَإِنَّه
قَدْ أَبْلَغَ الْوَشَايَةَ إِلَى « الْإِمَامِ النَّاصِرِ » صَدِيقِ « الْهَمْدَانِي » « الزَّيْدِي » . .
فَتَأَثَّرَ بِتِلْكَ الْوَشَايَةِ وَنَاقَشَهُ أَوْ تَوَعَّدَهُ بِصَعْدَةِ أَوْ أَمْرِ أَعْدَاءِهِ وَمَنَافَسِيهِ - أَوْ
أَصْدِقَاءِهِ كَمَا قَالَ « الْأَكْوَعُ » أَنْ يَسْجَنُوهُ . ۱ لَا أَسْتَبْعِدُ ذَلِكَ فَكُلَّ بَنِي آدَمَ
خَطَاؤُونَ ؛ وَلَئِنِّي أَذْكَرُ ؛ أَنِّي قَدْ قَرَأْتُ يَوْمَ مَا فِي كِتَابِ « مَطْلَعِ الْبَدُورِ » لابْنَ
أَبِي الرِّجَالِ أَنَّ « الْهَمْدَانِي » قَدْ سَجَنَهُ « النَّاصِرُ » ثُمَّ أَطْلَقَهُ فَرَحَلَ إِلَى
« صِنْعَاءِ » فَزَجَّ بِهِ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي يُعْفَرٍ فِي ظِلْمَاتِ السَّجَنِ وَبَقِيَ فِيهِ حَتَّى
مَاتَ . . ۱ هَذَا مَا أَذْكَرُ . . أَنِّي قَدْ قَرَأْتُهُ يَوْمَ مَا ! وَلَيْسَ لَدَيَّ أَيُّ مُصَدِّرٍ أَسْتِنِدُ
إِلَيْهِ ، فَاصْبَحَ ذِكْرِيَّاتِي . . وَلَكِنْ كُلَّمَا اسْتَطِيعَ أَنْ أُوَكِّدَهُ الْآنَ . . هُوَ مَا سَبَقَ
أَنْ أَشْرْتُ إِلَيْهِ ؛ مِنْ أَنْ حَيَاةَ « الْهَمْدَانِي » يَجِبُ أَنْ تُدْرَسَ مِنْ جَدِيدٍ دِرَاسَةً
عِلْمِيَّةً ، وَأَنْ تُكْتَبَ ، الْمَطْبُوعُ مِنْهَا وَالْمَخْطُوطُ ، وَالْمَقْشُودُ ؛ يَجِبُ أَنْ يُعْنَى بِهَا

عناية خاصة وجديّة! وكما ذكرتُ آنفاً بأنّ وأنّ..! والتكرار مُملٌ ومكروه! وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر .

ومع « الهادي الوزير » ؟

يقول القاضي الأكوخ في مقدّمته ص - ٦ - « وقد عارض «الأسلمي أحد أولئك الذين لا يراعون الجميل وهو ملآن من العُقد النفسية ألا وهو الهادي بن إبراهيم الوزير وأول قصيدته

فمخارنا برسُولِ الله يكفيننا عَنْ كُلِّ فخرٍ وإنّ الأنبياء فينا
أما أن الهادي الوزير قد عارض « الأسلمي » فنعم ؛ وقد ذكرتُ ذلك في « قصة الأدب في اليمن » ص - ١٤٢ - ١٤٣ - وقلتُ وجاء السيّد العالم الجليل الهادي الوزير المتوفى سنة ٨٢٢ هـ - ١٤٢٠ م فناتض « الأسلمي » بقصيدة عدّد أبياتها مائة وسبعون بيتاً « أولها فخائرنا برسُولِ الله يكفيننا » الخ وسماها « دَامِغَةُ دَامِغَةِ الدَّامِغَةِ وهي من النظم العلميّ الذي لا يرقى إلى نفس الأسلمي وإن كانت حجبُها الدينيّة لها قيمتها . . والدوامغ الثلاث مجموعة في مخطوط يمني بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٧٠٩ أدب » .

ولكن هل كان من اللياقة أو اللباقة العلميّة أن يقول الأخ القاضي الأكوخ عن ذلك العالم ما قال : « لا يراعى الجميل » ؟ ملآن بالعقد الخ مع أنّه من أكابر علماء وشُعراء اليمن وقد ترجم له شيخ الإسلام العلامة القاضي محمّد الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع جزء ٢ - ص ٣١٦ - ٣١٧ - وذكر فضله ومناقبه ، ومشايخه ، ورحلته إلى «مكة» لسماع الحديث ، وعدّد بعض مؤلفاته ثم قال : وبالجُملة فهو من أكابر علماء الزيدية ، وله نظمٌ في غاية الحُسْن ، وبينه وبين علماء عصره مُراسلات ومكاتبات ومُشاعرات ، واشتهر ذكره «وطار صيته» إلى أن يقول : « وقد ترجمه « السخاوي في الضوء اللامع » فقال : ذكره شيخنا في أنبائه يعني الحافظ بن حجر فقال عني بالأدب ففاق فيه » ومات يوم عرفة سنة ٨٢٢ هـ الخ .

ومع الامام المطهر بن شرف الدين !

أما ما لا أستطيعُ له وصفاً ولا تبييناً فهو ما قاله في ص - ٦٢ - بعد أن قال :

هذا ما وصلنا من المناقضات و« الدوامغ » مُسلسلة على « التوالي » إلى آخر ما تفوه به من عبارات . . ثم قال : غير أن مُطهر بن علي بن يحيى الأرياني « اليَحْصِي » لَمْحَ في مقدمة قصيدته « المجد والألم » المجاب بها على أحمد ابن محمد الشامي ؛ أن مُطهر بن يحيى شرف الدين الطاغية المشهور ، والسفاح المبير ، والمبيح ، ولَغَ في إجانة الوباء مَعَ الوالغين (هكذا) وأنشأ قصيدة يفخر بآل البيت المطهرين السخا إلى أن يقول ص ٦٣ - « وأوّل هذه القصيدة التي للهِ غية عَقَق »^(١)

أَلَا لَا فَخْرَانُ فِي الْبَحْرِ خُضْنَا فَطَوَعْنَا الْأُولَى رَكَبُوا السَّفِينَا يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ ، وَلِضِيعَةِ الْحَسَبِ ، مِنْ هَذَا الطَّاغِيَةِ السَّفَاحِ ، وَكُفْرَانِهِ لِنِعْمَاءِ السَّادَةِ الَّذِينَ آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ وَغَيْرَهَا هُوَ وَأَمَثَالُهُ وَأَنْقَذُوهُ مِنْ هَوَّةِ الْمَهَالِكِ ، وَخَاضُوا مَعَهُ غَمَارَ الْمَوْتِ ضَيْدَ الْأَثَرِكَ مَرَاراً وَتَكَرَّراً ، حَتَّى إِذَا مَا أَمِنَ جِلْدُهُ انْتَفَخَ وَرِيدُهُ وَانْقَلَبَ نَاعِقاً نَاقِماً عَلَى مَوَالِيهِ يَرْتَعُ فِي لَحْوِيهِمْ ، وَيَنْهَشُ فِي كِرَامَتِهِمْ وَيَرْمِيهِمْ بِكُلِّ غَضَبِهِ ، وَبِالْكُفْرَانِ وَالنِّفَاقِ ؛ فَأَيُّهُمَا بَرَبُّكَ أَكْفَرَ لِلنَّعَمِ ، وَأَعْظَمَ نَكَرَاناً لِلْجَمِيلِ ؟ أَلَا لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمَ !!

وليس هذا فقط بل إن « القاضي » « الناقد » وَبَعْدَ أَنْ كَالَ كُلُّ هَذِهِ الشُّتَائِمِ ، يُقَرِّرُ أَنَّ الْقَصِيدَةَ الَّتِي أورد منها بيتاً . اوزعم أن الشاعر الأديب مُطهر الأرياني قد قال أنها للملك المطهر بن الإمام شرف الدين - وهُم أسرة مشهورة بالشعر مثل أسرة « الأرياني » نعم لقد قال القاضي « الأكوع » واعتقد أن القصيدة المذكورة ليست للطاغية المذكور . « فَإِنَّهُ كَانَ فِدْماً مَعْتَمِماً ، وَبَلِيداً مَفْحِماً . . ! » هكذا ؟ والفهم : العبي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم كما في « المنجد » وهو أيضاً الأحق الغليظ الدم . والمفحم العبي أيضاً ! ولو أن « القاضي » هدانا الله وإياه قد اكتفى بنفي نسبة القصيدة عنه لما اضطر إلى تلك الشتائم ؛ ولو أنه قد قال عن « المطهر » أنه كان غشوماً جبّاراً سفاحاً لكان

(١) عَقَقَ : لفظاً صنعتانية عامية يطلقونها على الرجل العاق العاصي لوالديه فهي من العقوق . وإذا كان المطهر قد اختلف سياسياً مع والده الإمام شرف الدين ولكنه لم يتلّه بأذى ؛ فما هي اللفظة المناسبة التي يمكن أن نصف بها الأمير ابراهيم اليمفري الموالي الذي قتل أباه وعمه وعمته ؟ سؤال إلى القاضي - المؤلف !

أيضاً معذوراً ، فقد ذكر ذلك عنه غيره . . بالنسبة لفتكاته « بالأتراك »
والعصاة ، وقطاع الطرق وقد رَووا أنَّ الامام شرف الدين والده وهو العالم
الشاعر العظيم ، قال مرّة وقد بلغه ما صنع إنَّه المطهر بالذين أحرقوا « باب
صنعاء » اللهم اني أبرؤ اليك ممّا صنع المطهر ؟ أمّا أن يقول عن ذلك
العملاق أنه كان فذماً بليداً فذلك ما لا يُقرّه ذوق ولا عقل ، ولا تاريخ . ! وقد
قالوا عنه انه كان مستظهِراً للقرآن مُحِبّاً للشعر والشعراء ، وأنَّ أحد أصحابه
حين عرف أن أخاه شمس الدين يريد أن يلقي عليه القبض ، وهو في
« المسجد » يستمع خطبة « الجمعة » بعث إليه بورقة لَيْسَ فيها إلا : « إنَّ »
فقط ؟ فعرف المطهر بحديثه ، وجلّد ذكائه أن صديقه يريد تحذيره وأنّه قصّد
الآية « إنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ فَاخْرُجْ » فدبّر تخلصه في قصّة مشهورة . . ومثل
هذا الرّجل لا يجوز أن يُوصَف بالفدامة والبلادة . . وهذا شيخ الإسلام العلامة
« الشوكاني » يقول عنه في « البدر الطالع » الجزء الثاني - ص ٣٠٩ ما نصّه :
« الأمير الكبير ملك اليمن وابن أئمتها المشهور بالشجاعة والحزم والسياسة
والكياسة والرئاسة ، وكان من أعظم الأمراء مع والده الإمام ، وكان قد حلّت
هيئته قلوب أهل اليمن قاطبة ، وقلوب من يرُدُّ إليها من الأتراك
والجراكسة » ، ثم قال بعد أن ذكر ما دار بينه وبين والده وأخيه من خلاف في
الرأي وأشار إلى معاركه مع « سنان باشا » ما يلي : وبالجملة فصاحب
الترجمة من أكابر الملوك ، وأعظم السلاطين بالديار اليمنية ، وله ما جريات
في الشجاعة ، وحسن السياسة وجودة الرأي ، وسفك الدماء ما لم يتفق إلا
للنادر من الملوك الأكابر وتوفي سنة ٩٨٠ هـ - ١٥٧٣ م .

فقل لي بربك هل يجوز أن يقول من لديه ذرة من إدراك عن مثل ذلك الباقعة
الشجاع القائد المحنك ، الذي أدهش ببطوليته وخططه العسكرية « سنان
باشا » وفطاحل قواد الأتراك الذين كانت سنانك وحوافر خيولهم تدوس
حينذاك « أوروبا » ؟ : أنه كان . . « فذماً معتماً بليداً مفعماً » إنها والله
لكبيرة . . ومن مثل القاضي « المعتم » أيضاً ولكنّه العالم البهّاء ، والحق
يقال .. ! ويستطيع المهتم بتاريخ اليمن - وبالأدب والشعر خصوصاً - أن يميّز بين

طريقة البحث والدراسة ، ووضع الألفاظ والصفات في مواضعها ، وبين تشايعب التخريض ، والتحامل والدعاوى الفارغة ، من أي مدلول أدبي ويقارن بينها وما نقلناه عن شيخ الإسلام الشوكاني ، وما تفوه به الأخ الفاضل القاضي محمد الأكوخ ، عن الملك الجبار المطهر بن شرف الدين ؛ وما قاله عنه الدكتور عبد العزيز المقالح . . . فالقاضي العالم لابس « الجوخ » و « العمامة » كما كان « المطهر » والله أعلم . أو كما كان الملوكة « الجوالون » الجبابرة السقاحون الذين قتلوا حتى آباءهم وأولادهم . وأعمامهم ، وأخوالهم ، كما قال المؤرخون كل المؤرخين - والله أعلم - ! هذا القاضي محمد الأكوخ الذي كان يوماً ما حاكماً شرعياً ، ويوماً ما خراساً ، وأياماً مكافحاً ومسجوناً أيام الإمام أحمد والإمام يحيى حميد الدين ، والذي لا يكاد يفوته حضور أي « مؤتمر إسلامي » حتى ولو كان في الصين والذي يلوم من يسكنون في « دار الكفر » ولو كانوا أمثال « جمال الدين الأفغاني » و « محمد عبدة » .

هذا الأستاذ القاضي محمد الأكوخ يقول عن الإمام « المطهر ابن شرف الدين » أنه « فذمّ معتم بليد » بينما قال عنه الإمام المؤرخ « الشوكاني » ما نقلناه ، واصغّر معي إلى ما يقوله الشاعر المعاصر الأديب الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح ، عن الملك « المطهر بن شرف الدين » في كتابه القيم « شعر العامية في اليمن » بعد أن تحدث عن شاعر الحب والجمال محمد بن عبد الله شرف الدين وعن « الهوى » و « الدونجوانية » و « التجربة » ! وقصة الشاعر في قصيدته المشهورة « صَادَتْ فُؤَادِي بِالْعَيْنِ الْمَلَأْ » وأنها كانت في الشريفة « حورية » زوجة « عمّه » المطهر الملك الجبار ؛ وعن « إقتراح » منه على ابن أخيه الشاعر الغزل يقول الدكتور المقالح : « إنه إمام غزل ، غير مُتَزَمَت ذلك الذي يطلب إلى الشاعر أن ينظم قصيدة غزلية في زوجته » الخ هكذا يا قاضي محمد يضع المؤرخون والنقاد ألفاظهم في مواضعها مهما كانت أهواؤهم أو ميولهم دونما تهريج .

وهل تذكر الكلمة التي تُروى أو تُسند إلى الإمام عليّ كرم الله وجهه حين سألته

سائل : من أشعر شعراء العرب ؟ فقال : أن القوم لم يجروا في حلبة واحدة ! ولكن . . إن كان ولا بدّ « فالملك الضليل » . . أو كما قال وحين سألّه مُتَعَنّت ما هُوَ نصف العلم ؟- وكان يخطب- فقال : « السّؤال » . فأمعن المتعنّت وقال : وما هُوَ النّصف الثاني ؟ فقال « الامام » أن تقول لا أدري !! أو كما قال : واستمر في خطبته .
وأخيراً . . دامغة الدوامغ . .

وإن كان حقّ الدفاع عن النّفس مشروعاً . . فلن أحاول مُجاراة الأخ العلامة القاضي محمد الأكوغ سامحه الله فاكيل له الشتائم صاعاً بصاع . لا لأنني قد أصغيتُ لصوت الشّاعر القديم « لوكلّ . . الخ » بل سأقول ، وبعد أن أورد « نصّ » شتائمه التي تفوّه بها عليّ : « غفر الله له » . . وإذا كان لن يُحاسب إلاّ على ما قاله في « الشّامي » و« دامغة الدوامغ » فسامحه الله .

حسبي أنّني قد دافعتُ عن اللّغة ، والتّاريخ وعن العلماء والشّعراء ، وبيّنتُ تحاملٌ وتفاهات القاضي الأكوغ فيما سبق من الصّفحات ، وأوضحتُ تجنيّه العند العتيد على « أهل البيت » لأنهم من أبناء الصّديقة فاطمة الزّهراء ، وأخ الرسول . . « الإمام عليّ » وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وهم بإجماع الأمة - مع الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلّم « الخمسة أهل الكساء » الذين قال فيهم الإمام الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض على الناس في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفضل أنكم من لم يصل عليكم ؛ لا صلاة له
قال القاضي الأكوغ سامحه الله بعد تمهيد لا طائل تحته : ص ٦٥-٦٦ :
« إذ بأحمد بن محمد الشامي ؛ وقد استولى عليه اليأس والقنوط هو وأسيادُه
شرقيون وغربيون يُرسل سهماً صارداً من حماقته وجفده من وراء الحدود ،
وهو مطرود مشردّ ليزيد النار اشتعالاً ، والفِتنة إلتهاباً متجاهلاً قول رسول الله
ﷺ « الفِتنة نائمة لعن الله من أيقظها » ليعيدها جذعة ويجرب بها عضلاته
(هكذا)

وفي شهر رمضان المكرم سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م أفرز لعابهُ ؛ وسلّ سخيمته

بقصيدته التي سمّاها « دماغه الدوامغ » وإنما دمعَ بها نفسه ، ومن احتطب الأشواك في جبلهم ؛ وأذيعت من محطة الاذاعة السعودية (لم يحدث ذلك) ثم نشرها وأولها :

أتمضي في طريق الأولينا فتمدح تارة وتذم حيناً ؟
ومن العجب أنه وقع في مزلق حرج بمارمى به الناس فقد مدح الإمام « أحمد »
وذمه وتآمر عليه ثم مدحه كمثل الذين آمنوا ثم كفروا الخ ، وبائع الانجليز ،
وأمریکا وأين يعيش اليوم إنه يعيش في « دار الكفر » ؟

وقد تصدّى للردّ عليه - وبالحري صفعه - مطهر بن علي بن يحيى الأرياني
الخصمي بقصيدته المشهورة « المجد والألم » وعددها ثلاث مائة بيت وبضع
عشر بيتاً وأذيعت من محطة إذاعة الجمهورية العربية اليمنية عدة مرّات
وطُبعت ونُشرت مرّات كثيرة وملأت السهل والجبل ، وحفظها عن ظهر قلب البدو
والحضر والنساء والأطفال وأولها :

أيا وطني جعلتُ هواك ديناً وعشتُ على شعائره أmina
على أنه لا حاجة بنا إلى مناقشة القصيدتين والمقارنة بينهما فالكتاب يُعرف من
عنوانه ، فالشامي كما هي عادتهم وسلاحهم وفي طبائعهم السبابُ والشتائم
للشعب اليمني الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوفٍ قديماً وحديثاً ومُطهر
الأرياني كما هو سيرة سلفنا^(١) الصالح صَوْنُ اللسان ونظافة الكلام وطهارة
القلب ، والبعد عن البذاءة والفحش ؛ فهو قد مجّد اليمن وأبطاله وعدّد مآثره
ومفاخره إلى أن يقول ص - ٦٧ - وإلى هنا انتهت جولتنا حول العصبية
واشتقاقها وتشعبها وتسلسلها ومراحلها تاريخياً ؛ وانتهائها كما بدأت من
« العلويين » الذين لا يمكن تسميتهم بما أخبر القرآن عنهم « إنما المؤمنون
إخوة » بل تُسميهم دعاة تفرقة [حسبك الله] وبأسم الأناثية والعقد النفسية ،
وحسابهم على الله لعدم عرفانهم بجميل الانسان اليمني الذي يكرم الغريب

(١) لا أدري ما استمي ضمير الجمع في « سلفنا » لأنه يتحدّث عن مطهر الأرياني الشاهر وسلفه آل الأرياني
الاعلام الشعراء فما دخل « نا » هنا ؟ انها تشبه قصة الأرنب مع الثعلب التي رواها مصطفى الراعي في تحت
راية القرآن : ما أمره حمارك ؟ ثم « حمارنا » يُراجع القصة من لا يعلمها - المؤلف .

كما يكرم القريب ولا حتى « بالأم » اليمن الذين يعيشون على ظهرها ويأكلون من خيراتها وتنبت جلودهم من ترابها وزرعها وضرعها!

هذا ما قاله الأستاذ المحقق القاضي محمد الأكوخ سامحه الله ولو كُلفت نفسي مجاراته لأرضيتها ، وأرضيتُ مُعظم أهل اليمن لكنني سأصغي لصوت الشاعر القديم أولاً . ! بل وأقول عفى الله عنه - بالنسبة لي شخصياً - وثانياً فإن جريدة « الثورة » ما كادت تنشر سلسلة مقالاتي حول « جناية الأكوخ على ذخائر الهمداني » حتى توالى إليّ الرسائل من « صنعاء » و « دمشق » والكويت وجدة ؛ بعضها يشجع ويستنفر ويحرض ويستزيد ؛ وبعضها يوصي بالحكمة والمضي في تنفيذ الأغلاط دون أن أسمع لقلمي بما يمارسه أحياناً من سخرية ! وآخرون يقولون أن كلامه لا يستحق الإهتمام . . إذ ليس له قيمة لا في اليمن ولا غيرها شأن كل كُتبه ؛ وأن كتابتي عنه ستكون تنويعاً . ! وقد تأثرت ببعض هذه الرسائل ؛ « ولا سيما » الواردة من الأخ العلامة القاضي عبد الرحمن الإرياني « رئيس المجلس الجمهوري سابقاً » والأخ الأديب الشاعر أحمد المعلمي ، والأخ المجاهد العلامة إبراهيم بن علي الوزير والقاضي الأديب حسين بن عبد الله العمري . وقد ذكرني الأخ القاضي عبد الرحمن الإرياني بالحديث الشريف « من اتقى الله لم يُشفِ غيظه » فأثلج صدري ؛ وقال أنه قد عاتب القاضي « الأكوخ » على ما صدر منه وأنه نفسه قد ندم ودار بيني وبينه نقاش أدبي حول الموضوع . ! وعليه فقد أخبرت إرسال بقية المقالات الى جريدة « الثورة » بل ومزقتُ كلما كان القلم قد نفث به غيظاً وحنقاً ودفاعاً ، وعدلتُ بعض العبارات والألفاظ التي - على كل حال - كانت ألطف وأرق من عبارات وألفاظ الأخ القاضي « الفاضل » التي تفيضُ كلها شتماً ، وقذفاً ، وتحاملاً ، على الكثير من علماء وشعراء اليمن ، وعلى من ينتسبون إلى الامام علي كرم الله وجهه كما أوضحنا في الفصول السابقة ؛ ولم أبق إلا على ما فيه الدفاع عن اللغة والتاريخ وأعراض وسمعة من تعدى عليهم وثلبهم من فضلاء اليمن . وحسبي ذلك . . ولعل أولئك الأبرار سيكتفون بهذا جزاءاً ويغمرون « القاضي » بالعفو حين يُجاثونه يوم

الحساب . . ١١١ غير أني - وقد عفوتُ عنه - أودّ أن أسأله سؤالين أو ثلاثة وبكلّ رفقٍ ولين ؛

أولاً : من همّ الذين شتموا اليمن واليمنيين من أسلافي ؟ هلّ والدي « عامل الضالع » محمد بن محمد الشامي ؟ رحمه الله . أم أبوه « جدّي » محمّد بن أحمد الشامي عامل شهارة والذي كان من قوَاد حرب التحرير ؛ ورغم تولّيه أكبر المناصب فقد عاشَ زاهداً وماتَ لا يملك شيئاً . . ! ؟

أم جدّه الشاعر المشهور « محمّد بن هاشم الشامي » الذي قال فيه العلامة المؤرخ السيد محمد « زبارة » في « نشر العرف » وقبله شيخ الإسلام القاضي محمد الشوكاني في « البدر الطالع » ما قالاه من تمجيد وتكريم وثناء ؟

أم أنّ الذي ثلب اليمن و « اليمنيين » هو أبوه جدّي السّابع السيد العلامة المجتهد ، والشاعر الكبير « هاشم بن يحيى الشامي » صاحب « نجوم الانظار » ولطائف الأشعار واستاذ البدر المنير السيّد محمد بن اسماعيل الأمير ؟ .

أم جدّه الإمام المحسن بن محفوظ أكبر علماء عصره في القرن السّابع الهجري كما يقول المؤرخون ؟ . .

أم هو « المختار » بن الهادي ؟ أم هو « الهادي » أم « الحسن المثني » ؟ أم « الحسن » السّبط ! أم أبوه « الامام علي ابن أبي طالب » كرم الله وجهه ؟ والذي يُقال أنه قال :

ولو كنتُ بواباً على بابِ جنّةٍ لقلْتُ لِمَ دُانَ ادْخُلُوا بِسَلام . !
هؤلاء همّ أسلافي . . يا سيّدي القاضي ! ولو شئتُ لقلْتُ ما قال « الفَرزدق » « لجري » . . ! ولكن لا . . . وكلاً . . . لأنّي أؤمن بما أكدّته في قصيدتي « دامغة الدّوامخ » من أن التفاخر بالأباء : « الجوالي » ، أو « الحويري » ، أو « الهاشمي » أو « اليحصبي » ليس له قيمة عند الله . ولا عند البشر . . وذلك حين قلت :

أَمْضِي؟ أَمْ سَبِيلَكَ مُسْتَقِلٌّ
سَبِيلَ مُحَمَّدٍ، وَهُدًى «عَلِيٌّ»
فَلَا مَجْدٌ لِمُقْتَرَفٍ فَسُوقاً
وَلَا لِلظَّالِمِينَ، وَإِنْ أَشَادُوا
أَبُولَهَبٍ، وَ«عَبْهَلَةَ» وَ«عَمْرُو»
وَ«سَلْمَانَ» وَ«عِمَارَ» وَ«زَيْدَ»؛
خَذَوْهَا شِرْعَةً لِلْمَخْلُوقِ؛ نَادَى
يَمُوتُ لِأَجْلِهَا الْأَحْرَارُ دُومًا،
«حُسَيْنٌ» لَيْسَ أَكْرَمَ مِنْ «يَزِيدٍ»
هِيَ التَّقْوَى؛ يَعِزُّ بِهَا ذُؤُوهَا،
أَلَمْ تَقْرَأْ هَذَا يَا قَاضِي مُحَمَّدٍ فِي «دَامِغَةِ الدَّوَامِغِ» الَّتِي تَهَجَّمَتْ عَلَيْهَا،
وَعَلَى صَاحِبِهَا بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنْفَاءً؟

هَلْ فِي هَذَا الْبَيَانِ مَا يَخَالِفُ مَا أَوْصَانَا بِهِ الْقُرْآنُ؟ وَالسُّؤَالُ الثَّانِي - إِنْ
كَنتَ قَدْ قَرَأْتَ قَصِيدَتِي «دَامِغَةُ الدَّوَامِغِ» فَمَا هِيَ الْأَبْيَاتُ الَّتِي شَتَمْتُ بِهَا
وَطَنِي الْعَزِيزَ الْيَمَنَ؟؟
أَنْتَنِي لَا أُرِيدُ أَنْ أَجَارِيكَ فِي الْبَذَاءِ فَأَقُولُ وَأَقُولُ . . لِأَنَّنِي قَدْ عَفَوْتُ
عَنْكَ! وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ هَلْ تَعْتَبِرُ قَوْلِي: فِي الْقَصِيدَةِ مَدْحًا لِلْيَمَنِ وَقَبَائِلَهَا أَمْ
قَدْحًا؟

جَحَافِلُ آلِ «عُثْمَانَ» أَبَادُوا
وَهَا هُمْ فِي الْجِبَالِ وَفِي الْبَرَارِي
وَحَوْلَهُمُ الْبَوَاسِلُ مِنْ «بَكِيلٍ»
وَمَنْ فِي الْخَيْرِ، لَا يَخْشَوْنَ شَرًّا!
«يَعِينُونَ الْمَوَالِدَ وَالْمَنَائِيَا»
وَلَوْ وَجَدُوا إِلَى نَجْمٍ سِرَاطًا
وَتِلْكَ سَجِيَّةُ الْأَبَاءِ مِنْهُمْ
إِذَا دَيْسَ الْعَرِينُ مَضُوءًا غَضَابًا

وَاللَّاقِبَاتُ قَدْ ثَبَتُوا سِنِينَ
جِهَادًا . . يَسْتَطِيعُونَ الْمَنُونَا!
وَأَنْصَارُ الدُّعَاةِ الْمَخْلَصِينَ
وَفِي الْأَلْوَاءِ لَا يَتَأَخَّرُونَا!
وَيَبْنُونَ الْحَيَاةَ وَيَهْدُمُونَا؛
لَطَارُوا نَحْوَهُ مُسْتَبْسِلِينَ
وَقَدْ ظَلَمُوا لَهَا مُتَوَارِثِينَ
لِيَصْطَلِمُوا الَّذِي دَاسَ الْعَرِينَا

إذا قالوا : « بكيل » حنث رؤسٌ ' وَخَرَّ لها الجبابرُ ساجدين
بنفسي ، والأب الغالي ، ونجلي ، ومالي ، أفندي « المتبكلينا » !
هل في هذا شيء من « الحماقة والحقد » و « إفراز اللعاب » و « السباب
والشتائم للشعب اليمني » حَسَبَ تعابيرك ؟ أم هو الثناء والتمجيد والاحترام ،
وفي فترة من أصعب فترات تاريخ العرب !! وهل كنتُ حينَ قلتُ في نفس
القصيدة :

« بكيلٌ » والأشاوسُ من بنيتها ، و « حاشدٌ » بالرجالِ المخلصينا
و « مذحج » بالحشود إذا استثيرت و « عكٌ » بالجنود مُدججينا
لكُم من أرضكم حصن حصين إذا كنتم جميعاً . . . صادقين
فكونوا إخوةً في الله حقاً ولا تقفوا طريق المُلحدينا. الخ
هل كنتُ أمدح قومي جميعاً وأنصحهم أم ماذا ؟؟ ولست في حاجةٍ إلى
تذكير « القاضي » بما قلته في دواويني المتعددة من قصائد في تمجيد اليمن
وتاريخها ، و « صنعاء » وخصائصها والحنين إليها ، وحبِّي لها وترابها ،
وأبنائها . . وكل ذلك مبثوثٌ في دواويني المتعددة ومن آخر ما قلته في ديوان
« بنات الخمسين » ونشرته جريدة « الثورة » ومجلة « الشعر » المصرية ،
و « الإخاء » الإيرانية ، قصيدتي « حذاء بلا قافلة » وقد نشرتها أيضاً الصحف
السعودية ، وفيها :

من رسولي إلى سفوح « أزال » حيث أنسي وحيث أصحّابُ أنسي
حيثما افتَرَ ثغرُ حبي فتياً وشبابي نما ، وأخصبَ حسي
حيث كانت عرائسُ الشعر تروي لغرامي أشواق « ليلي » و « قيس »
عطّرت « بالرقى » ترانيم روعي فسَرتُ كالعبير في ليل عرس
تمسحُ « الدمع » من جفون العذارى ، وتُداري الأمهن وتُنسى
إلى أن أقول مُغرقاً ومُبالغاً . . مادحاً لا قادحاً :

قف على قمة الزمان « بصرواح » وسجل ميلاد أول أنسي
قبل أن تغطس الحياة على « النسل » وتحبو على جبال « البرنس »
أرضنا للفنون مهدٌ ؛ عليها شعشتُ للجمال أول شمس
رَقَصَتْ في « غمدان » بكرأ وغنتُ ، ثيباً في قصور « كسرى » و « رمس »

وطني أنتَ في الغياهب نبراسي وفي وحشة المفاوز أنسي،
 أنتَ إن أجذبَت حياتي رحيقي ونشيدي، وأنتَ دُني ، وكأسي
 في ثراك الطهور قد زرعَ الشعرُ حياتي وأنبَت الحُبَّ غرسي
 يا بلادي ؛ وقيت من كل شرٍّ وعدتك الخطوبُ من كل جنس
 إلى آخرها . ومن آخر ما قلته وأنا أبكي « أمي » رجمها الله في قصيدة
 « نونية » على وزن وروي قصائد « الأسلمي » و « الوزير » والشعراء الذين
 تحدث عنهم « القاضي » الأكويع في مقدمته وأولاهها .

قفروا على القبر نذري من مآقينا لآلىء الدمع إكراماً لماضينا
 قلتُ في اليمن وشعرائها في هذه النونية :

يا شاري البرق من غربي «أزال» وقد سجا الظلام حناناً بالمحينا ؛
 إذا تنسّمت سراً بعد ما هجعوا فلا تُذرعه على غير «الموالينا» !
 لم تبتعد عن قلبي ؛ لكن مُراغمةً ! والله يعلم يوم « البين » ماشينا
 تلك الأباطيل والأسمار ما فتئت تمشي أريج الأماني في نوادينا
 وما انتشى هائم منّا بلحن هوى إلا إذا كان من شعر «اليமானينا»
 ونحن قوم إذا غنى مُتيمهم بالشعر جوده لفظاً وتلحيناً . !
 في سفح « دمون » غنى ذو القروح على لحن الجراح .. بأبناء المصابينا
 وقال بين غبا يومي وصحو غدي خمر وأمر ، فصاح الشار آمينا
 وناح « وضاح » مُشتاقاً لروضته ، لما ثوى في دجى «الصدق» مذبونا !
 ما كان آخر لحن في حشاشته ترى ؟ أم الموت يأتي ليس موزونا !
 لا «سين» لا «قاف» لا «ميمات» نعرفها إذا دهانا ولا «راء» ولا «نونا»
 و«الغالي» و«بن عباد» و«عمرو» ومن مع الزبيري» بكى هيمان مجنوناً !
 وسل إذا شئت «عنسا» أو «فسل» «عدنا» وسل «ذمار» وسل «صنعا» و«دمونا»
 وسل «شهارة» أو «إريان» أو «شرفاً» أو سفح «حضران» أو فاسأل «بردونا»
 وسل وسل ؛ لا تسَل في كل مُنعطفٍ من أرضنا شاعرٌ يشدو فيشجينا
 لولا القوافي لما كانت لنا «يمن» من دون كل بلاد الله تُصبينا !
 وما انتشى هائم منّا بلحن هوى إلا إذا كان من شعر «اليமானينا»

لو كَانَ لِلدَّمْعِ نَهْرٌ كَانَ « خاردنا » أو كَانَ لِلشَّعْرِ وَادٍ كَانَ وادينا
 فَهَلْ هَذَا شَعْرٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ كَمَا هِيَ عَادَةٌ أَسْلَافِهِ السَّبَابِ وَالشَّتَائِمِ لِلشَّعْبِ
 الْيَمَنِيِّ « ٩٩؟ كَمَا قُلْتُ « يَا قَاضِي » ١٩ أَمْ هِيَ الْعَاطِفَةُ الثَّرَّةُ ، وَالْحُبُّ
 الْخَالِصُ ، وَالشُّوقُ وَالْحَنِينُ ؟ . وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ ، وَقُلْتُ . . وَلَعَلَّ فِي
 الْبَيْتِ : « لَمْ تَبْتَغِدْ عَنْ قِلَا » الْخَيْرِ جَوَابَ عَلَى قَوْلِكَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ
 الْكَبِيرُ ! أَنَّنِي أَعِيشُ فِي « دَارِ الْكُفْرِ » ، وَتَعْيِيرُكَ لِي « بِالتَّشْرُدِ » سَيُضْحِكُ
 الْعُلَمَاءُ . . إِذْ لَمْ أَكُنْ الْأَوَّلُ ، وَلَنْ أَكُونَ الْآخِرُ ، وَلَقَدْ تَشْرَدَ « إِبْرَاهِيمُ »
 وَ« مُوسَى » وَ« مُحَمَّدٌ » عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَهَاجَرَ « جَعْفَرُ » الطَّيَّارُ
 وَأَصْحَابُ الرِّسُولِ إِلَى « الْحَبَشَةِ » وَلَوْ شِئْتُ لَذَكَرْتُ جَمَالَ الدِّينِ وَمُحَمَّدَ عَبْدَهُ
 وَفُلَانًا وَفُلَانًا وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ « السِّيَاسَةِ » الَّتِي نَفَضْتُ يَدِي
 عَنْهَا رَاضِيًا مُرْتَاحًا . . وَلِسَانُ الْحَالِ يَنْشُدُ قَوْلَ « الْخَطِيبِ » :

مِنْ مُبْلَغِ الْقَوْمِ شَطَطُ دَارِهِمْ وَنَاتٍ أَنِّي رَجَعْتُ إِلَى كِتَابِي وَأُورَاقِي
 عَفْتُ « السِّيَاسَةَ » حَتَّى مَا أَلَمَ بِهَا ، وَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهَا كُلَّ مِيثَاقٍ
 لِأَنَّهَا جَشَمَتْنِي كُلَّ نَائِيَةٍ ، وَأَنَّهَُا كَلَفَتْنِي غَيْرَ أَخْلَاقِي !

تعقيب حول سجن الهمداني

كَانَ كُلَّمَا بَيَّضْتُهُ فِي الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ عَنْ الهمداني وسجنه ، وَتَشْيِيعِهِ ،
 وَتَزْيِيفِ مَا قِيلَ مِنْ أَنَّ النَّاصِرَ بْنَ الْهَادِي هُوَ الَّذِي سَجَنَهُ أَوْ أَمَرَ بِسَجْنِهِ لِأَنَّهُ هَجَا
 الرِّسُولَ ﷺ ، وَالتَّهْمَ الَّتِي ابْتَدَعَهَا خَصُومُهُ عَنْ ضَعْفِ عَقِيدَتِهِ . . مُسْتَوْحَى
 مِنْ نصوص الدَّامِغَةِ مَتْنًا وَشَرْحًا ، وَمَقْدَمَةِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ الْأَكْوَعِ وَتَعْلِيقَاتِهِ
 الْمُتَنَاقِضَةِ ، وَمِنْ مَقْدَمَةِ الْأُسْتَاذِ حَمْدِ الْجَاسِرِ لِكِتَابِ « صِفَةِ جَزِيرَةِ
 الْعَرَبِ » ، وَمَا لَمْ يَسْتَهْ مِنْ عَدَمِ اطْمِئْنَانِهِ الْعِلْمِيِّ إِلَى كُلِّ مَا قِيلَ ، ثُمَّ مَا كَانَ
 عَالِقًا بِالذَّاكِرَةِ مِنْ قَرَاءَاتٍ وَتَصَوُّرَاتٍ سَابِقَةٍ .

وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ فِي أَجْزَاءِ الْاَكْلِيلِ الَّتِي سَبَقَ لِي الْاطْلَاعُ عَلَيْهَا -
 وَنَقَلْتُ عَنْهَا فِي كِتَابِي « قِصَّةُ الْأَدَبِ فِي الْيَمَنِ » - مَخْطُوطَةً ، أَوْ مَطْبُوعَةً ، مِثْلَ
 « الْأَوَّلِ » وَ« الثَّانِي » وَ« الثَّامِنِ » وَ« الْعَاشِرِ » مَا قَدْ يَثِيرُ جَدَالَاً حَوْلَ مَا كَتَبْتُهُ

عن اقتناع اطمانت اليه نفسي من أن الهمداني كان « مُحباً » . . . لأهل البيت متشيعاً لهم ؛ وإن كان مُتعبباً لقحطان ضد « عدنان » و « قريش » التي هي « قبيلة » « أهل البيت » لأنه كما أوضحت كان مثل غيره من المسلمين الذين يحبون « أهل البيت » ليس لأنهم من « عدنان » أو من « قريش » بل لشعور ديني محض ، وأمر إلهي يخضع له الحنيف الخاشع ؛ ولا علاقة له بنسب ، ولا حَسَب ، ولا عرق ولا دم طبقاً لقوله تعالى : (إنما يريدُ الله ليُذهِبَ عنكم الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) وقد أجمعت أمهات كُتب السَّنة وجميع كتب الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية « التَّطْهِيرِ » النَّبِيُّ ﷺ ، وعليّ ، وفاطمة والحسن والحسين لأنهم الذين فسَّر بهم رسول الله ﷺ المراد بأهل البيت في الآية ؛ وكلّ قولٍ يخالف قول رسول الله ﷺ من بعيد أو قريب مضروبٌ به عرض الحائط ، وتفسير الرُّسول أولى من كل تفسير إذ لا أحد أعرف منه بمراد ربّه ؛ وقد نقل معظم الأحاديث الدَّالة على ذلك الحافظ الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره^(١).

ورغم كلّ ما أوردته من براهين على تشييع الهمداني وأن آل أسعد اليُعفري الحوالي هم الذين سجنوه وعذبوه فقد ظل الوسواسُ يحومُ و « يُطْطِنُ » ؛ فاتَّصلتُ بالقاضي البحاثه الأديب حسين بن عبد الله العمري ، وطلبتُ منه إسعافي بالجزء الأوّل من الإكليل استعارة عن مكتبة « جامعة كمبرج » حيث يكمل فيها دراسته العالية فلَبّي رغبتِي مشكوراً وارسل الجزء الأوّل من الإكليل تحقيق وتعليق « صاحبنا » القاضي الفاضل محمد الأكوع الذي طُبِع في القاهرة سنة ١٣٨٣ هـ . ١٩٦٣ م ؛ وبدأت من جديد ألفُ وأدور مع التحريفات والتخريفات والهفوات التي تحتاج الى تأليف كتاب مستقل ا وأكدت لي أن القاضي محمد الأكوع سامحه الله قد جنى على ذخائر الهمداني ا وكلّ ما سبق أن قلته عن حواشي وتعليق و « نظريات » القاضي تَنطَبُقُ على مقدّمة وهوامش هذا الجزء الذي أخرجهُ « الأكوع » بينما كان

(١) ونقل ذلك ومُسَرَّهُ وتَبَحَّر ما شاء له علمه الجَمِّ ومنطقه الميمس العلامة الكبير والشاعر المفلح المحيى حامد المحضار في كتابه « أهل البيت أولاً » الجزء الأوّل - تحت الطبع - المؤلّف .

المرحوم الأخ العلامة السيد علي المؤيد رحمه الله قد عني به وأخيه الجزء الثاني وأعدّه للطبع إعداداً حسناً . ١ . وضبطتُ أعصابي وقلتُ لنفسي دُع ما للقاضي لنفسه والحساب عند ربّ العباد ، وخذ ما تريد وهو ما يتعلّق بسجن الهمداني ولا سيما من أقواله نفسه .

وقد استفدتُ من مطالعتي لهذا السّفر من جديد ؛ وبمقدمة القاضي الأكوخ وهي في - ٦٢ - صفحة ١ وحواشيه وتعليقاته وهي ثلاثة أرباع الكتاب وسجّلتُ ملاحظات أهمّها ما يلي - قبل الدخول في موضوع سجن الهمداني وعلاقة « السلطان » الجوالي وزبانيته القساة به :

١ - هذا الجزء الأول ليس هو الأصل وإنّما هو مختصر ألفه الأديب محمد ابن نشوان الحميري مُجيباً به على من سأله أن يوضح شيئاً من أنساب حمير وقد استهل الكتاب بعد « الحمدلة » بـ « قال محمد بن نشوان بن سعيد الحميري » الخ وقد قال « الأكوخ » في مقدمته ص - ٢١ - وقد التزم محمد بن نشوان الدقّة والأمانة وقال « تبين لي أنّه الجزء الأوّل من الاكليل » مع حذف يسير من كلماته اللغويّة ، أو شيء ليس بذی بال لا يخلّ بجوهر « الكتاب » !! وإذاً ومع هذا « الحذف اليسير من الكلمات اللغوية » فلا يمكن في نظري الرّكون إلى أن كلّ ما فيه من تعابير وألفاظ هي تعابير وألفاظ « الهمداني » ؛ وبناءً عليه فما ذكرته سابقاً من أنّ عبثاً كبيراً قد حصل فيما نُقل إلينا من شعر وكتب الهمداني كانّ حدساً صادقاً ؛ وذلك أيضاً هو ما جعل الأستاذ البّهانة المرحوم فؤاد سيّد أمين دار الكتب المصرية السابق ، والذي وضع للكتاب « تصديراً » يقول في ص - د - منه « فإنّ قلة مخطوطاته التي لم تتجاوز نسختين لم يكونا من الأصالة والثقة بالقدر الذي يطمأن إليه ، ويُركن عليه ، فضلاً عمّا فيهما من تصحيف وتحريف » .

وبعد أن حاول إيجاد عذر للقاضي بالنسبة إلى « الاستفاضة » في التعليقات وما فيها من غلوّ وإسراف وأن « سيادته » لم يُغادر الجزيرة العربيّة طيلة حياته ، ولم يقفْ على المناهج العلميّة التي وُضعت أخيراً لنشر المخطوطات ، ويسيرُ على هديها العلماء والمحقّقون قال : ص - هـ - ولي

أمل أن يسمح الزمان باكتشاف مخطوطات أخرى لاجزاء هذا الكتاب وبخاصة الجزء الأول تُتيح للسيد المحقق إعادة طبعه مرةً أخرى على ضوء هذا الاكتشاف وعلى ضوء ما اكتسبه من خبرة في المرة الأولى . ورجاء : أن ينتفع سيادته بهذه التجربة في تحقيق الجزء الثاني ! ولا شك لدي بأن الصديق المرحوم الأستاذ فؤاد سيّد - وقد كانت صيلته باليمن ورجالاتها وكتبها وثيقه ، وكان عالماً ثقةً مُتخصّصاً في اليمنيات - كان قد أدرك ما في الكتاب من نقص وتحريف أولاً ؛ ثم ضاق ذرعاً بتلك الحواشي والتراجم والتعليقات التي لا طائل تحتها . فأراد بأمله ورجائه - وهما نقدٌ هادىء رصين - أن يُفيد القاضي محمد الأكوع ، لكي يتجنّب ذلك الفصول في تحقيقه للجزء الثاني ؛ ولست أدري هل أخرج القاضي الجزء الثاني أم لا . . ولكني أكاد أجزم بأنه لم ينتفع بذلك النصّح ، والنقد اللاذع اللطيف في وقتٍ معاً . . لأنّه وبعد عشر سنوات ؛ وبعد أن زار « الهند » و « الصين » وروسيا ، و « أوروبا » وكلّ البلدان العربيّة أخرجَ وحققَ كتابَ « قصيدة الدّامغة » فكان أكثر اغراقاً واسرافاً وتهافتاً وتجنّياً ؛ كما رأيت في الفصول السابقة :

هذا من جهة ومن أخرى فاني لا أستبعد أن يكون العلامة محمد بن نشوان قد كان في تصرّفاته « اللغوية » التي أشار إليها « الأكوع » غير أمين فحرّف وبدّل تحريفاتٍ « جوهريّة » ١ وخاصة فيما يتعلق « بالعلويّين » في « صعدة » وحبّس « الهمداني » وطغيان بني « يُعفر الجواليّين » لأنّه كان على خلافٍ مع الامام عبد الله بن حمزة كما قال المؤرخون وقد أشار إلى ذلك القاضي محمد الأكوع في الحاشية رقم ١- ص ٣- من الاكليل جزء ١- قال : « وكان -أي محمد بن نشوان - مع اشتغاله بالدّرس والتأليف يتولّى مخلاف خولان « صعدة » ولما قام وأدّعا الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة سنة ٥٩٣ - أقرّه على عمله » ثم ذكر اختلافهما وان الامام أمّر بقتله وان « محمد بن نشوان » دعا النّاس بما فيهم خولان المذكورة بشق عصا طاعة الامام إلى آخر ما قاله ص - ٤ - وإذا فلا يُستبعد أن الرّجل قد غلبه الهوى فدرس دساً لغويّاً فيما جرى ليّلهمداني في « صعدة » وذلك هو ما كنت قد ذكرته سابقاً .

٢ - يقول القاضي الأكوخ في مقدمته للاكليل ص - ٤٧ - بعد أن تحدّث عن المؤامرات التي حيكت حول الهمداني : « حتّى استطاعوا أن يؤثروا على قلب ملك اليمن وفارس حمير أبي حسان أسعد بن أبي يعفر الحوالي فزجّ بالهمداني في السجن بصنعاء ، وضيق عليه الخناق ، ولم يراع حقّ الجوار ، ولا القرابة ، ولا فضله ولا علمه ولا . . . ولا . . . استجابة لرغبة الذي تربط بينهما السياسية المشتركة » ! ثم يقول : « ويظهر أن الهمداني سجن مرّتين أحدهما : بصعوبة وإذاً فالقاضي هنا قد اعترف بأن « فارس حمير » الحوالي قد سجن الهمداني بتأثير أقوال الوشاة .

٣ - كان من حسنات القاضي محمد الأكوخ أن سجل في مقدمته قصيدة الهمداني الطويلة التي سمّاها « الجار » لأن الهمداني نفسه يذكر فيها أن الذي سجّنه وعذّبه هو السلطان بن أبي يعفر « أسعد بن ابراهيم » الحوالي صاحب المواقف الوحشية مع « التراخم » ومع « بنات وأولاد علي بن الفضل » ، والذي ظلّ طيلة حياته ذنباً مُراوغاً يلعب على جميع الحبال . وأول هذه القصيدة :

خليليّ إني مخبرٌ فتخبّرا بدّلّة كهّلان وحيرة جَمِيرَا
إلى أن يقول بعد أن ذكر ما يقاسيه في السجن من ويلات وما نزل على أهله « وبنياته » من كرب وبلاء ؛ ومُذْكَراً لقحطان مناضلته عنهم :

كأنّ لم تقولوا يومَ ناضلْتُ دونكم لئن ثارتْ عدنان منك لَنُثَارَا
أُمسَلَم لا يلحقُ « معداً » ملامّةً فاني أراهم من قبيلي أعذرا
وهو يشير إلى قصيدته « الدّامغة » التي تعصّب فيها لقحطان ؛ وهاجم فيها الأمويين و « العباسيين » بما كانوا يمارسونه من جرائم ضدّ أبناء عليّ كرم الله وجهه ؛ وبعدها يقولها بصراحة في « اليّعفري » :

فليس يُنَجِّيهُم من الخزي موثهم إذا كان حرّ الشعر فيهم معمّرا
ويسقطُ ضعفي ذاك عن حيّ حمير وسيدها المنظور فيها ابنُ يُعفرا
أنختُ به خوف العداة وغدرهم ؛ فالفيتّه فيهم على الأمن أعذرا
فملكهم منّي مناطٌ قِلادتي وأسلمني فيهم بأذني . . وأدبرا
فلو كانَ إذ لم يحم ظهري استقالني ، وأدبني حتى أبينَ فيُعذرا

ولكنه أغضى على الذل عينه وفرط في حق الجوار وقصراً
وأصلح بي ما كان من قبل بينه ، وبين قريش الأكرمين - تغيراً
وهو يعني « بقريش » هنا « العباسيين » وأتباعهم في « اليمن » وقد سبق أن
« آل يعفر » كانوا لهم عملاً على « صنعاء » في فترات كان الهمداني اثناءها
مقيماً بصعدة في ظلال حكم « الامام الهادي » وأولاده حتى تغير ما بينه وبينهم
فنزح الى صنعاء وكان ما كان .

إن هذا النص الصريح ؛ الى ما قاله في المقالة العاشرة من سرائر
الحكمة يلقي تبعة سجن « الهمداني » - في نظري على أسعد بن أبي يعفر وما
قيل ؛ غير ذلك يظل مشكوكاً فيه ومعرضاً للمجروح والنقاش والجدال . ١

و « قصيدة الجار » حوالي مائة بيت وهي من الشعر الفصصي البديع ؛ ولكنها
مُفعمة بالغلطات المطبعية ، وتحريفات النسخ ، ولم يبذل القاضي جهداً في
تصحيحها ، ولا طلب من شعراء اليمن كالقاضي عبد الله الشماحي أو القاضي
ابراهيم الحضرائي او الدكتور عبد العزيز المقالح أن يساعده على ذلك . .
ولو فعل لما تلكثوا ولكنه قد أحسن صنعا بإثباتها .

٤ - أما الملاحظة الرابعة والأخيرة في هذا التعقيب فهو ما ورد من كلام
عن سجن الهمداني في صفحة - ٣٢٨ وما بعدها وهو : وآل أبي فطيمة الذين
قاموا مع إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الرضى ؛ وأخربوا صعدة
معه ، وقاموا مع من قام من خولان على محمد بن عباد فقتلوه وهم الذين
خرجوا ليحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم إلى الرس « هو الامام
الهادي » فملكوه بلد خولان ، وساروا معه إلى اليمن حتى ملكها . وكانوا
عمود أمره ووكر عزه ، ونظام دولته ؛ فأقاموا على ذلك حياة يحيى بن الحسين
وحياة ابنه محمد بن يحيى « الامام المرتضى » وحياة أخيه « الناصر » أحمد
ابن الهادي . حتى سجن الهمداني بيد أسعد ابن أبي يعفر فطلبوا فيه
فأعلمهم أنه لم يسجنه ، وأن أسعد سجنه في جرم أجرمه اليه ؛ فركب منهم
الحسن بن محمد بن أبي العباس إلى أبي حسان « أسعد » طالباً فيه فاعتذر
وقال : إنما كتب إلي فيه « الناصر » أن أسجنه نه ، فهو في سجنه عندي ؛ !

فاطلبوا إليه ؛ فإذا أنعم فيكتب إليّ حتى أطلقه ، فانصرف ، وعاد جماعة « العشيين » الناصر في الطلب واعلموه بما قال أسعد ، فأبعدهم وأغلظ لهم ، وأغلظوا له ، وتباعد أمرهم وأظهروا له الخلاف وقاد له الحسن بن أبي العباس بني جماعة وقاتله بمصنعه كتفى ؛ فسأل الناصر وجوه « خولان » أن يصرفوه ويعلموه أنه قد فتح له الهمداني « هكذا » فرضي وصرف تلك الجموع ووادعه حتى صبح له أن إطلاق الهمداني كان من جهة ابن زياد صاحب زبيد فادبر عن الناصر الخ ما دار من قتال وأخبار ، وخلافات بين أولاد الناصر وقبائل « صعدة »

ولا يقدرنا قد أن ي. زم بأن تلك العبارات الواردة في مختصر الجزء الأول من الاكليل والمنقولة أعلاه هي من كلام « الهمداني » أما أنا فلا يخامرني شك انها من كلام المختصر : محمد بن نشوان الذي أقر أنه قد تصرف في الكتاب تصرفاً لغوياً ، وحذف ما لا يخل بالمعنى . . وأنه أيضاً قد حرف وغير وبدل ، ولا سيما وقد كان بينه وبين أئمة زمني ما ذكرناه ؛ وأنه لم يختصر الكتاب إلا بعد حوالي ثلاثمائة عام ١١ ومع ذلك ورغم كل الاحتمالات فالكلام صريح بأن « لسان اليمن » رحمه الله كان في قبضة « السلطان » أسعد الحوالي وليس في قبضة الامام « الناصر » ؛ وربما - كما تشير الرواية - أن السلطان إبراهيم بن زياد قد ساعد على فرار « الهمداني » من السجن هذه المرة - كما رجح الأستاذ حمد الجاسر ذلك . . ولكنني اظن أن أسعد الحوالي قد ألقى عليه القبض مرة أخرى أو عدة مرات . . من يدري ؟ وأن أسعد توفي سنة ٣٣٢ والهمداني في سجنه فأطلق سراحه ولاذ بالضحّاك سلاطين « ريذة » حيث كتب « الاكليل » وغيره من كتبه القيمة وشعره البديع حتى توفي بها . ! وقد قال العلامة الشاعر عبد الله الشماحي في كتابه « اليمن » وهو يتحدث عن سلاطين آل الضحّاك ص - ١١٢ - وكان لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني من المعتزين بهم ، ومن محاسنهم ، ومفخرة عصرهم .

وهنا يقف القلم وأرجو اني قد أديتُ واجبي الأدبي والتاريخي ، وأن

يصفح « القاضي » والقارئ والناصح إذا كان قد احتدّ القلم ، أو نزع البيان
« فأيُّ هكذا خلقت » وقد حاولت المصابرة جهدي والله من وراء القصد وهو
نعم المولى .

بروملي ١٩٧٩ / ٢ / ٢٨ م - ١٣٩٩ / ٤ / ١ هـ

احمد محمد السامي

فهرسُ الكتاب

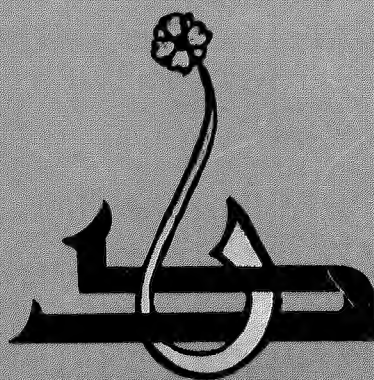
الصفحة	العنوان
٥	الاهداء
٧	الفصل الاول
٨	١ - أعشارُ . . لا اعتبار
٩	٢ - نظامُ . . لا نمط
٩	٤ - أعنته . . لا أعنته !
١٠	٥ - ونسأل الله أن . .
١٠	٧ - تتابع . . لا ساجع
١٠	٨ - العُلُّ القَمِلُ
١١	٩ - العلاطينُ . . لا الملاطين
١١	١٠ - يا ليتَه ترجم لليمينين !
١٢	١١ - غلطاتُ مطبعيةٌ . . وغفول !
١٥	١٧ - وسادسةُ الأثافي !
١٨	١٨ - لا نقد ولا تحقيق . !
١٩	الفصل الثاني
١٩	غلطات القاضي ونصيحة صديق
٢٧	الفصل الثالث
٢٧	مقدمة الأكوع والصلاة على الرسول .
٣١	العصبية واشتقاقها ومعناها
٣٣	من هو اللغوي ؟
٣٧	التعصب . . والإسلام !
٣٩	النظرية الأكوعية ،
٤٢	مع الملك فيصل ؛
٤٤	الشهادة وسام الأبرار ،

٤٥	نُظِفَ في أصلاب الرجال
٤٩	الفصل الرابع
٤٩	اقرأ وتدبر ، ثم احكم
٤٩	أولاً : التحامل على العلويين
٥١	الامام زيد بن علي والروافض
٥٤	ثانياً : أهمية الانساب عند العرب
٥٥	ثالثاً : المفآخرات . . والعلويون
٥٦	الأخطل والأنصار ويزيد ؛ ا
٥٦	وابن الزبير . . ومعاوية
٥٧	رابعاً : مَنْ أثار فتنة الأنساب في الاسلام ؟
٥٧	خامساً : واضرب لهم مثلاً
٥٩	سادساً : هفوات يمنية
٦٠	أ - ابن أبي عيينة وأبو الدلفاء
٦٠	ب - الهمداني ، وشعراء عصره
٦٠	ج - العلويون وضيافة القاضي
٦١	د - القاضي والشاعر العدوي
٦٢	هـ - نشوان الحميري وأحمد بن سليمان
٦٢	تكافؤ الزواج
٦٣	وحتى العلوي كان غير كفوء عند المعيديين
٦٣	الغساني وزرارة بن عدس
٦٥	سابعاً : أما كان أخرى بالقاضي ؟
٦٥	وثامناً : ما هو موقف نشوان ؟
٦٧	القاسمية وتعصب القاضي الأكوخ
٦٨	ومع الشاعرين الحمزي وابن عدوان
٦٨	وثالثة الأثافي : ابن العليف والأسلمي
٧٠	آل الرسول والمفآخرات العرقية
٧٠	ابن العليف والأسلمي كانا « زيديين »

٧٢	والشاعر الهبل
٧٣	صريحه من أحل الهبل
٧٥	الفصل الخامس
٧٥	الهمداني وأهل البيت !
٧٨	من الذي سجن الهمداني ؟
٨٦	وبعد . ؟
٨٨	الأستاذ حمد الجاسر والهمداني
١٠٠	مناقشه لوجه التاربع
١٠٣	الفصل السادس
١٠٣	من هم بنو تغرأه « الحواليون » ؟
١٠٣	١ - مع علي بن الفضل
١٠٤	٢ - ما قاله المستشرق كاي عنهم
١٠٧	٣ - مناساه أسره علي بن الفضل
١٠٩	٤ - كيف قتل ابراهيم الحوالي اياه وعمه . !
١٠٩	٥ - لطمه الدعام
١١٠	٦ - وإذا . . يا قاضي . . فهؤلاء هم
١١٣	ومع الهادي الوزير
١١٣	ومع المطهر بن شرف الدين
١١٧	وأخيراً . . دامعه الدوامغ
١٢٤	تعقيب حول سجن الهمداني

وَلِلْمُؤَلِّفِ أَيْضًا

- ١ - مِنَ الْيَمَنِ .. ديوان شعر مطبوع
- ٢ - عَلَالَةُ الْمُغْتَرِبِ ، ديوان شعر مطبوع
- ٣ - أَلْحَانُ السُّوقِ ، ديوان شعر مطبوع
- ٤ - حَصَادُ الْعُمُرِ ، ديوان شعر مطبوع
- ٥ - إِبِلَادَةُ مِنَ صَنْعَاءَ ، ديوان شعر مطبوع
- ٦ - الْمُؤَدَّاتُ ، ديوان شعر مطبوع
- ٧ - أَلْفُ بَاءِ اللَّزُومِيَّاتِ ، ديوان شعر مطبوع
- ٨ - بَنَاتُ الْخَمْسِينَ ، ديوان شعر مطبوع
- ٩ - لَزُومِيَّاتُ الشَّعْرِ الْجَدِيدِ ، ديوان شعر مطبوع
- ١٠ - قِصَّةُ الْأَدَبِ فِي الْيَمَنِ ، دراسات وتاريخ مطبوع
- ١١ - مِنَ الْأَدَبِ الْيَمَنِيِّ ، نقد وتاريخ مطبوع
- ١٢ - مَعَ الشَّعْرِ الْمَعَاصِرِ فِي الْيَمَنِ ، نقد وتاريخ مطبوع
- ١٣ - مَعَ الْأَدَبِ فِي الْيَمَنِ ؛ نقد وتاريخ تحت الطبع
- ١٤ - عَشْرَةٌ فِي حَيَاتِي ، نقد وتاريخ تحت الطبع
- ١٥ - رَسَائِلُ الشَّامِيِّ ، نقد وتاريخ تحت الطبع
- ١٦ - دِيْوَانُ الْهَبْلِ ، نقد وتاريخ تحت الطبع
- ١٧ - « يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ زَايِدٍ » نقد وتاريخ تحت الطبع



دار الفسائس ت ٢٨٧٢٨ . ص ١١٣٦٧ - بيروت

709
3